

الفريقين
٢٢-٢١

سَمَلِجَةُ الشَّيْخِ
الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ الصَّادِقُ

الْفُرْقَانُ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ
بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

سُورَةُ الْأَنْعَامِ سُورَةُ الْأَنْعَامِ سُورَةُ الْأَنْعَامِ

دار الفوائد الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

سورة الأحزاب مدنيّة

وآياتها ثلاث وسبعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١)
وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
وَكِيلًا (٣) مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جُوفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ
أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي
السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ
وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا
(٥) النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ

أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦) وَإِذْ أَخَذْنَا
مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا
غَلِيظًا (٧) لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾

الحزب جماعة فيها غلظ وتماسك مهما قلّت أو كثرت فعدة التماسك هي ركنها دون
عدة المتماسكين فإنها زيادة في عدّتهم ، فقد تكون جماعة كثيرة وليست حزبا لعدم الغلظة
التماسك ، أو قليلة هي حزب للغلظة التماسك ، فهذه حزب دون تلك مهما كانت حزب
الرحمان أم حزب الشيطان ولم يأت الحزب في سائر القرآن السبعة بخير إلا في المائة : ﴿وَمَنْ
يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٥٦)

والمجادلة : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
(٢٢) وفي الكهف : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ (١٢).

ولم يأت الأحزاب إلا حدى عشر فيه إلا بشرّ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (٤٠ : ٥) مما يدل على أن في عديد الأحزاب شرا قضية الاختلاف وإن كانوا من حزب الله : ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ﴾ (٤٢ : ٦٥) فإنما الاختلاف والاختلاق في حزب الشيطان ، وحزب الله واحد : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (١٥٣ : ٦) ... ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٣٠ : ٣٢) ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٢٣ : ٥٣)! وهؤلاء هم أهل كتاب واحد وأمر واحد فتقطعوا أمرهم بينهم ..

والأحزاب ثلاثة ، هنا في الأحزاب كلها حزب الشيطان ، ولذلك تتسمى سورة الأحزاب مستعرضة سيرة الأحزاب وثورتهم وسريرتهم ، ولكي ينتبه المؤمنون فيتماسكوا قدر المستطاع في حزبهم الواحد «حزب الله» : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾! وأهم تماسك بين أفراد يجعلهم حزبا هو العقائدي الذي يخلق على كافة الوحدات والطبقات سياسيا واقتصاديا وثقافيا أماذا ، وفي قمتها التوحيد حيث يوحد بين قطاعات عظيمة بشرية يجعلها حزب التوحيد ، ومن ثم الرسالة الإلهية ، فأحرى بالمسلمين أن يكونوا حزبا واحدا هو حزب الله مهما اختلفت درجات إيمانهم وسائر ميّزاتهم وفوارقهم حيث تظل تحت ظل الإسلام وحدة متماسكة وصفا متراصا لهم قوتهم الصارمة ضد الأحزاب الكافرة ، وحين لا نجد أي حزب في صارم الوحدة من كل الجهات إلا وحدة جانبية

سياسية أو اقتصادية ، وهم احزاب لهم قوّاتهم بما تجمّعوا ، فلما ذا لا نتوحد نحن المسلمين في حزب الله ، وكل اختلاف وراء العقيدة تتوحد على ضوئها أم تذوب؟!

ولماذا نختلف في أحزاب متعارضة متباغضة لأهداف سياسية مختلفة أما هيه ، تحليقا لسائر الوحدات على الوحدة العقيدية الإسلامية؟ تلك إذا قسمة ضيزى!.

فلأن الله واحد وشرعته واحدة فحزب الله واحد ، وعديد الأحزاب بين المسلمين دليل تخلفهم عن شرعة الله ، أو تفضيلهم سائر الوحدات على الوحدة الإسلامية السامية ، ألا **﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾** فلا مبرر لأي اختلاف بعد الوحدة الإسلامية :

هذه السورة تبدأ بتحذير الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» عن الأحزاب الكافرين والمنافقين ، وأمره باتباع ما يوحى إليه والتوكل على الله ، ثم تتناول قطاعا واقعيته من حياة الكتلة المؤمنة في فترة تمتد بعد بدر الكبرى إلى ما قبل صلح الحديبية ، بازدهام الأحداث خلال هذه الفترة ، والتنظيمات التي انشأها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لتبني الدولة المجيدة الإسلامية واستمراريتها المعصومة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى القائم المهدي (عجل الله تعالى فرجه) كما تتبناها آية التطهير ، وبطيات سرد النظم الحديثة يستطرد الحديث عن غزوة الأحزاب وبني قريظة ومواقف الكفار والمنافقين واليهود والمرجفين في المدينة ودسائسهم وسط الجماعة المؤمنة!

ثم وفي السورة نبذات هي نبضات في هذه الحياة الجديدة تثبتا لبعض التقاليد مع إصلاحها ، وتبديدا لأخرى كالمظاهرة والتبني ، وإخضاعا للأمة للشرعة الجديدة الجادة.

وسورة الأحزاب هي هذه الحاضرة لدينا ، دونما زيادة عليها أو نقيصة عنها ، أو تقديم لآية أو بعضها أو تأخير كسائر السور بأسرها في حصرها لآياتها جملات وآيات ، خلاف ما يهرف به من لا يعرف ، تحريفا فيها بنقيصة أماهيمه؟^(١).

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٣٣ ح ١ في كتاب ثواب الأعمال باسناده الى أبي عبد الله (عليه السلام) قال : من كان كثير القراءة لسورة الأحزاب كان يوم القيامة في جوار محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأزواجه ثم قال : سورة الأحزاب فيها فضائح الرجال والنساء من قريش وغيرهم يا ابن سنان سورة الأحزاب فضحت نساء قريش من العرب وكانت أطول من سورة البقرة ولكن نقصوها وحرفوها».

أقول : ليضرب هذه واضرابها عرض الحائط لمخالفتها في بعدين بعيدين لكتاب الله ، آية الحفظ واضرابها ، وانها تخالف القرآن المتواتر الموجود ، وأحاديث العرض تضربها عرض الحائط ، وترى كيف بالإمكان أنها (٧٣) كانت أطول من البقرة وهي (٢٨٦) آية فتنقص منها أكثر من مائتين ما عرفها إلا ابن سنان دون المسلمين الحضور زمن تأليف القرآن ، ولم يكن يجراً مثل الخليفة عمر أن يترك الواو الثاني في ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ حيث صرخوا عليه ابن الواو يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلم تكن تهمة التحريف وبهذه الوسعة الشاسعة إلا الأهرطقة الإسرائيلية وما شاكلها!

وفي الدر المنثور ٥ : ١٧٩ مثله كالتالي : واخرج عبد الرزاق في المصنف والطيالسي وسعيد بن منصور وعبد الله بن احمد في زوائد المسند وابن منيع والنسائي وابن المنذر وابن الانباري في المصاحف والدار قطني في الافراد والحاكم وصححه وابن مردويه والضياء في المختارة عن زر قال قال لي أبي بن كعب كيف تقرأ سورة الأحزاب او لم تعدها؟ قلت ثلاثا وسبعين آية فقال أبي : قد رأيتها وانها لتعادل البقرة وأكثر من سورة البقرة ولقد قرأنا فيها «الشيخ والشيخة إذ زينا فارجهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم» فرجع منها ما رفع ، واخرج عبد الرزاق في المصنف عن ابن عباس قال : امر عمر ابن الخطاب مناديا فنادى ان الصلاة جامعة ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : يا ايها الناس لا تجزعنّ من آية الرجم فانها آية نزلت في كتاب الله وقرأناها ولكنها ذهبت في قرآن كثير ذهب مع محمد وآية ذلك ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

بدايتها مسك بمسك التقوى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ...﴾ وختامها مسك بمسك التوبة» ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا

. قد رجم وان أبا بكر قد رجم ورجمت بعدهما وانه سيجيء قوم من هذه الأمة يكذبون بالرجم. أقول : لو كانت آية الرجم من كتاب الله وعمل بها منذ الرسول الى عمر فكانت . إذا . معروفة لدى حفاظ القرآن وسواهم فلما ذا لم يثبتها عمر ، وفيه أخرج احمد والنسائي عن عبد الرحمن بن عوف ان عمر بن خطاب خطب الناس فسمعه يقول : الا وان أناسا يقولون ما بال الرجم وفي كتاب الله الجلد وقد رجم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورجمنا بعده ولولا ان يقول قائلون ويتكلم متكلمون ان عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه لأثبتها كما نزلت.

أقول : أضحك به وأغرب ومن الغريب أنهم ينسبون إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تحريف آية الرجم ، كما أخرج النسائي وابو يعلى عن كثير بن الصلت قال : كنا عند مروان وفينا زيد بن ثابت فقال زيد ما تقرأ «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة»؟ قال : جاء رجل الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انبئني آية الرجم قال : لا أستطيع الآن ، هذا وقد أخرج ابن الضريس عن أبي امامة بن سهل بن حنيف ان خالته أخبرته قالت لقد اقرأنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آية الرجم «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة»! ثم نرى نقيضه فيما اخرج ابن الضريس عن عمر قال قلت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما نزلت آية الرجم أكتمها يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لا أستطيع ذلك ، واخرج ابن الضريس عن زيد بن اسلم ان عمر بن خطاب خطب الناس فقال : لا تشكوا في الرجم فانه حق قد رجم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورجم ابو بكر ورجمت ولقد هممت ان اكتب في المصحف فسأل أبي بن كعب عن آية الرجم فقال أبي : الست أتيتني وانا استقرئها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدفعت في صدري وقلت أتستقرئ آية الرجم وهم يتسامرون تسامر الحمر؟» أقول فاقض العجب من هذه المهرطقات المتناقضة وتبرء منها الى الله!

رحيما» وبينهما رائحة المسك في توجيهات تتبى تقوى الله والتوبة عن الطغوى!

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا. ١ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ٢. وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٣).

يرسم في هذه الثلاث تخلية السلب : ﴿اتَّقِ ... لَا تُطِعْ﴾ وتخلية الإيجاب : «واتبع» ثم يتبعهما بسياج التوكل على الله في كل سلب وإيجاب ، ليرسم حياته الرسالية كلها بكلمة الإخلاص ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾!

وإنما آية فريدة منقطعة النظير ، أمرة بتقوى البشير النذير ، لأن موقفه من الكافرين والمنافقين خطير خطير ، وهذه تقوى سياسية تجنبنا عن أن يدلوه بمواعيدهم العسلة ، كأن يرفض ذكر آلهتهم حتى يدعوه وربّه (١)

(١) في الجمع نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور السلمي قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن أبي بعد غزوة احد بأمان من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليكلّموه فقاموا وقام معهم عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فدخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا : يا محمد! ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل : ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك ، فشق ذلك على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال عمر بن الخطاب ائذن لنا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قتلهم فقال : إني أعطيتهم الأمان وامر (صلى الله عليه وآله وسلم) فخرجوا من المدينة ونزلت الآية ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ من اهل مكة أبا سفيان وأبا الأعور وعكرمة والمنافقين ابن أبي وابن سعيد وطعمة.

وفي الدر المنثور ٥ : ١٨٠ . اخرج ابن جرير من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال : ان اهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي (صلى

معاملة التهاتر بعملة الوعد الكذب ، ما لو كان صادقا لكان صاددا للدعوة الإسلامية لفترة ، مما يدل على تسرّب المصلحية السياسية في هذه الدعوة فتبوء بالفشل والخسار والدمار ، فظاهرة فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب!

فلذلك «يا أيها ..» لا «يا» فقط أو «أيها» تدليلا على خطورة المنادى له وتنبيه المنادى.

أترى أن النبي كان متلبسا بطاعة الكافرين والمنافقين حتى يتقيها؟ كلاً والتقوى هي الابتعاد عن المحذور ، وأصلها ما لم يتلبس وهو على أشرافه ، وأوامر الله ونواهيه الموجهة إلى شخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تنقسم إلى تشريعية لو لولاها لم يعرف النبي إيجابا أو تحريما ، كالأحكام التعبدية غير الضرورية ، وإلى تأكيدية فيما هو ضروري معلوم كـ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ و ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ وإلى سياسية ظاهرها غير باطنها فهي تنبيهية كهذه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ...﴾.

«اتق الله» للنبي التقي في القمة ، تنبيهة لاستمرارية التقوى ، ولتقوى تقواه كل حين أقوى مما مضى ، فلانه يزداد علما ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فليزدد على ضوئه وتباعا له تقوى : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ وليس لذلك اليقين حدّ يقف عليه ، فلا وقفة لعبادته وتقواه ، ثم للتقوى واجهتان : أن تتقي بنفسك عن الحق وهو الالتقاء بإسناد النقائص كلها إليك عن إسنادها . أيا كان . إليه ، فتجعل نفسك وقاية له تعالى .

. الله عليه وآله وسلم) الى ان يرجع عن قوله على ان يعطوه شطر أموالهم وخوفه المنافقون واليهود بالمدينة ان لم يرجع قتلوه فانزل الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾

أقول : هذا يناسب جوّ مكة وقد مضى ، واما المدينة فلا يناسبها هذا الاقتراح وقد يؤسوا من تطميحه

بمال او منال!

أو تتقي بالحق عن نفسك وهو الاتقاء بإسناد الكمالات كلها إليه تعالى عن إسنادها إليك فتجعله وقاية لك ، وهما كمال التقوى أن تتخلي عن كل ما يختص بالله وتخليه تعالى عن كل ما تختص بك ، وكلما وراءهما طغوى بدرجاتها ، كما هما تقوى بدرجاتها.

وأما «لا تطع» فهو متكرر له في الذكر الحكيم ، نهي عن المسائرات السياسية فيما ظاهرها مصلحة ، لولا العصمة الإلهية لتفلت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتفاتها ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (٣٣ : ٤٨) لا تؤذهم وإن يؤذك ، ولا تطعهم وعد ألا يؤذك! ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ (٧٦ : ٢٤) ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ. وَذُوقُوا لَوْ تَذَهْنُ فَيُذْهِبُونَ﴾ (٦٨ : ٨) ﴿فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (٢٥ : ٥٢) ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (١٨ : ٢٨) وعلى الجملة :

﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٦ : ١١٦) كل ذلك نهي عن طاعتهم ولما يقترب ، ولكي يبقى مفارقا غير مقارف ، وكل ذلك في التلبسات السياسية التي تزلّ فيها الأقدام ، والله يعصم رسوله فيها عصمة كاملة كافلة للدعوة الرسالية المعصومة العاصمة للأمة!

إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قطعاً لم تخلد بخلده لهم طاعة ، ولم تحصل في أي من هذه الموارد ، فالنهي تأكيد للترك ، والتداوم على الترك ، ولكي يسمع الكافرون والمنافقون الطامعون طاعته ، يسمعون تحذيره من الإذاعة القرآنية فيتركوا اقتراحاتهم التي تشق عليه وتؤذيه! «لا تطع ..» ل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بك وبهم «حكيماً» بما يصلح لك كرَسُول ، وعليهم كمتربصي الدوائر بالرسالة والرسول ، فالله

عليم بما يجهلونه وما تجهله ، حكيم بما لا تحكمه ، وأنت كرسول دائب إلى قمم من العبودية.

والرسالة بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما ، فمهما أرادوا ليكيذك ويغروك أن في إجابتهم اخمادا لنائرة الحرب ، وتقربا لهم إلى الإسلام بتلك الاستمالة والتقارب ، ولكنه أمر ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾!

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ فلأنه ربك في كل صغيرة وكبيرة ، ظاهرة وباطنة ، ولكي تكون رسول ربك بما رباك . ف . ﴿اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وقد أحاط علما بما يعمله الكافرون والمنافقون من شيطنة السياسات ، وتهاورات المعاملات ، التي تبوء بالخساء للرسول ، وبالدمار للرسالة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وكما أحاط خيرا وعلما بما تعمله أنت ومن معك ، ف . ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ تشملها ، تنديدا بأعمالهما وحيطة على أعماله بمن معه.

ولكي تكون على اهبة كاملة كافلة لتقوى مطلقة ، وترك لطاعتهم مطلقا ، رغم المناوئات والعرقلات التي لا تملك صدها ، بعد ما وفيت وكفيت جهودك كلها : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٣) فلا توكل على سواه إذ لا وكيل في المخاطر والضرورات إلا الله ، فتوكل على الله لا سواه ، في أن : ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ لا سواه وفي أن : «لا تطع ..» إلا إياه!

أصل السلب : «لا إله» وأصل الإيجاب : «إلا الله» محوّل إلى محاولة العبد ، ثم المطلق فيهما موكل إلى حول الله ، ف . ﴿اتَّقِ اللَّهَ .. وَلَا تُطِعْ .. وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ... قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾.

وهلّا يطع الكافرين . فقط . والمنافقين . إذا . فله ان يطيع غيرهما من المسلمين والمؤمنين؟! كلاً! فلا طاعة لغير الله ، وعمل تخصيصهما بالذكر هنا لأنهما ارادها منه دون غيرهما ، وأن طاعتها طاعة كافرة او منافقة ، وطاعة غيرهما طاعة فاسقة ، أو أن كل من طلب منه (صلى الله عليه وآله وسلم) طاعته من دون الله او مع الله فهو بذلك يصبح في صف الكافرين او المنافقين ، ولا طاعة لخصوص الرسول إلا طاعة الله ولا اتباع له (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا لوحي الله ، إذ ليس يتأمر عليه ولي إلا الله ، فمهما صحت طاعة لغير الرسول غير الله ، من رسول او امام معصوم آمن ذا من الدعاة الى الله ، فلا تصح للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا طاعة الله واتباع وحي الله!.

ولو لم تدلنا ﴿لَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ على ألا يطع غيرهما ، فقد يدلنا ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ اضافة الى سائر الآيات في طاعته واتباعه (صلى الله عليه وآله وسلم).

فهذه الثلاث رصيدات لهذه الداعية حيث تقيم وتقوم دعوته على المنهج الواضح الناصح : تقوى الله وترك طاعة من سوى الله ، والتوكل فيهما على الله! مهما كان من باب إياك اعني واسمعي يا جاره ، يسمعانه فيقطعان آمالهم عن طاعته ويسمعه المؤمنون فيتقون!

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾. (٤)

هنا امور ثلاثة ما جعلها الله من تكوينية تحيل ان يجعلها غير الله ، ومن تشريعية تحرم عليهم جعلها ، أترى ان بينها في سلبها او إيجابها صلة ورباطا؟ ثم ترى أن لها أم لأولها رباطا بما سلفها؟

ان لأولاهما رباطا عريقا سالفها ولا حقها ، فطاعة الله وطاعة الذين يحادون الله تتطلب قلبين اثنين إذ لا تجتمعان في قلب واحد ، فالذي يمزج بينهما - ضغت من هذا وضغت من ذاك - لا يطيع إلا هواه ، دون الله وسواه ، حيث الطاعة المطلقة التي هي الطاعة لا سواها ، تحيل كونها بين اتجاهين متناحرين ، إلا ان يكون للمطيع قلبان اثنان فيصبح كشخصين يطيع ويهوى بأحدهما الله ، وبثانيهما من سواه.

كما ولم يجعل لرجل من امين اثنين ، التي ولدته والتي ظاهر منها ، لا جعلنا تكوينيا ولا تشريعا ، ان تنزل الزوجة المظاهرة منزلة الام ، وان أمكن في غيرها كالام الرضاعية ، وكذلك الأمر في الأدعياء فهم ليسوا أبناء ولا بمنزلة الأبناء.

وليس لقلب واحد ان يتجه ويهوى الى أمين على سواء ، ولا الى ابنين على سواء ، وأحدهما مجازي مجعول بحق او باطل ، اللهم إلا ان يكون لرجل من قلبين في جوفه!

فالضابطة الرئيسية في هذا البين ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ** ﴾ أن يصبح كشخصين يتجه كل الى وجهة ، مضادة او مناقضة للأخرى في حب مطلق وهوى او بغض مطلق أما ذا؟

فالجمع بين اثنين في قلب واحد مستحيل في متناقضين ، او ناقص في مختلفين ، فانه بكماله مستحيل كتمام الحب لهذا وتمامه لعدوه ، واما ان تجتمع في قلب واحد امور عدة لحالة واحدة واتجاه واحد مع الغض عن حب وبغض وطاعة وعصيان ، وكلما يستحيل جمعه في تصديق ام حب وبغض ، فانه من مقام جمع الجمع ، يختص بالمقربين كقلب محمد وقلوب المحمديين المعصومين ، فلهم الحيلة العلمية بما يتلقون من اعمال ، هم

من الشهداء فيها إلقاء يوم الله ، والله تعالى فوقهم ف ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ لا يشغله شأن عن شأن ، دون من سواه ومن سواهم.

ولقد ورد في شأن نزول آية القلبين منازل عدة ومن ذلك قلب المصلي : «فمن كان قلبه متعلقا في صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته» ^(١) فانها حقيقة التعلق بالله فلا تجمعها تعلق بغير الله ف . ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ﴾ ولقد كان قلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وذويه متعلقا متدليا بالله ، ومهما خطر خطره في الصلاة وغيرها تدليلا على امر ما فهو ايضا من الله وان أخطأ في أمره خاطئون ^(٢).

ومهما كان من شئون نزولها تكذيب رجل ادعى ان له قلبين ^(٣)

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٣٤ ح ٥ في مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام) في كلام طويل له : .. قال الله عز وجل : ما جعل الله ...

(٢) الدر المنثور ٥ : ١٨٠ . اخرج احمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس قال قام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوما يصلي فخطر خطره فقال المنافقون الذين يصلون معه الا ترى ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فانزل الله ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ...﴾ وفيه اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلاة فسها فيها فخطرت منه كلمة فسمعها المنافقون فأكثروا فقالوا ان له قلبين لم تسمعوا الى قوله وكلامه في الصلاة ان له قلبا معكم وقلبا مع أصحابه فنزلت يا ايها النبي اتق الله .. ما جعل الله ..

أقول : ظاهر قولهم «قلبا معكم» انه لم يكن سهوا وانما قرء آية تندد بالمنافقين واخرى تبشر المؤمنين فظنوا ظنهم وخيل الى ابن عباس انه سهى ولم يكن الا سهوا منه لا منه (صلى الله عليه وآله وسلم)!

(٣) الدر المنثور ٥ : ١٨٠ عن مجاهد قال ان رجلا من بني فهر قال : ان في جوفي قلبين اعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فنزلت وفي المجمع نزلت في أبي معمر .

فليست لتكذب من جعل الله له مقام جمع الجمع ان يحيط علما بأمرين أمّا زاد ، ولا يجمع صاحب هذا المقام بين متناقضين ، ام حبين متباغضين ، كمن سواه من العالمين وكما الله رب العالمين . وليس له قلب . فليس ليجمع حب المؤمن الى حب الكافر ام بغضهما وهو لا يشغله شأن عن شأن!.

ولان الواجب من حب الله وطاعته هو توحيديه فيهما دونما ند ولا شريك ، فالجمع بين هكذا حب وطاعة ، وحب الغير وطاعته لا يمكن في قلب واحد ، إلاّ وضعت من هذا وضعت من ذاك وهو من حب الهوى وطاعتها ، اللهم إلاّ في قلبين ، هذا يحبه تماما وهذا يحب غيره ، فممكن الجمع بين حبين في قلب واحد غير مطلوب ، ومستحيله يمكن في قلبين و ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ﴾! ف . «لن يحبنا من يحب مبغضنا إن ذلك لا يجتمع في قلب واحد»^(١)

. حميد بن معمر بن جيب الفهدي وكان لبيبا حافظا لما يسمع وكان يقول ان في جوفي لقلبين اعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد وكانت قريش تسميه ذا القلبين فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم ابو معمر تلقاه ابو سفيان بن حرب وهو آخذ بيده احدى نعليه فقال له يا معمر ما حال الناس؟ قال : انهزموا قال : فما بالك إحدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك؟ فقال ابو معمر : ما شعرت الا انهما في رجلي فعرفوا يومئذ انه لم يكن له الا قلب واحد لما نسي نعله في يده.

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٣٤ ح ٦ في امالي الطوسي باسناده الى صالح بن ميثم التمار قال وجدت في كتاب ميثم يقول : تمسينا ليلة عند امير المؤمنين (عليه السلام) فقال لنا : ان عبدا لن يقصر في حبنا خيرا جعله في قلبه ولن يحبنا من يحب مبغضنا ان ذلك لا يجتمع في قلب واحد وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يحب بهذا قوما ويحب بالآخر عدوهم والذي يحبنا فهو يخلص حبنا كما يخلص الذهب لا غش فيه والقمي في رواية ابن الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في الآية قال علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا يجتمع حبنا وحب عدونا في جوف انسان ... فمن أراد ان يعلم فليمتحن قلبه فان شارك في حبنا عدونا فليس منا ولسنا منه والله عدوهم وجبرئيل وميكائيل والله عدو للكافرين.

إن شرعة الحب والطاعة الالتقاطية شرعة منافقة لا تنبو ولا تنبئ عن إيمان مهما كان
إيمانا بالحق أو بالباطل ، فانه قلب واحد ، فلا بد له من تعلق واحد ومنهج واحد ، تصورا
كلها للحياة كلها ، وإلا تمزق وناق ، فإما اتباع الهدى ، أو الهوى حيث الخلط بينهما اتباع
للهموى إذ لا تعتبر هداه هدى ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾!

وكما لا ينقسم شخص الى اشخاص ، كذلك لا ينقسم قلب الى قلوب ، يستمد
آدابه في كل حقل عما يهواه من معين وعقل بينها تناحر وتشاجر ، فأخلاقه وآدابه من
معين ، وشرائعه من ثان ولاجتماعياته من ثالث ، ولاقتصادياته من رابع ، وسياساته من
خامس ، وثقافته من سادس ، ولعقائده من سابع ، فيصبح كالجحيم ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ
لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ ممزقا مشلاة بين ارباب متشاركين مذبذبين بين ذلك لا إلى
هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وانه لشر مكانا ممن يأخذ كل جنباة من واحد كافر!.

ان كل انسان هو شخص واحد له قلب واحد لا يملك ان يتقسم في شخصيته
وحالاته ، يقول : انا في كل حقل غيرى في حقل آخر ، فانا بصفتي مسلما اصلي وأحج و
.. وبصفتي سياسيا اعمل وفق مصالحات السياسة ، وبصفتي تاجرا اعمل كرجل اقتصاد إقما
ذا من صفات في مختلف الحقول!

فالإنسان المسلم يعيش مسلما في هذه كلها ، حيث الإسلام يضم وينظم هذه كلها ،
فيعيش في المحراب كما في الحرب مسلما ، وفي السوق كما في المجلس النيابي مسلما ، يعيش
في كل الحقول مسلما مستسلما لشرعة الله المتكفلة لكافة حاجيات الحياة وجنباها.

فإذ يقول الله ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ليس ينهى عن

المستحيل ، إذ لا يعبد في الحق إلهين إلا من له قلبان ، وإنما يعني ان في اتخاذ إلهين اتخاذا لإله الهوى ورفضاً لإله الهدى ، ومن المستحيل طاعة مطلقة لسيدتين متناحرين ، اللهم إلا طاعة لله كأصل وطاعة للرسول كرسول يوجه الى الله وكما في طاعة الشيطان ، طاعة كل مستقلا بجنب الآخر تتطلب قلبين اثنين ، إلا ان يكونا في خط واحد او سبيل واحد.

﴿... وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ (٤).

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْتَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا... وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا...﴾ (٥٢ : ٣) ^(١)

فالزوجة لن تصبح أمًا ، لا واقعا فهي التي ولدته ، ولا شرعا فهي التي أرضعته ، دون لفظة القول : «أنت علي كظهر امي» فلم يجعل الله الزوجة المظاهر منها كالأم ، بل أبقاها زوجة بكفارة يقدمها لكي يحل له وطئها ، وليس ذلك طلاقا يخلصه منها ولا تخلصها منه ، كما كانت هذه الظلامة العنيفة عادة الجاهلية إذ كانوا يجرمون وطئها بظهارها ثم تبقى معلقة لا ذات زوج فتوطئ ولا خلية فتتزوج! قسوة ما أسوأها معاملة مع المرأة المظلومة في الجاهلية الجهلاء ، أزالها الإسلام بحسن العشرة :

﴿فَإِمْسَاكِ بِمَعْرِوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرِوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرِوفٍ﴾

(٣ : ٢٣١) فالأم أم والزوجة زوجة لا تتحول واحدة منها الى اخرى ، لا بلفظة قولة ولا بأية محاولة ، واما الجمع بين كونها زوجة لا تتزوج وأمًا لا توطئ فهو جمع بين متضادين اثنين يحتاج الى

(١) راجع الفرقان ٢٨ : ١٩١ - ١٩٦ تجد تفاصيل الظهار بأحكامه

قلبين اثنتين ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ﴾ وكذلك هو بحاجة الى امرأتين اثنتين إحداها زوجة لها ما لها ، والاخرى أم لها ما لها ، فلا تبديل ولا جمع ، وكما ظهارهم من تبديل الجمع!

وان صيغة الظهار محرمة محرمة تخلف كفارة إن أراد وطئها ، وحملها عليه وعليها إن تركها ، او طلاقا بحكم الحاكم الشرعي ان لم يفعل مداوما في ترك الوطء! وبذلك تسلم الأسرة من تصدعها بتلك العادة الظالمة التي كانت تمثل طرفا من سوم المرأة سوء العذاب تحت نزوات الرجال ، الجاهلية المتعنتة!

﴿وَمَا جَعَلَ أَذْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ والدعي من يدعى ابنا وليس به ، لا دعوة فقط في لفظة النداء ، بل وفي كلما تتطلبه البنوة من التوارث وحرمة حليلته.

وقد كانوا في الجاهلية يتبنون ، قطعاً لبنوة كواقع ، ووصلاً لها الى غريب كواقع ، فتقطع علاقات البنوة عن الوالد الحق ، وتتصل بالأب المتبني في كافة الصلات بالباطل.

يقال إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تبى قبل أن يبعث زيد بن الحارثة ، فكيف؟ ولماذا؟ وهل يشمل التنديد التجهيل وانه خلاف الحق وخلاف القسط وهدى السبيل؟ ام ولأقل تقدير هو ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ... وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾؟

كلّا! ف . ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فضلا عن الكافرين كأبي زيد ولما آمن زيد وحسن ايمانه ورفض أباه المشرك أن يتبعه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينذاك تشويقا للايمان وتفريقا عن

الكفر «اشهدوا أن زيدا ابني ، فكان يدعى ابن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان يحبه وسماه زيد الحب ..»^(١)

فلان زيدا أملك بنفسه وأولى من أبيه حتى لو كان مؤمنا ، وهو مشرك! ولأن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فولايته (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه أولى من أبيه ، بل لا ولاية لأبيه المشرك عليه وهو مؤمن ، فما تعمد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) جناحا في هكذا تبنيّه ولا أخطأ لو كان تبنيا ولم يكن إلّا تشريفا!

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٣٥ ح ١٠ تفسير القمي حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال في سبب نزول الآية كان سبب ذلك ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما تزوج بخديجة بنت خويلد خرج الى سوق عكاظ في تجارة ورأى زيدا يباع وراءه غلاما كيسا حصينا فاشتراه فلما تبئى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دعاه الى الإسلام فأسلم وكان يدعى زيد مولى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما بلغ حارثة بن شراحيل الكلبي خبر ولده زيد قدم مكة وكان رجلا جليلا فأثنى أبا طالب فقال يا أبا طالب ان ابني وقع عليه السبي وبلغني انه صار الى ابن أخيك تسأله إما ان يبيعه وإما ان يفاديه وإما ان يعتقه فكلّم ابو طالب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو حرّ فليذهب حيث شاء فقام حارثة فأخذ بيد زيد فقال له : يا بني الحق بشر فك وحسبك فقال زيد : لست أفارق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما دمت حيا فغضب أبوه فقال : يا معشر قريش اشهدوا اني قد برئت منه وليس هو ابني فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اشهدوا ان زيدا ابني ارثه ويرثني فكان زيد يدعى ابن محمد وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحبه وسماه زيد الحب فلما هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة زوجه زينب بنت جحش ...

أقول : كان التورات بين المؤمنين والمهاجرين سنة مأمورا بها قبل نزول آيات الإرث تشجيعا للإيمان ومنها الآية التالية ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ...﴾ وكان زيد مؤمنا مهاجرا فلم يكن هناك تبّن وإنما بنوة الحب وميراث الإيمان والهجرة مهما تخيله الجماهير تبنيا كما كانوا يعملون!

أترى كان له في ذلك الموقف الحرج ان يسكت عن كلمة محبة أولاهها : «اشهدوا أن زيدا ابني»؟ وما عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ يَحْتَلِ الى سائر المؤمنين . المتعودين في الجاهلية على ذلك التبني العارم . انه أصبح ابنه ، فحرام عليه . إذا . حليلته ! فلم يكن قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «اشهدوا ان زيدا ابني» قولاً بفيه ، وإنما عمق قلبه الجيب ، ولم يرتب عليه شئون البنوة ، اللهم إلا ميراثاً كان بين المؤمنين والمهاجرين بما فرض الله ، ثم نسخه بقوله ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ ولم يَحْرَمْ هو على نفسه حليلته ولا رتب عليه سائر احكام البنوة ، فلم يشملته التنديد الإبطال :

﴿.. ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (٤).

ذلكم الجعل الجاهل والحكم القاحل من مظاهرة وتبني «قولكم» لا قول الله «بأفواهكم» دون رباط بعقولكم وقلوبكم ولا وحي ، إذا فهو قول باطل ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ لا سواه ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ لا سواه !

فالقول بالأفواه هو المنقطع الرباط عن دواخل القائل وخوارجه ، فلا هو ينبع من نبعة فطرية او عقلية داخلية ، ولا وحي خارجي ، فلا أثر له داخلها في حب أو بغض ولا خارجها من آثار الامومة والبنوة والابوة لا تكوينيا ولا تشريعيا ، فهو قول باطل في بعدية ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ الى الحق .

هذا رغم ما هنالك من آثار تمواه الأنفس في طقوس جاهلية لا تعدو حدود الخيال فتستأصلها آيات الله البينات ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ومن الحق السبيل والسبيل الحق :

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. (٥)

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ لا «الى آبائهم» فقد يختلفان إيماناً وكفراً فكيف يدعى الولد المؤمن الى الأب الكافر؟ مهما صحت المعاكسة ، ان تدعوا الولد الكافر الى الوالد المؤمن ولكي يؤمن ولأنه يلحق به قبل بلوغ الحلم دون عكس ، ثم «ادعوهم الى ..» لا يزيل أساس التبني ، فقد يدعى «الى» وهو بعد ابنه كما يدعى غريب الى غريب ، فانما ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ دعوة تخصصهم بآبائهم نسباً وفي كل ما هو لزامه ، فقولوا ابن فلان بدلاً عن ابني ، لا في لفظة قول فحسب ، بل وفي كل ما تتطلبه البنية اللهم إلا ما يستثنيه الإسلام للولد المؤمن او الوالد المؤمن.

ولقد دعى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) زيدا لأبيه قبل ان تنزل آية الدعوة اللهم إلا نسبة تشريفية تشويقاً له إذ رجع المقام عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على اللحق بابيه ^(١) فما نرى فيما

(١) مضى له قصة عن الامام الصادق (عليه السلام) وفي لفظ آخر في الدر المنثور ٥ : ١٨١ واخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : كان امر زيد ابن حارثة انه كان في أخواله بين معن من طين فأصيب في غلمة من طين فقدم به سوق عكاظ وانطلق حكيم بن حزام بن خويلد الى عكاظ يتسوق بها فأوصته عمته خديجة (رضي الله عنها) ان يتناع لها غلاماً ظريفاً عربياً ان قدر عليه فلما جاء وجد زيدا يباع فأعجبه طرفه فابتاعه فقدم به عليها وقال لها اني قد ابتعت لك غلاماً ظريفاً عربياً فان أعجبك فخذيهِ والا فدعيهِ فانه قد أعجبني فلما رأته خديجة أعجبها فأخذته فتزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو عندها فاعجب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ظرفه فاستوهبه منها فقالت هو لك فان أردت عتقه فالولاء لي فأبى عليها فوهبته له ان شاء .

فعله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) به إلا خيرا وحقا رغم ما زعمه المتبنون الآخرون
قياسا لفعله بما كانوا يفتعلون!.

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ..﴾ (٥) .. أترى كيف تكون دعوتهم لآبائهم

اقسط عند الله؟ وقضيته ان تبنيهم قسط! وبقاءهم لغير

. أعتق وان شاء امسك قال فشب عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم انه خرج في ابل لابي طالب الى الشام
فمر بأرض قومه فعرفه عمه فقام اليه فقال من أنت يا غلام؟ قال : غلام من اهل مكة قال : من أنفسهم؟ قال
لا قال : فحر أنت ام مملوك؟ قال : بل مملوك قال : لمن؟ قال : لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له أعربي
أنت ام عجمي؟ قال : بل عربي قال : ممن أهلك؟ قال : من كلب قال : من اي كلب؟ قال : من بني عبدود
قال ويحك ابن من أنت؟ قال : ابن حارثة بن شراحيل قال : واين أصبت؟ قال في أخوالي قال ومن أخوالك؟ قال
: طي قال : ما اسم أمك؟ قال : سعدى فالتزمه وقال : ابن حارثة ودعا أباه وقال يا حارثة هذا ابنك فأثاه حارثة
فلما نظر اليه عرفه قال : كيف صنع مولاك إليك؟ قال : يؤثرني على اهله وولده ورزقت منه حبا فلا اصنع الا ما
شئت فركب معه أبوه وعمه واخوه حتى قدموا مكة فلقوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له حارثة يا
محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)! أنتم اهل حرم الله وجيرانه وعند بيته تفكون العاني وتطعمون الأسير ابني عبدك
فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه فانك ابن سيد قومه فانا سندفع لك في الفداء ما أحببت فقال له رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) ما أعطيككم خيرا من ذلك؟ قالوا وما هو؟ قال : اخيره فان اختاركم فخذوه وان
اختارني فكفوا عنه قالوا جزاك الله خيرا فقد أحسنت فدعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا زيد
أتعرف هؤلاء؟ قال : نعم هذا أبي وعمي واخي فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فانا ممن عرفته فان
اخترتهم فاذهب معهم وان اخترتني فانا من تعلم فقال زيد : ما انا بمختار عليك أحدا ابدا أنت مني بمكان الوالد
والعم قال له أبوه وعمه : يا زيد أنتختار العبودية على الربوبية؟ قال ما انا بمفارق هذا الرجل فلما رأى رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) حرصه عليه قال : اشهد انه حرّ وانه ابني يرثني وأرثه فطابت نفس أبيه وعمه لما رأوا
من كرامته عليه فلم يزل زيد في الجاهلية يدعى زيد بن محمد حتى نزل القرآن ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ فدعى زيد بن
حارثة .

آبائهم ليس قسطا ولا عدلا ، والقسط أفضل من العدل؟

علّه ككلّ مما شاة مع المتبينين : إن كان هذا قسطا تعظفا بهم دون مقابل ، فدعوتهم لآبائهم اقسط عند الله ، فإنهم بضع من آبائهم دونكم ، وامتداد لهم بمدّهم إيلادا دونكم ، فليس منكم لهم إلا قول بأفواهكم ، ولهم من آبائهم فعل الايلاد وهو حقيقة لا تنكر ، فالأصل الفطري والولادي يقتضيان ان تدعوهم لآبائهم في كل ما تتطلبه البنوة ، والتخلف عنهما هو خلاف العدل والقسط.

او علّه كبعض مصاديقه قسط ، كما كان من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع زيد ولكنما الأقسط عند الله ان يدعى هو ايضا لأبيه كما فعله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل آية الدعوة ، فقد جمع الأقسط الى القسط فلم يخالفهما أو أحدهما قبل آية القسط ، اللهم إلّا من سواه بين متعمد ومخطئ وساحة الرسول منهما براء!

﴿... فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ..﴾ (٥).

فان فوضى العلاقات في أسرة الجاهلية في هرج الجنس ومرجه ، والتبني الأعمى بحيث كان يعمي عن الآباء الأصلاء ، مما يخلّف مجهولية الآباء ، ولكنها ايضا ليست بالتي تسمح بالتبني او تقره ، فان هنالك الأخوة في الدين والولاية فيه اصل جامع يخلّق على كافة المعلومين فضلا عن المجهولين ، فهم إذا إخوانكم في الدين في كلما تقتضيه الاخوة الدينية ، وكما في سائر المسلمين ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ..﴾ (٩) : (١١) وكما في خصوص اليتامى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ..﴾ (٢ : ٢٢٠) وطبعاً هي الاخوة الدينية كما في الأدعياء فإنهم أعم من كونهم يتامى او ذوي آباء مجهولين.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

رَحِيمًا﴾. (٥)

هنا ينفي الجناح عن خلفيات التبني لحدّ الآن ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ﴾ خطأ في أصله أن لم يكن إلا قولاً بالأفواه دون اثر خارجي ، وخطأ في تجهيل آباءهم حتى جهلوا ، و ﴿مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ يعم عمد التبني بترتيب آثار البنوة لهم ونفيها عن آباءهم ، او عمدا في تجهيل آباءهم حتى جهلوا خطئان لا جناح فيهما ، وتعمدان مغفوران لمن تاب توبة نصوحا. ثم وقصة الرضاة ليست بالتي تشكل نسبا إلا تحريما مّا وتحليلا ، والإسلام يهدف من وراء هذا السياج القويم على الأنساب أن يحافظ على نظامها التكويني دو تبعثر بتبن وسواه ، وحتى إذا كان نسبا كافرا ، فانه ليس ليسمح نسبة المؤمن الى غير والديه مهما كانت هنالك أحكام وقائية لشرف الايمان.

فليس لأحد أن يخفي نسبه بوصمة الكفر فيدعي نسبا آخر بسمه الايمان ، فليس الايمان بنسب وسبب ، فانه شرف ذاتي لا يعدو حامله الى سواه إلا إذا حمله الى سواه. وإنه تشديد أكيد يتمشى مع عناية الإسلام بصيانة الأسرة كيفما كانت ، والحفاظ على روابطها من كل شبهة وخلل ، وحياطتها بكافة أسباب السلامة والسلوة والاستقامة ، بعيدة عن الفوضويات في دعارات وسواها من ادعاءات جوفاء ، في تغيير النسب وتحويره ، مهما كان بمبرر الايمان فانه خلاف قضية الايمان.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾. (٦).

آية وحيدة منقطعة النظير ، تختص ولاية عامة للنبي على المؤمنين ، وامومة أزواجه لهم ، واولوية اولى الأرحام بعضهم ببعض من المؤمنين والمهاجرين ، تضم في هذا المثلث أحكاما عدة جماعية سياسية واقتصادية أمماهي؟

ولاية النبي على المؤمنين؟

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ضابطة مطلقة عامة ثابتة بين محور النبوة وشعاع الايمان ، فهو «اولى» قضية النبوة ، وهم مؤلّ عليهم قضية الايمان ، وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينفصل عن ولايته ولا تنفصل عنه حيث النبوة لزامها ولكن الايمان قد ينفصل عمن يتنحى عن ولايته (صلى الله عليه وآله وسلم) وكما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين»!.

وليست هي مجرد ولاية الحب مهما كان أصلا من قضيتها ، بل هي مطلق الولاية في مطلق الأمور على مطلق الأنفس المؤمنة ، عقيدة وحبا وقولا وعملا أماذا من متطلبات الولاية الأولوية المطلقة!

إن هذه النبوة القمة تقتضي اولوية قمة ، كما الايمان بدرجاته يقتضي تحمل تلك الاولوية حسب الامكانيات.

أترى ان هذه الولاية المحمدية قد تعمي مصالح الامة جماعات وفرادى لمصلحة ذاتية شخصية؟ كلاً! ف . ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ﴾ وليس «محمد اولى» فهذه الاولوية ليست إلا لتخدم مصالح الرسالة والمرسل إليهم جماعات وفرادى ، دون مصلحة لشخص محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فانما مصالح رسولية ورسالية ومصالح للمؤمنين ، وكلها لصالح الايمان فصالح

المؤمنين ، جماعات وفردى ، تصد عنهم اخطاء عامدة وجاهلة وتصلح الامة كما يرضاها الله حيث الولاية اسلاميا هي أن يلي كل قوي من المسلمين ضعيفهم ، عقيدا او علميا او خلقيا او عمليا ، أما ذا من مختلف الوهبات والكسييات جبرانا لنقصه ، فقد يكون المسلم وليا من جهة ومولى عليه من اخرى ، كالأعلم بالنسبة للأتقى ، فانه وليه علميا ، ولكنه مولى عليه عمليا ، وهلم جرا في سائر الأولياء والمولى عليهم حسب مختلف الولايات.

والسمة العامة فيها كلها صالح المولى عليه حيث لا يقدر على تحصيله كما يجب او يحب ، وهذه الموالات هي في صيغة اخرى تعاون على البر والتقوى ، وضد الشر والطغوى ، تعليميا او امرا ونهيا او حملا على فعل المعروف وترك المنكر.

فليس للولي أيا كان أن يتأمر على المولى عليه لصالحه الشخصي بسند انه قوي ، اللهم إلا لصالح المولى عليه افرادا وجماعات ، والى السلطة الزمنية على ضوء الإسلام حيث الزعيم خادم الرعية ، دون ان يبتغي من الزعامة مالا او منالا إلا إصلاح الرعية ، وتوجيههم الى الأصلاح فالأصلاح في مختلف الحقول الاسلامية المحلقة على كافة المصالح.

الولايات العشر في الإسلام :

هنالك ولايات خاصة واخرى عامة على المؤمنين كلها تنحو منحى مصالحهم معنوية ومادية جماعية وفردية ، ك : « ١ . الولاية على الأيتام . ٢ . والسفهاء . ٣ . والمجانين . ٤ . والزوجات . ٥ . والأولاد . ٦ . والمتخلفين ^(١) .

(١) دليله قوله تعالى «الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ»

٧ . وعلى كل الأمة من الفقهاء . ٨ . وأئمة الدين . ٩ . والرسول . ١٠ . وولاية الله !.

كل هذه ولايات على من لا يحيط علما او طاقة على مصالحه ، فالولاية المعصومة من بينها مطلقة وكما تدل عليه آية الولاية : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٥ : ٥٥) وآية الطاعة : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٤ : ٥٩)

والولايات الاخرى محدودة بحدود المصالح ، وللمولى عليهم الاعتراض والاستيضاح إن اشتبه عليهم أمرها او تأكدوا من خلاف المصلحة فيها.

ثم تشترك هذه العشر في الولاية الشرعية على اختلاف درجاتها وضيقها وسعتها ، وتخص ولاية المعصومين الشرعية بأنها مطلقة محكمة دونما استثناء لأنها تمثل ولاية النبي المثلثة لولاية الله واما الولاية التشريعية والتكوينية فهما من اختصاصات الربوبية ، فهو . فقط . المشرع لا سواه ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ...﴾ وهو المكون خلقا وتديرا لا سواه ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ...﴾.

ولاية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هي الاولوية بأنفس المؤمنين ، فتحتل الدرجة الثانية من العشر بعد الولاية الإلهية ، فهو أولى بكل مؤمن من نفسه واهله وماله وعرضه ، وكلها لصالح النبوة والمولى عليهم على ضوء النبوة العادلة ، ولاية عامة تشمل رسم مناهج الحياة الفردية والجماعية في كافة حقولها ، فلا ولاية مع ولايته ، حيث لا تساوى ولا تسامى ، إذ تحلّق بعد ولاية الله على الولايات كلها ، على سائر الأولياء والمولى عليهم كلهم.

قد تتحقق الولاية دون اولوية بأنفس المولّى عليهم منهم كما في سائر الولايات الخاصة والعامّة ، إلّا المحمديين من العترة المعصومين (عليهم السلام) ^(١) ولكنما الآية تثبت ولاية الاولوية له (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنفس المؤمنين مما يقدّمه (صلى الله عليه وآله وسلم) . عليهم في النواميس الخمسة كلها : نفسا وعقلا ودينا وعرضا ومالا لصالح النبوة والمولّى عليهم ، فصالح النبوة هو هو صالحهم جميعا .

فكما يجب على كل مؤمن الحفاظ على هذه النواميس حبا لها وإيمانا ، كذلك عليهم . وباخرى . الحفاظ عليها من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تقديمًا لجانبه على جوانبهم ، وكما الله جعله أولى بهم وعلى حد قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة» ^(٢) ومن هذه الولاية قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فأما رجل مات وترك دينًا فإلي ومن ترك مالا فلورثته» ^(٣) فليس له من اموال المؤمنين شيء إلّا ما تلزمه المصلحة

(١) الدر المنثور ٥ : ١٨٢ اخرج ابن أبي شيبة واحمد والنسائي عن بريدة قال غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكرت عليا فنقصته فرأيت وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تغير وقال يا بريدة الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت بلى يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : من كنت مولاه فعلي مولاه» أقول وانها كلمة متواترة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم)

(٢) المصدر اخرج البخاري وابن جرير وابن حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ... اقرءوا ان شئتم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ..

(٣) المصدر اخرج احمد وابو داود وابن مردويه عن جابر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ... ومثله ذيل الحديث السابق ولكن فيه : من ترك مالا فللعصبة ...

الجماهيرية الاسلامية كالضرائب المستقيمة وغير المستقيمة وهي كلها لصالح المسلمين .
ثم إذ يأمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشيء فلا تحلف عنه نظرة الإذن من غيره وليا وسواه كما كان في غزوة تبوك ^(١) ومن خلفيات هذه الولاية الاولوية المطلقة أن لو رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صالحا في تطليق زوجته طلقها دون استتمارك ، ام صالحا في حملك على عمل دون أجر او بأجر ، ام دفع مال بمقابل او دون مقابل ، أما إذا مما لك فيه الولاية نفسا وأهلا ومالا وحالا ، فهو أولى بك منك ، فضلا عما ليس لك فيه ولاية ، فهو فيه أولى منك في بعدين اثنين ولكنه لم يعهد عنه أمثال هذه التصرفات خلافا لمرضات المؤمنين وان كانت له بسناد ولايته المطلقة المخولة .

ثم الولاية الجماهيرية هي له أخرى من الشخصية ، حيث النبوة تنحو منحى الجماهير قبل الأشخاص ، وهي لصالح مجموعة الامة قبل افرادها ، وصالح الجماعة في ولاية وسواها أهم من صالح الأفراد .

ومن أهم الاهداف في ضابطة الولاية هنا هي الإمرة ^(٢) ألا يخلد بخلد

(١) في الجمع وروي ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أراد غزوة تبوك وامر الناس بالخروج قال قوم : نستأذن آياتنا وأمهاتنا فنزلت هذه الآية

(٢) نور الثقلين ٤ : ٢٣٨ عن علل الشرايع بإسناده الى عبد الرحمن لقصير عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : سألت عن قول الله عز وجل ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى...﴾ فيمن نزلت هذه الآية قال : نزلت في الإمرة ان هذه الآية جرت في الحسين بن علي (عليه السلام) وفي ولد الحسين فنحن أولى بالأمر وبرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من المؤمنين والمهاجرين ، قلت : لولد جعفر فيها نصيب؟ فقال : لا . فعددت؟؟ له بطون عبد المطلب كل ذلك يقول : لا . ونسيت ولد الحسن فدخلت عليه بعد .

المؤمنين فرادى وجماعات التقديم او التقدم بين يدي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في اي امر من أمورهم حتى وان شاورهم مصلحيا كما أمره الله ، فالأمر أمره والرأي رأيه ، لان الإمرة الشاملة على المؤمنين هي إمرته.

فلو رأى المؤمنون بأجمعهم صلوحا في أمر من حرب او صلح أماذا؟ ورأى الرسول خلافهم ف . ﴿التَّيُّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فلا لهم او عليهم إلا ما يراه دونهم.

ولقد جرت هذه الإمرة النبوية في الأئمة الاثني عشر بدليل الكتاب والسنة وعلى حد قول باقر العلوم (عليه السلام) «ما لمحمد نصيب غيرنا» فهم لا سواهم ﴿أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ الذين افترض الله طاعتهم بإمرتهم بعده وبعد رسوله : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ..﴾.

. ذلك فقلت : هل لولد الحسن (عليه السلام) فيها نصيب؟ فقال : لا يا أبا عبد الرحمن ما لمحمد فيها نصيب غيرنا.

ورواه مثله عنه في الكافي وروايات اهل البيت في ذلك بعدد اسماء اولى الأمر متواترة. ومن ذلك ما رواه القمي بإسناد متصل عن سليم بن قيس قال سمعت عبد الله بن جعفر الطيار يقول : كنا عند معاوية انا والحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن سلمة واسامة بن زيد فجرى بيني وبين معاوية كلام فقلت لمعاوية سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : انا اولى المؤمنين من أنفسهم ثم اخي علي بن أبي طالب اولى المؤمنين من أنفسهم فإذا استشهد فالحسن بن علي اولى المؤمنين من أنفسهم ثم ابني الحسين من بعده اولى المؤمنين من أنفسهم وستدركه يا حسين ثم تكلمة اثنتي عشر اماما تسعة من ولد الحسين قال عبد الله بن جعفر واستشهدت الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن ام سلمة واسامة بن زيد فشهدوا لي عند معاوية قال سليم وقد سمعت ذلك من سلمان وأبي ذر والمقداد وذكروا لي انهم سمعوا ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

ولقد احتل حديث خلافة الإمرة النبوة في علي (عليه السلام) يوم الغدير ، قمة التواتر بين المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعيهم ^(١) وكذلك حديث التهئة من الشيخين في قولهما لعلي (عليه السلام) : «بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة» ^(٢) تلو ما قال

(١) اخرج العلامة الأميني في الغدير نزول آية التبليغ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الغدير في علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن ثلاثين مصدرا من إخواننا وان رواة الغدير من الصحابة (١٢٠) صحابيا ومن التابعين (٨٤) وان طبقات الرواة في حديث الغدير من أئمة الحديث وحفاظه والاساتذة (٢٦٠) نسمة والمؤلفون فيه (٢٦) راجع علي والحاكمون ص ٣٤).

(٢) قد روى حديث التهئة فيمن رواه الحافظ ابو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه عن البراء بن عازب واحمد بن حنبل في مسنده ٤ : ٢٨١ عنه والحافظ ابو العباس الشيباني عنه والحافظ ابو يعلى الموصلي عنه والحافظ ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره ٣ : ٤٢٨ عن ابن عباس وابن عازب والحافظ احمد بن عقدة الكوفي في كتاب الولاية بالإسناد عن سعد بن أبي وقاص والحافظ ابو عبد الله المرزباني البغدادي عن أبي سعيد الخدري والحافظ علي بن عمر الدار قطني البغدادي والحافظ ابو عبد الله بن بطة الحنبلي عن البراء بن عازب والقاضي ابو بكر الباقلاني البغدادي في التمهيد في اصول الدين ص ١٧١ والحافظ ابو سعيد الخركوشي النيسابوري في شرف المصطفى عنه والحافظ احمد بن مردويه الاصبهاني في تفسيره عن أبي سعيد الخدري وابو إسحاق الثعلبي في تفسيره والحافظ ابن السمان الرازي عن ابن عازب والحافظ ابو بكر البيهقي عنه والحافظ ابو بكر الخطيب البغدادي بسندين صحيحين عن أبي هريرة ص ٢٣٢ - ٢٣٣ والفقيه ابو الحسن بن المغازلي في المناقب وابو محمد احمد العاصمي في زين الفتى والحافظ ابو سعد السمعاني في فضائل الصحابة عن ابن عازب وحجة الإسلام ابو حامد الغزالي في سر العالمين ص ٩ وابو الفتح الاشعري الشهرستاني في الملل والنحل واخطب الخطباء الخوارزمي الحنفي في مناقبه ص ٩٤ وابو الفرج بن الجوزي الحنبلي عن ابن عازب وفخر الدين الرازي الشافعي في تفسيره الكبير ٣ : ٦٣٦ وابو السعادات مجد الدين بن الأثير الشيباني في النهاية ٤ : ٢٤٦ وابو الفتح محمد بن علي النظري في .

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): الست اولى بكم من أنفسكم قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه» مما يبرهن جليا أن مكانته من المؤمنين هي نفس مكانة الرسول إلا في الوحي والنبوة.

فإمرة الاولوية والولاية المطلقة تختص بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والمحمديين من عترته المعصومين ، ثم لا إمرة إلا شورى بين المؤمنين ، سواء أكانت إمرة الفتوى او الزعامة السياسية ، فانها مهما كانت عليمه تقية عادلة فليست معصومة عن أخطاء ، ولأنها لا بد منها في استمرارية الإمرة الاسلامية ، فلا بد من كونها في نطاق الشورى بين الرعيل الأعلى حتى تقل اخطاءها وكما يروى الامام علي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) «اجمعوا العابد من امتي فاجعلوا أمركم شورى»^(١).

والشورى في امور المؤمنين هي من سبل الايمان فتركها قطع لسبيل الايمان حسب درجات الأمر الذي يتطلب الشورى.

فولاية الفقهاء محدودة لمكان اخطاءهم قاصرة او مقصورة ، فان ثبت للمولى عليهم وهم غير الفقهاء أنهم اخطأوا في شيء حرم اتباعهم فيه إلا ان يقنعوهم ، وان لم يثبت فاتباعهم مفروض.

ثم لا ولاية لفقهاء على فقيه مهما اختلفت درجاتهم ، ففي الأحكام الشرعية كل فقيه ولي نفسه ومن ليس بفقيه كما وفي المسائل السياسية الزمنية فليس ولي امر الامة زمن الغيبة إلا الشورى من الرعيل الأعلى ، بل وفي الأحكام الشرعية المرجع هو الشورى دون الأشخاص.

. الخصائص العلوية عن أبي هريرة وعز الدين ابو الحسن بن الأثير الشيباني عن ابن عازب وثلاثون آخرون اما زاد ذكرنا أسمائهم في علي والحاكمون ص ٨١ - ٨٢.

(١) راجع آية الشورى في سورتها ج ٢٤ - ٢٥ من : الفرقان.

﴿وَأَزْوَاجَهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ ... تنزيل لأزواجه منزلة أمهاتهم ، ولولا آية حجابهن عنهم
﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ...﴾ بل وزيادة على سائر المؤنات كما
هنا وفي خضوع القول ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ ولولا امكانية
تسريحهن ﴿وَأَسْرَحْنَ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ حيث تنفصل عنهن الامومة بانفصال الزوجية ، لولا
هما لكان التنزيل يعم من امومتهم كونهن محارم لهم فلا حجاب ، فانما الامومة هنا في وجوب
حرمتهن كما الأمهات ، وحرمة نكاحهن كما والنص يخصصها بالذكر ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ
تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدَانًا﴾ فالأمومة النسبية لها وجوب حرمتها
وحرمة زواجها ومحرميتها وميراثها ، وللرضاعية كل ذلك إلا ميراثها ، وللرسالية ليست إلا
الاوليان وهما الأولان فيما يسبق الى الأذهان من اختصاصات الامومات ، فاما المحرمية
فتنفيتها آية الحجاب : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ثم الميراث تنفيه
الآية في ذيلها : ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ ولولاهما ايضا في نفيهما
لم يشملهما التنزيل ، حيث التنزيل لا يوازي الحقيقة ، ولان المقام مقام فائق الاحترام فلا
يناسبه الميراث والتكشف. فلان التنزيل خص في مورد الحجاب ولم يذكر له مورد إلا حرمة
نكاحهن فقد انفصم عراه وانحل فتله الشامل لكافة اختصاصات الامومة واختص بالمنصوص
منها وحرمتهم كما الأمهات ، فهذه امومة شعورية وشعارية وراء حرمة زواجهن!.

وهل إن ذلك التنزيل مستمر مهما تخلفن عن ساحة الرسالة ، بل وعارضنها وأصبحن
محادات لها؟ لان هذه الأمومة ذات علاقتين ، علاقة بالرسول إذ يتأذى ان تؤذى أزواجه
وينكحن ، وعلاقة بهن إذ هن من حرمت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فانطلاقهن
عن ساحة الرسالة بفاحشة مبينة تتهدم تلك الساحة المباركة فلا يتأذى إذا من ان

ينكحن بعده ولا ألا يحترمن كأمهات ، إذا ففي انطلاقهن هذا سماح لطلاقهن.

وقد يروى عن القائم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف : «ان الله تقديس اسمه عظم شأن نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فخصهن بشرف الأمهات فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا أبا الحسن إن هذا الشرف باق لهن ما من الله على الطاعة فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلق لها في الأزواج وأسقطها من تشرف الأمهات ومن شرف امومة المؤمنين»^(١)!

وكان حقا له أن يسقط حقه بطلاقهن عن هذا الشرف فيما يضيع حقه في اولويته على المؤمنين بالخروج على امير المؤمنين ومثيله في اولويته تلك في سدته العليا وإمرته المنصوصة عليهم.

تري إذا كانت أزواجه أمهاتهم أليس . إذا . هو أباهم في اصل الحرمة الوالدية فلما ذا ﴿التَّيُّ أَوَّلَى...﴾ وليس «أبوهم»؟^(٢).

ان أولويته المطلقة أولى من الأبوية ، فانه أولى من أبويهم ومن كل ولي لديهم! فهو الأب الأوّل للمؤمنين وولده الامة درجات أعلاها علي (عليه

(١) نور الثقلين ٤ : ٣٣٨ ح ١٧ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى سعد بن عبد الله القمي عن الحجة القائم (عليه السلام) حديث طويل وفيه : قلت : فاخبرني يا مولاي عن معنى الطلاق الذي فرض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حكمه الى امير المؤمنين (عليه السلام) قال (عليه السلام) : ان الله تقديس اسمه ...

(٢) في الدر المنثور ٥ : ١٨٣ اخرج عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة انهم قرءوا الآية باضافة «وهو أب لهم» أقول : وهو معروض عرض الحائط لكونه خلاف المتواتر الموجود من القرآن وان «التَّيُّ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ» تعني فوق الابوة فلا حاجة الى ذكرها وليس مثله الا مثل القائل «محمد رسول الله وهو مؤمن»!

السلام) ، فهو الأب الثاني للامة وكما سائر الائمة (عليهم السلام) ومن ثم سائر الآباء ، وقد صح عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) «انا وعلي أبو هذه الامة»! ^(١) ولأنه اولى بالمؤمنين من أنفسهم» كما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى حد قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «فوالله اني لأولى الناس بالناس» ^(٢).

﴿.. وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (٦).

هنا تلميح ان قد مضى ربح من الزمن يتوارث فيه المسلمون بالايمان والهجرة ، ذلك ولما تستقر الدولة الاسلامية ، فقد آخى الرسول (صلى الله

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٣٨ ح ١٨ في كتاب علل الشرايع باسناده الى علي بن الحسن بن فضال عن أبيه قال : سألت أبا الحسن (عليه السلام) فقلت له : لم كني النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بابي القاسم؟ فقال : لأنه كان له ابن يقال له قاسم فكني به قال قلت : يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهل تراني أهلاً للزيادة؟ فقال : نعم اما علمت ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : انا وعلي أبو هذه الامة؟ قلت : بلى قال : اما علمت ان عليا (عليه السلام) قاسم الجنة والنار؟ قلت : بلى . قال : فقيل له ابو القاسم لا ابو القاسم الجنة والنار فقلت : وما معنى ذلك؟ فقال : ان شفقة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على أمته كشفقة الاءاء على الأولاد وأفضل أمته علي (عليه السلام) ومن بعده شفقة علي عليهم كشفقته (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنه وصيه وخليفته والامام بعده فلذلك قال (عليه السلام) انا وعلي أبو هذه الامة وصعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المنبر فقال : من ترك ديناً او ضياعاً فعليّ والي ومن ترك ما لا فلورثته فصار بذلك اولى من آبائهم وأمهاتهم وصار اولى بهم منهم بأنفسهم وكذلك امير المؤمنين (عليه السلام) بعده جرى ذلك له مثل ما جرى لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٢) نهج البلاغة من كلام له عليه السلام.

عليه وآله وسلم) بين المهاجرين والأنصار ، وكان هذا الإخاء صلة عريقة فريدة في تأريخ التكافل العقائدي لحدّ قام مقام قرابة الدم ، وارتفع فيه المدّ الشعوري الى ذروة عالية ، وقد أخذ مأخذ الجدّ ، قائما مقام قرابة الدم او زاد ، ولقد كان ذلك الإخاء العميق ضروريا بادى ذي بدء حفاظا على هذه النشأة الوليدة الايمانية ، وتماسكة بقوة صارمة في تلك الظروف الاستثنائية ، وحتى تقوم الدولة على سوقها فتزول الضرورة الوقتية من ذلك الإخاء القائم مقام الدم ، فيبقى وراء التوارث كأشد ما كان على طول الخط.

فلما استتب امر الدولة واستقرت في مختلف حقولها الجماعية والسياسية والاقتصادية والعقائدية عاد النظام الحقوقي الاسلامي في التوارث بين اولى الأرحام إلى حالته التي ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾.

اولوية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمؤمنين من أنفسهم وفي المحمديين من أولي امره ، دائمة ثابتة بشاكتها المعصومة في فترة الرسالة والإمامة ، ومن ثم في الشورى من الرعيلى الأعلى في العابد من الامة بشاكلة غير معصومة.

وامومة أزواجه باقية ما لم يتخلفن عما عليهن ، فبانطلاقهن عنه سماح الطلاق لصاحب الإمرة بعده وكما في طلاقه (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه. والاخوة المورثة باقية ردحا حتى تستتب امر الدولة ويقر قرارها.

ثم لهذه الآية واجهتان : خاصة قد تعني الاولوية في إمرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعده ، فأولو أرحامه بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من سائر المؤمنين من الأنصار والمهاجرين.

فهناك أولويتان اثنتان ، أولاهما أولوية ذوي أرحامه (صلى الله عليه وآله وسلم) من سائر المهاجرين والأنصار ، والآخرى الأولوية بين أرحامه أنفسهم ، فعليّ أولى من آل عباس ، والحسنان أولى من سائر ولد الامام ، وولد الحسين (عليه السلام) أولى من ولد الحسن ، وزين العابدين أولى من سائر ولد الحسين ، ومن ثم سائر الأئمة (عليهم السلام) حتى القائم المهدي (عجل الله تعالى فرجه) أولوية بالانتصاب ، وكما الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) منتصب في أوليته بالمؤمنين من أنفسهم ، كل ذلك بوحى من الله ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ وعله أم الكتاب أو اللوح المحفوظ إمّا ذا من كتاب الله ^(١).

(١) لقد مضى شطر من الأحاديث في آية ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ وإليكم شطرا آخر ، ففي تفسير البرهان ٣ : ٢٩١ ح ٢ عن الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لا تعود الامامة في أخوين بعد الحسن والحسين (عليهما السلام) ابداً انما جرت من علي بن الحسين (عليه السلام) كما قال الله ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فلا تكون بعد علي بن الحسين الا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب. وفيه ح ١٣ . ابن بابويه بإسناده عن عبد الأعلى بن أعين قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : ان الله خص علياً بوصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما يصيبه له فأقر الحسن والحسين (عليهما السلام) له بذلك ثم وصية للحسن وتسليم الحسين للحسن (عليه السلام) ذلك حتى افضى الأمر للحسين (عليه السلام) لا ينازعه فيه احد له من السابقة مثل ما له واستحقها علي بن الحسين يقول الله عز وجل ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ «فلا تكونن بعد علي بن الحسين (عليه السلام) الا في الأعقاب وأعقاب.

وفيه ح ١٤ عنه بإسناده عن ثابت الثمالي عن علي بن الحسين (عليه السلام) عن أبيه عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال : فينا نزلت هذه الآية ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وفيها نزلت هذه الآية ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ والامامة في عقب الحسين (عليه السلام) الى يوم القيامة ...» .

ومن ثم تنتقل الاولوية بالرحم عن عنوانها المشير بعد الإمرة المعصومة ، الى الاولوية بالشورى ، وأولوية الشورى في إمرة السياسة والفتوى ، ف . ﴿أُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ عنوان مشير في الإمرة المعصومة المنتصبة حيث الرحم . فقط . ليس ليختص بنفسه الإمرة إلا للأصلحية المنضمّة إليه وهي الأصيلة ، ثم هو في الميراث عنوان للحكم بالاولوية فيه حيث الرحم وقربه هو موضوع الحكم لكونه الرحم ، وهو في إمرة الشورى عنوان بين الاشارة والموضوعية ، اشارة الى الأقربين إلى أهل بيت الرسالة علما وتقوى أرحاما وغير أرحام ، وهي بنفسها الموضوعية حيث الاقربيه إليهم في روحية الرحم هي موضوع الاصلحية في الإمرة .

ف . ﴿أُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ تعني اولي أرحام النبي (صلى الله عليه وآله

. وفيه ح ١٥ عنه بإسناده عن إسماعيل بن عبد الله قال قال الحسين بن علي (عليه السلام : لما أنزل الله تبارك وتعالى لي هذه الآية ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ ..﴾ سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن تأويلها فقال : والله ما يعني بها غيركم وأنتم اولوا الأرحام فإذا مت فأبوك علي اولى بي وبمكاني فإذا مضى أبوك فأخوك الحسن (عليه السلام) فإذا مضى الحسن فأنت اولى به فقلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! ومن بعدي؟ قال : ابنك علي اولى بك من بعدك فإذا مضى فابنه محمد اولى به فإذا مضى محمد فابنه جعفر اولى به من بعده وبمكانه فإذا مضى جعفر فابنه موسى اولى به من بعده فإذا مضى موسى فابنه علي اولى به من بعده فإذا مضى علي فابنه محمد اولى به من بعده فإذا مضى محمد فابنه علي اولى به من بعده فإذا مضى الحسن اولى به من بعده فإذا مضى الحسن وقعت الغيبة في التاسع من ولدك فهذه الائمة التسعة من صلبك أعطاهم الله علمي وفهمي طينتهم من طينتي ما يقوم يؤذوني فيهم لا أنا لهم الله شفاعتي أقول : وتاويل آية اولى الأرحام بذلك بالغ حدّ التواتر وفيما نقلناه الكفاية كنموذج.

وفي ملحقات الاحقاق ٣ : ٤١٨ ذكر نزولها في علي وأئمة اهل البيت جماعة من أئمة الحديث منهم الترمذي في مناقب مرتضوي ٦٢ نقل اتفاق المفسرين على نزولها في علي لأنه الذي كان مؤمنا ومهاجرا وابن عمه ومنهم ابن مردويه في المناقب كما في كشف الغمة ٩٥

وسلم (نسبياً وروحياً ، ثم أولى أرحامه روحياً ، ومن ثم أولى أرحام المؤمنين نسبياً ، تجمع هذه الثلاث وتعنيها ، قضية المناسبة في ادب اللفظ وحذب المعنى!).

ترى إذ تعني الآية فيما تعنيه الأولوية بالإمرة بين أولى أرحام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما ذا ﴿أَوَّلَىٰ بَعْضٍ﴾ لا «من بعض»؟ - لأنها تعني أولويات عدة هذه منها فلذوي أرحام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أولوية الإمرة من غيرهم ، ومن بينهم أنفسهم ، وكذلك الأولوية في الميراث بين أولى الأرحام ككل من المؤمنين والمهاجرين نسخاً للتوارث بالأخوة ، ومن بينهم أنفسهم الأقرب فالأقرب.

ف . ﴿أَوَّلَىٰ بَعْضٍ فِي ..﴾ هنا تعني أولوية في الإمرة عكس ما كان ﴿النَّبِيِّ أَوَّلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ انهم أولى بالنبي في امرته بعده من غيرهم ، وبعضهم أولى ببعض في ميراث الإمرة من غيرهم ، فعلي أولى بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من غيره كما الحسنان أولى بعلي من غيرهما وهلم جرا الى قائمهم ، أولوية ذات بعدين ، ممن سوى أولى الأرحام ، وممن سواهم بينهم ، الأقرب فالأقرب فيما يحملون من معنى الرسالة وحقيقتها.

فلأولوية واجهتان : خاصة تخص أولى أرحام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهم أنفسهم ومن سواهم ، وعامة تعم أولى الأرحام كلهم في أولوية الميراث تعني تفضلاً بينهم وبين من سواهم من المؤمنين والمهاجرين نسخاً للتوارث بالأخوة ، وتفضلاً بينهم أنفسهم بالقرىب والأقرب ، فإنهم طبقات لا ترث كل تالية مع وجود السابقة ، ضابطة عامة صارمة في كل توارث.

إذا فالميراث فرضا وردا يختص بالأقرب رحما ، فكما لا نصيب لتاليه من فرضه كذلك مما زاد ، فان ترك بنتا من الطبقة الاولى لا سواها ، أخذت نصفه بالفرض : ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ ورد الباقي إليها لآية ﴿أُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ فانها مطلقة في الميراث ، وليس لسائر الطبقات معها ولا للعصبة حق من زائد الفرض ، حيث البنت اولى بابيه ممن بعدها لانها أقرب ، وإذا كان ذو فرض ليس معه اي وارث من طبقاته فله المال كله فرضا وردا ^(١).
﴿... مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (٦).

«إلا ..» استثناء فقط عن اولوية الميراث و «أولياؤكم» تعم ولاية القرابة والمحبة والرقية ، و «معروفا» يخص الثلث وما دونه بدليل آيات الوصية بالثلث ، ومما يدل على مثلث الولاية : ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٤ : ٨) ^(٢).

و «كان ذلك» قد يعني هذه الثلاث كلها ، مما يدل على ان الوراثه بالإخاء كانت مؤقتة في ربح من بداية الدولة الاسلاميه مصلحة.

وهل خصت فاطمة الصديقة عن آية ﴿أُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ فكان سائر المؤمنين اولى منها بفدك وغير فدك ام لم تكن هي من اولى أرحام الرسول

(١) في الكافي باسناده عن حنان قال قلت لابي عبد الله (عليه السلام) اي شيء للموالي؟ فقال : ليس لهم من الميراث الا ما قال الله عز وجل ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾.

(٢) في أحاديث متظافرة ان عليا (عليه السلام) اعطى الميراث كله لخالة دون المولى او بيت المال إذا كانت وحدها ليس معها وارث غيرها.

(صلى الله عليه وآله وسلم) ام . انها ولا سمح الله . كانت كافرة لا تترث أبيها؟ سلوا الخليفة أبا بكر وزميله عمر عن هذه المسألة تسمعون الحديث المختلق «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» ثم سلوها بتحييكم آيات الإرث ، ردا لحديث الخليفة الى كتاب الله وضربا عليه عرض الحائط لمخالفة الكتاب في خطبتها وقد نقلها أئمة الحديث بما لا نكير عليه ^(١)!

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (٧) لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾.

ميثاق واحد مطرد يشمل كافة «النبیین» فانه جمع محلى باللام يفيد استغراق مدخوله ، و «ميثاقهم» يوحي باختصاصه بهم لا يعدوهم الى سواهم من نبي او مرسل غير نبي حيث «النبیین» هم اولوا النبوة والرفعة بين المرسلين فضلا عن دونه من نبيء لم يرسل فضلا عن ان ينبو في رسالته!

فلو كان الميثاق لعامة المرسلين لكان «من المرسلين» ام ولعامة من يوحى إليهم وان لم يرسلوا لكان «النبیین» ام لعامة الصديقين او الصادقين لكانوا هم ام أولاء ولكنه «من النبیین».

هنا ميثاق منهم يعمهم ، لأمر ما يهمهم كلهم في هامة النبوة ، وفي اخرى ميثاق آخر منهم كلهم لإيمانهم ونصرتهم لآخرهم مبعثا وأولهم ميثاقا : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ

(١) ومنهم احمد بن أبي طاهر البغدادي في بلاغات النساء ١٤ وابن أبي الحديد في شرح النهج ٤ : ٧٨ و ٩٢ وعمر رضا كحالة في أعلام النساء ٣ : ١٢٠٨ وابو بكر الجوهري في كتابه على ما في تظلم الزهراء ٣٨.

رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٣ : ٨١﴾ هنا إصر بإقرار وشهادة لميثاق الايمان والنصرة بهذا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهنالك ميثاق غليظ ، فأين ميثاق من ميثاق ، كما البون بينهم وبين خاتم النبيين!

وفيما هنالك ايضا نراه يتصدّر في ميثاقهم : «ومنك» وهو آخرهم ، مما يوحي باوليته ميثاقا ونبوة ورفعة ومن ثم «من نوح» ومن بعده حسب الترتيب الرسالي لا الرسولي.

وهنا ترتيب ثلاثي بعموم النص لـ «النبيين» واختصاص صاحب الرسالة الاخيرة بينهم «ومنك» ثم اختصاص ثان بين من دارت عليهم الرحي ، يهدف الى بيان محتده الاول في نبوته وميثاقه ومنازله الرسالية والرسولية بينهم ، وكما يبين ان الخمس المذكورين هم أفضل النبيين ككل.

فقيم يسئل : متى أخذ ميثاقك؟^(١) «متى استنبئت؟»^(٢) «متى كنت نبيا»^(٣)
«متى وجبت لك النبوة»^(٤) «متى جعلت نبيا؟»

-
- (١) الدر المنثور ٥ : ١٨٤ . اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :! .
- (٢) المصدر اخرج ابن سعد قال قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :! : ..
- (٣) المصدر اخرج البزار والطبراني في الأوسط وابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :! . وأخرجه مثله احمد والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم وصححه وابو نعيم والبيهقي معا في الدلائل عن مسيرة الفخر قال قلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :! : .. واخرج مثله ابن سعد عن مطرف بن عبد الله ابن الشخير ان رجلا سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ..
- (٤) المصدر اخرج الحاكم وابو نعيم والبيهقي عن أبي هريرة قال قيل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ..

(١)؟ يجيب : «وآدم بين الروح والجسد» . «وآدم منجدل في الطين» «وآدم بين الروح والطين» وكان إذا قرأ الآية قال : بدى بي في الخير وكنت آخرهم في البعث (٢) «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدىء بي قبلهم» (٣) وعلى الجملة «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» (٤) فهل يعني من نبوته «وآدم بين الروح والجسد» نبوته في علم الله؟ وقد كان يعلمها قبل ان يخلق الخلق! وكان يعلم نبوة سائر النبيين كذلك ، وذلك مخصوص به .

او يعني كونه مخلوقا قبل خلق آدم أبيه؟ ولم يخلق إلا من أبيه! ام يعني نبوته في الروح قبل ان يخلق جسده من آدم ، فكونه قبله . إذا . ليس كونه ككل فأنما هو نبوته؟ والقرآن ينص على ان واقع نبوته كان بعد ربح من خلقه في جسده!

ام يعني منها كيان نبوته حينذاك لا كونها كما كان يوم مبعثه ، وكما تدل عليه آية الميثاق له ﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ... لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ ولا نبي كمثلته يؤخذ على من قبله ميثاق نصرته والایمان به وهو لم يبعث بعد؟ وهذا صحيح في نفسه ولكنما الميثاق المأخوذ عليه بينهم وقبلهم هنا

. الله عليه وآله وسلم) .. قال بين خلق آدم ونفخ الروح فيه .

(١) المصدر اخرج ابو نعيم عن الصناحي قال قال عمر : ..

(٢) المصدر اخرج ابن أبي شيبة عن قتادة قال كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا قرأ ...

(٣) المصدر اخرج الحسن بن سفيان وابن أبي حاتم وابن مردويه وابو نعيم في الدلائل والديلمي وابن عساكر من

طريق قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآية : ...

(٤) كما استفاض من طرق الامامية .

يتطلب له كونا يجنب ذلك الكيان ، فهم كلهم مشتركون في كون ما ، أخذ عليهم فيه الميثاق العام ، وهو قبلهم في ذلك الكون اضافة الى ذلك الكيان.

فقد كان قبل ان يخلق ويبعث نبيا له كيان الايمان به والنصرة له من النبيين أجمع ، كما له كون في الروح قبل خلقه ككل وقبل بلوغه ذروة النبوة ، وقد يصلح هذا المعنى لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ علي الميثاق واستتبنت وآدم بين الروح والجسد^(١).

(١) تفسير البرهان ٣ : ٢٩٤ ح ١ علي بن ابراهيم قال حدثني أبي عن النضر بن سويد عن ابن سنان قال قال ابو عبد الله (عليه السلام) أوّل من سبق الى الميثاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك انه كان اقرب الخلق الى الله وما كان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما أسري به الى السماء تقدم يا محمد لقد وطئت موطئا لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولو لا ان روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر ان يبلغه فكان من الله عز وجل كما قال الله كقاب قوسين او ادنى اى بل ادنى فلما خرج الأمر وقع من الله الى أوليائه عليهم السلام ، فقال الصادق (عليه السلام) كان الميثاق مأخوذا عليهم لله بالربوبية ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنبوة ولأمير المؤمنين والائمة عليهم السلام بالامامة فقال : الست بربكم ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نبيكم وعلي (عليه السلام) إمامكم وأئمة الهادين (عليهم السلام) أئمتكم؟ قالوا : بلى فقال الله : شهدنا ان تقولوا يوم القيامة اى لئلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فأول ما أخذ الله الميثاق على الأنبياء له بالربوبية وهو قوله : وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم فذكر جملة الأنبياء ثم ابرز عز وجل أفضلهم بالاسامي فقال : ومنك يا محمد فقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنه أفضلهم ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضلهم ثم أخذ بعد ذلك الميثاق لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله وسلم على الايمان به وعلى ان ينصروا امير المؤمنين (عليه السلام) فقال : وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لتؤمنن به ولتنصرنه يعني امير المؤمنين (عليه السلام) تخبروا أممكم بخبره وخبر وليه من الائمة (عليه السلام)

عرفنا الميثاق له منهم في نصرة له وإيمان به هما لزام نبوتهم ، وإيتاء الكتاب والحكمة لهم ، فما هو الميثاق الذي يعمه معهم ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾؟.

قد يعنيهما «منهم» دون «منكم» وقد كان يتطلبه «ومنك» خطاب الحاضر ، ﴿أَخَذْنَا مِنْهُم﴾ لك كما في آية آل عمران ، وأخذنا منهم وأنت فيهم كما هنا ، فغلظ الميثاق علّه لغلظ الموثوق له ، فميثاقهم ككل «ميثاقهم» و ﴿مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ لك ﴿مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ أمّا ذا؟

قد نتعرف الى ميثاقهم كلهم من ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ سَأَلْتَهُنَّ خَالِصًا وَلَلْظُلْمَ لَكَ فِي أَخْذِ ذَلِكَ وَلِلْأَنفُسِ عَذَابٌ لَشَدِيدٌ﴾ ومن سؤالهم أنفسهم ألا يتخرجوا في الإنذار كما أمروا : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ. اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ... فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ (٧ : ٧) ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ (٣٣ : ٢٣٨)

وأول الإنذار الجماعي هو عن الإشراف بالله ﴿وَسْأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (٤٣ : ٤٥) وألا يسألوا أجرا على بلاغهم ويستقيموا اليه.

كذلك والسنة الجماهيرية الرسالية ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ (٢١ : ٩٢) ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (٤٢ : ١٣).

ثم و ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ سَأَلْتَهُنَّ خَالِصًا وَلَلْظُلْمَ لَكَ فِي أَخْذِ ذَلِكَ وَلِلْأَنفُسِ عَذَابٌ لَشَدِيدٌ﴾ لها واجهتان كما للميثاق ، ف . «الصادقين» المسئولين عن ميثاقهم له (صلى الله عليه وآله وسلم) هم

النبيون ، إذ يسألون عن صدقهم في إقرارهم وأخذهم الإصر في ميثاقهم ليؤمنن به ولينصرنه ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ بهذه الرسالة الاخيرة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾

وفي واجهة عامة يسأل الصادقون . النبيون . عن صدقهم في ميثاقهم ، والصادقون سواهم كذلك ، والمسئول والمسئول عنه شاهدا صدق على صدقهم (عليهم السلام) فيما كان عليهم.

وكما يسأل الصادقون الآخرون عن صدقهم في تصديقهم لهم (صلوات الله عليهم) وتطبيقهم شرعتهم ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ تصديقا او تطبيقا ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

ثم وفي وجهة عامة ﴿لَيْسَ لِلصَّادِقِينَ﴾ من نبين وسواهم «عن صدقهم» فيما حملوا ، هل عملوا بما تحمّلوا من تبليغ ومن تطبيق ، وقد تعنيها الآية كلها ، فالكمل مسئولون عما أرسلوا وعما حملوا وتحملوا عما اعتقدوا و .. ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ..﴾ (٥ : ١٠٩).

ذلك ميثاق غليظ على النبیین أجمعين ليسئلهم «الصادقين» عن صدقهم ^(١) وليسأل الصادقين المرسل إليهم عن صدقهم أولاء وعن صدقهم أنفسهم

(١) الدر المنثور ٥ : ١٨٣ . اخرج الطبراني وابن مردويه وابو نعيم في الدلائل عن أبي مريم الغساني ان أعرابيا قال يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما أول نبوتك؟ قال : أخذ الله مني الميثاق كما أخذ من النبیین ميثاقهم ثم تلا ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ...﴾ ودعوة أبي ابراهيم قال : وابتعث فيهم رسولا منهم وبشارة المسيح بن مريم ورأت ام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في منامها انه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام.

في تصديقهم ، مما قد يلحق بأخذ الميثاق من المرسل إليهم مع المرسلين ، وعَلَّه من فطرهم أما
 ذا مما هو حجة عليهم ، إذ لم يكونوا قبل كونهم في كون أو كيان به يعقلون ^(١) وقد يعنيه
 الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يرويه «خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق
 النبيين وعرشه على الماء فأخذ أهل اليمين بيمينه وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى وكلتا يدي
 الرحمن يمين فأما أصحاب اليمين فاستجابوا إليه ... قال قائل فما العمل فقال (صلى الله
 عليه وآله وسلم) يعمل كل قوم لمنزلتهم.» ^(٢) فأهل اليمين هو من استجاب لفطرته خلاف
 أهل الشمال ، دون ان يسبقهم عالم قبل خلقهم إذ لا يذكره احد فكيف يكون حجة عليه
 اللهم إلا أحكام الفطرة التي فطر الناس عليها!

-
- (١) المصدر اخرج أبو نعيم والديلمي عن ابن مسعود قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس من عالم
 الا وقد أخذ الله ميثاقه يوم أخذ ميثاق النبيين يدفع عنه مساوي عمله لمحاسن عمله الا انه لا يوحى اليه.
- (٢) المصدر اخرج الطيالسي والطبراني وابن مردويه عن أبي العالية قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
 ... فاستجابوا اليه فقالوا لبيك ربنا وسعديك قال الست بربكم قالوا بلى فخلط بعضهم ببعض فقال قائل منهم يا
 رب لم خلطت بيننا فان لهم اعمالا من دون ذلك هم لها عاملون؟ قال : ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا
 غافلين ثم ردهم في صلب آدم (عليه السلام) فأهل الجنة أهلها وأهل النار أهلها فقال قائل فما العمل فقال رسول
 الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ... فقال ابن الخطاب اذن نجتهد يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَفْطَارِهَا ثُمَّ سَأِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا

يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَاهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَخْرَابَ لَمْ يَذْهَبُوا

وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُون عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا (٢٥)

وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ
وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

غزوة الأحزاب . الخندق!؟

لقد جند الكفر أحزابه وتجمع خيله ورجله في خندق واحد ضد الإيمان كله حول
المدينة المنورة ، وهنا مقطع من سورة الأحزاب في تسعة عشر آية ، يتحدث عن غزوة
الأحزاب كحدث ضخم من الأحداث التي ابتلي بها المسلمون في حياة الرسول (صلى الله
عليه وآله وسلم) ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ يتحدث هنا عن موقف
المؤمنين ووقفه المنافقين بينهم وبين الأحزاب مزعزين ، وموقف النعمة الخاصة الربانية التي
خصتهم في تلكم الزلزال والزعزعة ، مما يتوجب عليه أن يدخروه زادا لهم في عراقيل السبيل الى
تحكيم الدولة الاسلامية على مر الزمن حتى تقوم الدولة الاسلامية العالمية زمن المهدي عجل
الله تعالى فرجه الشريف.

غزوة الأحزاب . في السنة الرابعة او الخامسة من الهجرة . كانت

امتحاناً للمؤمنين ، وامتهاناً للمنافقين ، ومدحرة للأحزاب الكافرة التي استهدفت بتحزبها الجماعي الجماهيري استئصال ناشئة الإسلام ، فاندحرت هي رغم عدتها وعدتها الهائلة ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا. وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

لقد تحزب المشركون واليهود بأسرهم ، ومعهم اضراهم من منافقين وسواهم تدخلا في حرب او تخلفا عن حربهم ، فحلّقوا على المدينة من فوق ومن أسفل حتى زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وظن طائون بالله الظنون ، وابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزلا شديدا ، وقال المنافقون قولتهم وفعلوا فعلتهم ، وهنالک أدرك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنين نصر من الله ف . ﴿كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ..﴾ ! :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٩).

في هذا العرض الوجيز تبدأ المعركة وتختتم بعناصرها الغيبية الحاسمة لها لصالح المؤمنين ، و ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ دون «نعمة من الله» توحى انها كانت لدنية خاصة ، كأن نعمة النصره الايمانية منحصرة فيها منحسرة عن سواها ، فهنالک هجمة الأحزاب ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ ففاجأتها ما لم يخلد بخلدها ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ . وقد قال الرسول

(صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الأحزاب : «الآن نغزوهم ولا يغزونا»^(١).
وكيف تحزبوا ضد المؤمنين بكل طاقاتهم وامكانياتهم ، وكيف قتلوا وأسروا وحسروا
وانحسروا دون حرب طاحنة؟^(٢) فهذه الآيات يقص

(١) الدر المنثور ٥ : ١٩٢ . اخرج احمد والبخاري وابن مردويه عن سليمان بن صرر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الأحزاب : ..

(٢) علي بن ابراهيم القمي يذكر قصة الأحزاب بتفصيل يقول فيه .. فانها نزلت في قصة الأحزاب من قريش والعرب الذين تحزبوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك ان قريشا تجمععت في سنة خمس من الهجرة وساروا في العرب وجلبوا واستفزههم لحرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فوافوا في عشرة آلاف ومعهم كنانة وسليم وفزارة وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين اجلى بني النضير وهم بطن من اليهود من المدينة وكان رئيسهم حي ابن اخطب وهم يهود من بني هارون فنجا أحدهم من المدينة صاروا الى خيبر وخرج حي بن اخطب الى قريش بمكة وقال لهم ان محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) قد وتركهم ووترنا وأجلانا من المدينة من ديارنا وأموالنا وأجلا بين عمنا بني قينقاع فسيروا في الأرض واجمعوا حلفاءكم وغيرهم وسيروا إليهم فانه قد بقي من قومي يثرب سبعمئة مقاتل وهم بنو قريظة وبينهم وبين محمد عهد وميثاق وانا احملهم على نقض العهد بينهم وبين محمد ويكونوا معنا عليهم فتأتونه أنتم من فوق وهم من أسفل وكان موضع بني قريظة من المدينة على قدر ميلين وهو الموضع الذي يسمى بئر بني المطلب فلم يزل يسير معهم حي بن اخطب في قبائل العرب حتى اجتمعوا قدر عشرة آلاف من قريش وكنانة والأقرع بن حابس في قومه والعباس بن مرداس في بني سليم فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستشار .

القصة كما يتضمن رءوس أقلامها وكما يضمن بقاءها على مد الزمن نموذجاً بارعاً من نماذج النصر ، كاشفة لهم من جوانبها ما لم يدركوها ، ويلقي

. أصحابه وكانوا سبعمائة رجل فقال سلمان يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة ولا يمكنهم ان يأتونا من كل وجه فانا كنا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخنادق فيكون الحرب من مواضع معروفة فنزل جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : أشار بصواب فامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحفرة من ناحية احد الى راتج وجعل على كل عشرين خطوة وثلاثين خطوة قوما من المهاجرين والأنصار يحفرونه فامر فحملت المساحي والمعاول وبدأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخذ معولا فحفر في موضع المهاجرين بنفسه وامير المؤمنين (عليه السلام) ينقل التراب من الحفرة حتى عرق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعيي وقال : لا عيش الا عيش الآخرة اللهم ارحم للأنصار والمهاجرة فلما نظر الناس الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحفر اجتهدوا في الحفر ونقل التراب فلما كان في اليوم الثاني بكروا الى الحفر وقعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مسجد الفتح فبينما المهاجرون والأنصار يحفرون إذ عرض لهم جبل لم يعمل المعاول فيه فبعثوا جابر بن عبد الله الانصاري الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلمه بذلك قال جابر فجئت الى المسجد ورسول الله مستلقي على قفاه ورداءه تحت رأسه وقد شد على بطنه حجرا فقلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد عرض لنا جبل لم تعمل المعاول فيه فقام مسرعا حتى جاءه ثم دعا بماء في إناء فغسل وجهه وذراعيه ومسح على رأسه ورجليه ثم شرب ومج في ذلك الماء ثم صبه على ذلك الحجر ثم أخذ معولا فضرب ضربة فبرقت برقة فنظرنا فيها الى قصور الشام ثم ضرب أخرى فبرقت برقة نظرنا فيها الى قصور المدائن ثم ضرب أخرى فبرقت برقة أخرى فنظرنا فيها الى قصور اليمن فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اما إنه سيفتح الله عليكم هذه المواطن التي برقت فيها البرق ثم انحال علينا الجبل كما ينهال علينا الرمل فقال جابر : فعلمت ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مقو اي جائع لما رأيت على بطنه الحجر فقلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هل لك في الغذاء؟ قال : ما عندك يا جابر؟ فقلت : عناق .

أضواء منها على سراديب النفوس ومنحنيات القلوب ومحبّات الضمائر ولكي يتدربوا ويتأدّبوا بمعدات الحرب الدفاعية الوقائية كيفما كانت عدّة المهاجمين وعدّتهم وتلك نعمة منقطعة النظر في هكذا الخطر الخطير ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من فوقكم ومن أسفل منكم .. ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ وابتليت وزلزلتم زلزالا شديدا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ راحت بها راحتهم وانزاحت عدّتهم وعدّتهم ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وعليهم رأوها وهابوها فانهمزوا دون حرب طاحنة

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾

قد تكون هذه الريح ريح الصبا كما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١) والجنود عليهم من الملائكة المردفين كما في آية أخرى.

﴿إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (١٠).

﴿مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ هما جانبان من جوانب المدينة ، والمهاجمون على أحزابهم حزبان : اليهود والمشركون ، إذا فأحدهما ﴿جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ والآخر ﴿مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ وطبعا المشركون من جانب مكة فهو جانبها الغربي : ﴿مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ فأحزاب اليهود من

. الأثنى من أولاد المعز) وصاع من شعير فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) تقدم وأصلح ما عندك قال جابر فجنّت الى أهلي فأمرتها فطحنت الشعير وذبحت العنز وسلختها وأمرتها ان تجز وتطبخ وتشوي فلما فرغت من ذلك جنّت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

(١) الدر المنثور ٥ : ١٨٥ . اخرج البخاري ومسلم والنسائي وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): نصرت بالصبا وأهلكك عاد بالدبور.

الجانب المقابل الشرقي : من فوقكم ، وما أطفه تعبيرا للشرقي بالفوق حيث اليهود كانوا قريبين منهم كأهم فوق رؤوسهم وان المشرق فوق إذ تتفوق فيه الشمس فهو يتفوق المغرب ، وما أطفه للغربي ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ «لأسفلكم» فإنهم كانوا بعيدين عنهم وفي الجانب الغربي وهو سفلى الشمس.

ثم الجأءون من فوق كانوا أخطر لقرهم مكانا وبعدهم عن التهجم لمكان العهد التي وثقت بينهم وبين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فمفاجئتهم أخطر ، وخطرهم أكثر ، ولكنما المشركون كانوا أسفل لبعدهم المكان والتهيب لهم أكثر مما لليهود بفارق عدم الميثاق.

هنا تتمثل صورة الهول الفظيع الفجيع التي سلبت من جموع المؤمنين أبصارهم : ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ وقلبت قلوبهم : ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ فخلقت ظنونا لا تليق بساحة الايمان : «وتظنون بالله الظنونا إنهم إذ يرون الحق كله معهم والباطل كله مع الأحزاب ، ثم يفاجئون بهذه الفجأة النكراء الدهماء الدهياء ، فكيف تظل أبصارهم كعادتها لا تزيع ، وقلوبهم في مكاناتها لا تبلغ الحناجر ، ولكن لماذا ﴿تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ دون ان ترونها امتحانا وبلاء دون امتهانة لعناء.

زيع الأبصار هو انحرافها عن حق الإبصار إذ أبصروا الأحزاب هاجمة ، وبلوغ القلوب الحناجر يصور مدى الخوف حيث كادت تهرق به النفوس .. وهذه حالة المجموعة من ضعفاء الايمان والمنافقين ، وأما المؤمنون الحقيقيون ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٣٣).

قصة الأحزاب هنا ترسم مربعا من وسطها للمهاجرين ، وللمؤمنين ، وضعفاء الايمان ، وللمنافقين ، فتوضّح لكل دوره

﴿هٰنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (١١).

في هذه البلية الزلزال نجح أقوياء الايمان : ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ وزلزل الإخفاء وبسطاء الايمان : ﴿إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ..﴾ وبرز كامن النفاق من المنافقين المدعين الايمان ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ..﴾ وقد تشمل الكل ﴿هٰنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ...﴾ ام وقبلها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ فإختم آمنوا بألستهم ولم تؤمن قلوبهم ، والبسطاء : ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ولكنما الأقوياء آمنوا بقلوبهم كما آمنوا بألستهم ففيما بلغت قلوبهم الحناجر قالوا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! هل من شيء نقول فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال : نعم قولوا : اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فضرب الله وجوه أعدائه بالريح فهزمهم الله بالريح» (١)

(١) الدر المنثور ٥ : ١٨٥ . اخرج احمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله (ص)! ... وفيه اخرج الحاكم وصححه وابن مردويه وابن عساكر وابو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل من طرق عن حذيفة قال : لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود وابو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة اليهود أسفل نخافهم على ذرارينا وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا منها أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى احد منّا إصبعة فجعل المنافقون يستأذنون النبي ... وفيه اخرج الفريابي وابن عساكر عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال قال رجل لو أدركت رسول الله (ص) لحملته ولفعلت فقال حذيفة لقد رأيتني ليلة الأحزاب ونحن مع رسول الله (ص) فكان رسول الله (ص) يصلي من الليل في ليلة باردة ما قبله ولا بعده برد كان أشد منه فحانت مني التفاتة فقال (ص) : ألا رجل يذهب الى هؤلاء فيأتينا بخبرهم جعله الله معي يوم القيامة؟ قال : فما قام منّا انسان قال : فسكتوا ثم عاد فسكتوا ثم قال يا أبا بكر ثم قال استغفر الله رسوله ثم قال : ان شئت ذهبت فقال يا عمر فقال استغفر الله ورسوله ثم قال (ص) : يا حذيفة؟ فقلت : لبيك فقممت حتى أتيت وان جنيت .

وليس ذلك الابتلاء الزلزال للمؤمنين ليختص بما مضى وهم حضور لدى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فان له أشباها ونظائر قد تكون ابلى مما مضى وكما يبتلون زمن الغيبة ولا سيما في أواخرها ، وليس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم ولا أحد من عترته إلا الغائب وكما يروى عن امير المؤمنين (عليه وآله وسلم): «أما إنه سيأتي على الناس زمان يكون الحق فيه مستورا والباطل ظاهرا مشهورا وذلك إذا كان أولى الناس به أعداءهم له واقترب الوعد الحق وعظم الإلحاد وظهر الفساد هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ونحلهم الأخيار أسماء الأشرار فيكون جهد المؤمن ان يحفظ مهجته من اقرب الناس اليه ثم يفتح الله الفرج لأوليائه ويظهر صاحب الأمر على أعدائه»^(١).

ان دور المنافقين في هذا الوسط كان أنحس دور وأتعسه ، تندد بهم عديد من آيات القصة شديد في أبوابهم الجهنمية السبع :

١ ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢).

كلمة تكلم القلوب وتجرح الأكباد ، يقولونها في هذه البلاء الزلزال

. ليضربان من البرد فمسح رأسي ووجهي ثم قال : أئت هؤلاء القوم حتى تأتينا بخبرهم ولا تحدث حدثا حتى ترجع ثم قال : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه قال فلان يكون أرسلها كان أحب اليّ من الدنيا ، وما فيها قال فانطلقت فأخذت امشي في حمام قال فوجدتهم قد أرسل عليهم ريحا فقطعت اطنابهم وأبنيتهم وذهبت بخيولهم ولم تدع شيئا الا أهلكته قال : وابو سفيان قاعد يصطلي عند نار له ، قال فنظرت فأخذت سهما فوضعت في كبد قوسي قال وكان حذيفة راميا فذكرت رسول الله (ص) لا تحدثن حدثا حتى ترجع قال : فرددت سهمي في كنانتي ...

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٤٢ ح ٣٤ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن امير المؤمنين حديث طويل يقول فيه : ..

لتأخذ مجالاتها من قلوب الناشئة ولما يدخل الإيمان في قلوبهم ، ومن قلوب ضعفاء الإيمان ، لا سيما وهم كانوا ممن يتقشفون في مظاهر الإيمان ويتسابقون ، فهم قد يعتبرون وعود النصر والإنصار من الله ورسوله غرورا ، يقوله المنافقون ويتبعهم الذين في قلوبهم مرض الشك وشائبه النفاق ، فيصبحان حزبا واحدا في هذه الدعاية النكراء.

﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ حينما تفرد تعني في الأكثر . المنافقين وحينما تقرر بالمنافقين تعني من يحن إليهم ويهواهم ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ (٨ : ٤٩) ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ (٣٣ : ٦٠) وقد يعني المرض دونهما كما الشهوة : ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (٣٣ : ٣٢) وكل انحراف في القلب مرض عقيدا او علميا او أخلاقيا أما ذا؟.

فقد وجد هؤلاء الأوغاد الأنكاد في هذا البلاء المنزل والشدة الآخذة بالحناق فرصة للكشف عن امراض قلوبهم وهم آمنون ألا لومة عليهم ، والمجالة أهلة ، والريبة آخذة مجالها من قلوب بلغت الحناجر ، فالواقع المنزل بظاهره يصدقهم في غرورهم كأهم منطقيون في قولتهم في هذا المسرح الهائل ، حيث أزيح عن قلوب البسطاء والأخفاء ذلك الستار الرقيق من تحمل الإيمان ، وهذه هي سيرة النفاق ، تفتش عن المجالات الأسرع تأثرا والأوقع تحسرا ، زعرا للشكوك فيها ، وحصدا للناشئة لتنضم إلى حزبهم وهنالك الطامة الكبرى.

لكنما الله يكشف دوما عن نواياهم وجناياهم ، تعريفهم بهم ومختلف الشبايبك من نفاقهم ، ومؤلف الشبكات من مكائدهم :

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (١٣).

ذلك بعد ما جئ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المؤمنين أمام الخندق حول المدينة ، في صفوف متراسة متربصة وفيهم منافقون ، هنا يخاطبون اهل يثرب المدينة خطاب التهيب من العدو الرهيب ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ وهو مفعول من الإقامة ، مصدرا واسم زمان ومكان ، لا إقامة لكم هاهنا دفاعا او هجوما إلا انهما ، ولا زمانها ولا مكانها ، إذ لا قبل لكم في أصل المقاومة ولا زمانها ولا مكانها ، والانهم كائن في مثله لا محالة «فارجعوا» الى منازلكم وقد تكون بيوتكم عورة ، او تهاجم من قبل العدو وأنتم هنا في معركة خاسرة؟! يرضون هكذا أهل المدينة على ترك الصفوف بدعوة خبيثة تأتي النفوس من ثغراتها الضعيفة ، من محدد الخطر وجامح الهول والغيرة على البيوت العودة كما :

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (١٣).

انهم في ثالث الخيانة بزعة الجيش ، دعاية لرجوعهم واستئذاناً لأنفسهم ، أو رجوعاً دون إذن ، ومعهم متشاقلون لم يحضروا الصفوف ، وأخطر زواياهم ﴿وَيَسْتَأْذِنُ .. إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ..﴾ ذليلة الحيطان وهي في أقصى المدينة ^(١). لكي يوجهوا زحفهم بوجهة الاستئذان لحفظ العورة ،

(١) الدر المنثور ٥ : ١٨٨ . اخرج ابن أبي حاتم عن السري في الآية .. فارجعوا قال : الى المدينة عن قتال ابن سفيان ويستأذن فريق منهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : جاءه رجلان من الأنصار من بني حارثة أحدهما يدعى أبا عرابة بن أوس والآخر يدعى أوس بن قبيط فقالا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان بيوتنا عورة يعنون انها ذليلة الحيطان ونحن في أقصى المدينة ونحن نخاف السرقة فائذن لنا فقال الله : ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾.

ويجرحضوا غيرهم بظاهر الغيرة على العورة فاستأصلا لصفوف الجيش.

ويثرب : المدينة . الطيبة : مدينة تأكل القرى تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد ^(١) فلان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سكنها وأسس دولة الإسلام فيها ، ثم توفي ودفن فيها ، فهي إذا مدينة إذ مدنها الرسول ، وطيبة إذ طيبها.

٤ . ﴿وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا

يَسِيرًا﴾ (١٤).

«لو دخلت» المدينة «عليهم» : المنافقين والذين في قلوبهم مرض «من أقطارها» : وكل جوانبها ﴿ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ﴾ : ان يفتنوا مع الداخلين ضد المؤمنين «لآتوها» : الفتنة ، تاركين بيوتهم العورة لينضموا الى الداخلين ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ بقاء في بيوتهم العورة ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ ما تيسر لهم في لبثهم! ام «لو دخلت» بيوتهم العورة من أقطار المدينة «ثم سئلوا فتنة الحرب مع المؤمنين لآتوا الفتنة خارج بيوتهم وما تلبثوا ببيوتهم الا يسيرا! ام «لو دخلت» ايّ مدخل منهما ، ثم سئلوا فتنة الردة الى الكفر لآتوها وما تلبثوا ببيوتهم العورة إلا قليلا ولماذا «لو» إحالة للدخول عليهم؟ حيث الكافرون لا يدخلون عليهم محاربين! بل لسؤال الفتنة

(١) المصدر واخرج مالك واحمد وعبد الرزاق والبخاري ومسلم وابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي .. واخرج احمد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن البراء بن عازب قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هي طابة هي طابة واخرج ابن مردويه عن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : لا تدعوها يثرب فانها طيبة يعني المدينة ومن قال يثرب فليستغفر الله ثلاث مرات هي طيبة هي طيبة هي طيبة.

الردة والمشاركة في الهجمة على المؤمنين! فهناك ينسون البيوت العورة إذ يجدون آمالهم من اضربهم ، ولا يخافون على بيوتهم من المؤمنين آمن ذا؟!

ذلك شأنهم الشائن والأعداء بعد خارج المدينة ، يعتذرون في الخطر المتوقع للفرار ، أن بيوتنا عورة ، ولكنهم في واقع الخطر ﴿لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾ يعكسون الأمر إذ يأتون الفتنة والردة من بيوتهم العورة إذ لا تهمهم ، وإنما تهمهم الفتنة أن يأتوها حبوا سراعا دون تلبث إلا يسيرا يأخذون عدتهم لما سئلوا!

هكذا يكشفهم القرآن في تناقض الشخصية المنافقة ، وانهم يولون الأدبار رغم ما عاهدوا الله :

٥ . ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلَوْنَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ (١٥).
أترى انه عهد الايمان لما آمنوا بألسنتهم؟ ولا يخص ﴿لَا يُؤْلَوْنَ الْأَذْبَارَ﴾! ام عهده بهذا الخصوص؟ ولم يذكر في القرآن! ولكن «من قبل» ليس لزامه ذكره في القرآن ، فقد ذكر في الأثر أنهم هموا أن يفشلوا يوم احد مع بني سلمة حين همتا بالفشل يومها ، ثم عاهدوا الله ألا يعودوا مثلها ابدًا ، فهنا يندد بهم إن نقضوا عهدهم ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾!

ولماذا الفرار من الزحف ولا ينفعهم ، فليس إلا ضررا عليهم وفي الآخرة عذاب اليم :

٢ . ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٦).

«لن» تحيل نفع الفرار إن كان من الموت او القتل في المعركة ، أما معنويا فظاهر حيث الفرار عن الزحف خسار ، وأما بقاء في حياة فالموت او

القتل قدر لا مفر منه ولا منجى عنه : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ۚ﴾ (٤ : ٧٨) ولنن أخرتم بفرار ﴿وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وكل متع الدنيا قليل ، فحتى إن كان كثيرا في فرار عن حكم الله ففي الآخرة عذاب النار وبئس الصير ، فمما الفرار إذا ولا يخلف إلا الخسار ، ولن ينفعكم ، وليس فرار العاقل الا الى نفع او عن ضرر و «لن»!

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ هُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٧).

هنالك يوحد إرادة السوء والرحمة في الله عدلا وفضلا ف . ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦ : ١٧).

أأنتم إن فرتم من الزحف أن يريد الله بكم سوء فلا عاصم منه إلا هو ، او ان فرتم من الزحف ان يريد بكم رحمة فلا راد لفضله إلا هو ، إذا فلما ذا الفرار عن رحمة الله الى نعمته ، ومن خيره الى ضره ، فهؤلاء البعيدون البعيدون « لَا يَجِدُونَ هُمْ » هنا وهناك « مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا » يلي أمرهم « وَلَا نَصِيرًا » ينصرهم في بأسهم!

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨) أَشَحَّةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (١٩).

«قد» تحقق ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ إذ هو حقا يعلم المعوقين منكم : طن منافقين والذين في

قلوبهم مرض ، تثبيطا عن الحرب وصرفا في وهن القول

﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا .. لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ..﴾ وفي ههنا الفعل ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ..﴾ تعويقا لإخوانهم بقوله وفعله مريية ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ : أضراهم في ضعف الايمان ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ تثبيطا وفرارا ، وهم أنفسهم لا يأتون البأس إلا قليلا منه وقليلا منهم ، وهؤلاء القلة في القلة لا يثبتون في البأس بل يثبطون ويثبطون .
وقد يعني ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ فيما يعني قول فلان لرجل بجنبه من إخوانه اما ترى هذا الشيطان عمرو ما يفلت من يديه أحد فهلموا ندفع إليه محمدا ليقتله ونلحق بقومنا فانزل الله آية المعوقين ^(١) وهنالك وقعت الطامة

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٥٠ فيما أورده القمي من القصة .. وأقبلت قريش فلما نظروا الى الخندق قالوا هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك فقبل لهم : هذا من تدبير الفارسي الذي معه فوائ عمرو بن عبد ود وهبيرة بن وهب وضرار ابن الخطاب الى الخندق وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد صف أصحابه بين يديه فصاحوا بخيلهم حتى طفروا الخندق الى جانب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فصاروا اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلهم خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقدموا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين أيديهم وقال رجل من المهاجرين وهو فلان لرجل بجنبه ... وركز عمرو بن عبد ود رحمة في الأرض واقبل يجول جولة ويرتجز ويقول : ولقد بححت من النداء لجمعكم هل من مبارز ووقفت إذ جبن السجاع مواقف القرن المناجر

اني كذلك لم أزل متسرعا نحو الهرايز ان الشجاعة في الفتى والجد من خير الغرائز فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من لهذا الكلب؟ فلم يجبه احد فوثب اليه امير المؤمنين (عليه السلام) فقال : انا له يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا علي! هذا عمرو بن عبدود فارس يليل فقال : انا علي بن أبي طالب فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ادن مني فدنا منه فعممه بيده ودفع اليه سيفه ذا الفقار وقال له : اذهب وقاتل بهذا وقال : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فمرّ امير المؤمنين (عليه السلام) يهرول في مشيه وهو يقول :
لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز ذو نية وبصيرة ولصدق منجى كل فائز

. اني لأرجو ان أقيم عليك فاتحة الجنائز من ضربة نجلاء يبقى صيتها بعد الهزاهز فقال له عمرو من أنت؟ قال : انا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وختنه فقال : والله ان أباك كان لي صديقا ونديما واني اكره قتلك ، ما امن ابن عمك حين بعثك الي ان اختطفك برمحي هذا فأتركك شائلا بين السماء والأرض لا حي ولا ميت؟ فقال له امير المؤمنين (عليه السلام) قد علم ابن عمي انك ان قتلتني دخلت الجنة وأنت في النار وان قتلتك فأنت في النار وانا في الجنة! فقال عمرو : كلتاهما لك يا علي تلك إذا قسمة ضيزى فقال علي (عليه السلام) دع هذا يا عمرو إني سمعت منك وأنت متعلق بأستار الكعبة تقول : لا يعرضن عليّ احد في الحرب ثلاث خصال إلا أجبتة الى واحدة منها وانا اعرض إليك ثلاث خصال فأجبنني الى واحدة قال هات يا علي! قال : أحدها تشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : نح عني هذا فاسأل الثانية ، فقال : ان ترجع وترد هذا الجيش عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فان يك صادقا فأنتم أعلى به عينا وان يك كاذبا كفتكم ذؤبان العرب امره ، قال : إذا تتحدث نساء قریش وتنشد الشعراء في اشعارها اني جئنت ورجعت على عقبي من الحرب وخذلت قوما رأسوني عليهم! فقال له امير المؤمنين (عليه السلام) فالثالثة ان تنزل الى قتالي فانك فارس وانا راجل حتى أنابذك (اكاشفك وأقاتل) فوثب عن فرسه وعرقبه : (قطع عرقوبه : عصب غليظ فوق العقب) وقال : هذه خصلة ما ظننت ان أحدا من العرب يسومني عليها : (يكلفني إياها) ثم بدأ فضرب امير المؤمنين (عليه السلام) بالسيف على رأسه فاتقاه امير المؤمنين بالدرقة الترس فقطعها وثبت السيف على رأسه فقال له علي (عليه السلام) يا عمر وما كفاك اني بارزتك وأنت فارس العرب حتى استعنت عليّ بظهير؟ فالتفت عمرو الى خلفه فضربه امير المؤمنين (عليه السلام) مسرعا الى ساقيه فقطعهما جميعا وارتفعت بينهما عجاجة فقال المنافقون قتل علي بن أبي طالب ثم انكشف العجاجة ونظروا فإذا امير المؤمنين (عليه السلام) على صدره قد أخذ بلحيته يريد ان يذبحه ثم أخذ رأسه واقبل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمر وسيفه يقطر منه الدم وهو يقول : انا ابن عبد المطلب الموت خير للفتى من الهرب

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا علي (عليه السلام) ماكرته؟ قال : نعم يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الحرب خديعة وبعث رسول الله (صلى

الكبرى إذ قتل الامام امير المؤمنين (عليه السلام) فارس يليل عمرو بن عبدود فتم انهزام الأحزاب ونزل جبريل بقوله «لا فتى إلا علي لا سيف الا ذو الفقار»! وعندئذ هاجت الرياح وانهزم الكفار وو لولوا الأدبار فهم بين قتيل وجريح وأسير وفار! كما وقد يعني ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ موارد اخرى (١).

٦. ﴿أَشْخَّةٌ عَلَيْكُمْ﴾ : بخلاء في النفس والنفيس والنفسيات ، وليسوا . فقط . لا يساعدون على بأس ، بل ويزيدون بأسا على بأس وبؤسا في بأس بدعاياتهم السوء ، فكلهم كزازات وهزازات ضد المؤمنين ، وإن شأهم الشائن في نفاقهم العام يبرز في خوف البأس وذهابه ،

. الله عليه وآله وسلم) الزبير الى هبيرة بن وهب فضربه على رأسه ضربة فلق هامته وامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمر بن الخطاب ان يبارز ضرار بن الخطاب فلما برز اليه ضرار انتزع له عمر سهما فقال له ضرار ويلك يا ابن صهاك أترميني في مبارزه والله لئن رميتني لا تركت عدويا بمكة الا قتلته فانهزم عمر عند ذلك ومر نحوه ضرار وضربه ضرار على رأسه بالقناة ثم قال : احفظها يا عمر فاني آليت ألا اقتل قرشيا ما قدرت عليه فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولى وولاه.

(١) وفي الدر المنثور ٥ : ١٨٨ . اخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ...﴾ قال : هذا يوم الأحزاب انصرف رجل من عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف فقال له : أنت هاهنا في الشواء والرغيف والنبيد ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين الرماح والسيوف قال : هلم الي لقد بلغ بك وبصاحبك والذي يحلف به لا يستقي لها محمد ابدا قال : كذبت والذي يحلف به وكان أخاه من أبيه وامه والله لأخبرن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمرك وذهب الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يخبره فوجده قد نزل جبريل (عليه السلام) يخبره «قد يعلم الله المعوقين وفيه اخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال : هؤلاء أناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم ما محمد وأصحابه الا اكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان وأصحابه دعوا هذا الرجل فانه هالك والقائلين لإخوانهم الى المؤمنين هلم إلينا اي دعوا محمدا وأصحابه فانه هالك ومقتول ولا يأتون البأس إلا قليلا قال : لا يحضرون القتال الا كارهين وان حضروه كانت أيديهم مع المسلمين وقلوبهم مع المشركين.

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾ وهم بعد في المعركة قبل فرارهم ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ «خوفا كما المحتضر ، او نظرة الإذن للفرار ﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ صورة شاخصة واضحة الملامح تنبئ عن سيرة باخسة ، مضحكة مبكية تثير السخرية من هؤلاء الجبناء اللعناء ، حيث أخذتهم غشوة الموت فغابت حواسهم ، وأخذت أعينهم نظرة لزهاق أنفسهم!

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وامنوا بالبأس «سلقوكم» ضربوكم طعنا ﴿بِالْلسِنَةِ حِدَادٍ﴾ كأنها نيازك نارية ﴿أَشْحَاءَ عَلَى الْحَبِيرِ﴾ ييخلون عليكم أن زال الخوف عنكم بانتصاركم ، وهم يرقبون غلب العدو ، وييخلون على ما غنمتم كأنه لهم كله أو يشاركون ، وهم لا نصيب لهم في الإنتصار!

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ أصبحت ألسنتهم الخرس حدادا طوالا لأنفسهم على المؤمنين ، وارتفعت أصواتهم بعد الرعشة ، وانتفخت أوداجهم بكل رعونة وعظمة ، وادعوا ادعاءاتهم الجوفاء دونما اختجال ولا حياء ، كأن لهم الفضل دون سواهم ، ولم يكن الفضل إلا لسواهم ، ويا له من وقاحة حمقاء ونفاقة لعناء!

وهذا الجيل من النسناس دائبون في ألسنتهم الحداد بين الناس ، صم بكم جناء اعمياء أشحاء لا حراك لهم حين البأس إلا ضدا لصالح الناس ، فصحاء بلغاء حركون ثوريون في كل صرخة صيحاء. في الأمن والرخاء كأنهم هم الذين جاهدوا وغيرهم قاعدون.

«أولئك» المنافقون والذين في قلوبهم مرض ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ لما ادعوا الايمان ﴿فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَاهُمْ﴾ باللايمان ، حيث العمل غير النابع عن الايمان حابط أيا كان ، كما الايمان دون عمل خابط مهما كان أفضل من اللايمان ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ مهما خيل إلى البسطاء ان لكثير العمل اثره وان لم يكن عن ايمان!

٧ . ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢٠).

«يحسبون» المنافقون «الأحزاب» المهاجمة ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ حتى الآن حيث فروا عن زحفهم والخوف ماكن في قلوبهم لا يدعهم يحسبونهم ذهبوا ، وحتى إذا حسبوهم ذهبوا ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ راجعين بعد ذهابهم «يودوا» الحاسبون ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ﴾ خارجون في البادية خارج المدينة «في الاعراب» اهل البادية ، لا هم أمام الأحزاب في المعركة ولا هم في بيوتهم العورة ، وإنما ﴿بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ كسرا للأحزاب فكسالى ، او انكسارا منهم ففرحين ، فهذه حالتهم وليسوا فيكم ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم في قليل من الحرب مسايرة النفاق.

انهم لا يزالون في نعاش وارتعاش وتحاذل واستيحاش ف . ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ وملاحم ذهابهم ظاهرة وهم البعيدون البعيدون عن المعركة ، يظنون خائفين لو ان الأحزاب ما ذهبت ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا﴾ هؤلاء الجبناء لو انهم لم يكونوا من قاطني المدينة ، بل هم بادون في الاعراب ، فليس لهم موقف مما يمضي في المدينة إلا و ﴿يَسْتَأْذِنُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ...﴾!

وهذه سبعة من أبواب جحيم المنافقين المتخللين بين الجماعة الناشئة المؤمنة : ١ .
 ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ...﴾ ٢ . ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا...﴾ ٣ . ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ...﴾ ٤ . ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا...﴾ ٥ . ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ...﴾ ٦ .
 ﴿أَشْجَعًا عَلَيْكُمْ...﴾ ٧ . ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا...﴾!

ثم المؤمنون الصادقون الراجون الله والذاكرون له كثيرا ، لهم أسوة حسنة في رسول الله في هذه المعارك الصعبة :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١).

«أسوة» من «أسو» : اسوت الجرح : داويته ، بخلاف الأسى : الحزن ، فالواوي منه بمعنى المداواة والإصلاح ، واليائي هو الحزن والأسى الجراح ، فالطبيب الأسى : هو المداوي ، والمصلح بين القوم : الأسى ، فالأسوة الحسنة هي حالة خاصة في الاتباع تضمن كلا النفي والإثبات بصورة مطلقة ازالة الأمراض وإصلاح الحال ، ولان الفعللة هي ما يفعل به ، فالأسوة هي ما يؤتسى به ، فهي الحالة التي يداوى بها ويصلح ، فقد تكون للإنسان نفسه كالنبي بما يوحى اليه ، ام باتباع غيره كالمرسل إليهم باتباعه في رسالاته ككل . في قول وفعل وتقرير في عقيدة وأية طوية من نية وعلم ، ام ظاهرة في فعل ام تقرير.

و «أسوة حسنة في رسول الله» تعني الاسوة المطلقة بما يحمل من رسالة الله ، فيقتدي به شفاء لأدواء وإصلاحا بعد زوال الداء! والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) «طبيب دوار بطبه قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه يضع من ذلك حيث الحاجة اليه من قلوب عمي وآذان صم وألسنة بكم متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة ، لم يستضيئوا بأضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة فهم في ذلك كالأنعام السائمة والصخور القاسية ، قد انجابت السرائر لأهل البصائر ووضحت محجة الحق لخابطها وأسفرت الساعة عن وجهها وظهرت العلامة لمتوسمها ، مالي أراكم أشباحا بلا أرواح وأرواحا بلا أشباح ونساكا بلا صلاح وتجارا بلا أرباح وايقاظا

نوما وشهودا غيبا وناظرة عمياء وسامعة صماء وناقطة بكماء»^(١).

والأسوة الحسنة قد تكون مطلقة دون حدود كما «في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)» ام مرفقة بحدود كما في ابراهيم (عليه السلام) : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٦٠ : ٤).

لقد كان ابراهيم في وعد الاستغفار لأبيه وواقعه معذورا ، فلانه ما أصاب الحق هنا على عذر ، فلا أسوة في عمله المعذور ، وهذا يدلنا الى العصمة المطلقة للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث الاسوة فيه مطلقة لا يخطأ ولو معذورا ، ففي كل أقواله واعماله هو أسوة دونما استثناء.

وإذا لا يؤتسى ابراهيم الخليل (عليه السلام) في بعض القول وهو معصوم ، فباحرى ألا يؤتسى غير المعصوم أسوة مطلقة ، وأحيانا هو مأثوم واخرى خاطئ غير مأثوم. إن أسوة الرسول المطلقة هي الحسنه المطلقة ، وتركها المطلق ، سيئة مطلقة ، والعوان بين ذلك : قد تأتسى به وقد لا تأتسى ، هي أسوة غير حسنة ، فقيده اسوته بـ «حسنة» اطلاق لها تحلق على كافة جنابات الحياة الفردية والجماعية ، صعبة ملتوية ، كما في خندق الأحزاب ، ام

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٠٨ في ذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الامام امير المؤمنين (عليه السلام)

سهلة لا تلتوي كالعبادات التي لا تكلف نفسا ولا مالا ، وإنما حالا وأعمالا!.

فالمقتدي به (صلى الله عليه وآله وسلم) في محراب الصلاة ، والتارك له القاعد عنه في محراب الحرب اسوته غير حسنة ، وهو ممن يعبد الله على حرف ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ (٢٢ : ١١)! او الأسوة به في علم دون عمل ، ام عمل دون علم ، ام في علم وعمل دون عقيدة ونية ، أنها أسوة سيئة.

ان خندق الحرب مع الأحزاب حيث ابتلي به المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ، كان فتنة يفتتن بها من يدعون الايمان ، فامتاز به صادق الايمان عن كاذبه ، ومازج الايمان وساذجة عن ناضجه ، وهنالك الاسوة معيار له عياره المطلق ، المؤتسي به في هذه المعركة المزلزلة المزججة له أسوة حسنة في كافة الحالات ، وهو ممن ﴿كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

انها لم تكن صدفة ان تحتفى آية الاسوة بآيات خندق الأحزاب ، قبلها زلزال المؤمنين ونفاق المنافقين ، وبعدها تصديق المؤمنين وزيادة الايمان والتسليم ، والكل بين انهزام الكافرين ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ..﴾ (٩) وردهم بغيظهم ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ (٢٥) خمسة عشرة آية بينهما واخيرتها ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ..﴾!

آية الاسوة تفرض بكل تأكيد وتأيد الاسوة الحسنة المطلقة برسول الله ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

ف . «لقد» تأكيد ان اثنان ، و «كان» تضرب بهذه الأسوة الى اعماق الماضي ، ان ليس تكليفا حاضرا ، بل هو ماض و يبقى ، في مثلث الزمن منذ بداية الايمان لحد الارتحال الى رحمة الله .

وليست هذه الاسوة له (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ ليس إلا رسولا لا يهدف شخصه وشخصيته ، ولا عليكم ، إذ ليس إلا لصالحكم كمؤمنين صادقين ، بل هو «لكم»: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ...﴾!

﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ بما يحمل رسالة الله ، فهي إذا أسوة في الله و ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾! لا في «محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كائنا من كان ، فانه دون رسالة لا أسوة فيه مطلقة فليست حسنة مطلقة!

﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ فرجاء الله في حياته كلها متعرق في أعماقه وارجائه كلها ، فان «كان» هنا كما الاول تضرب الى عمق الماضي ، فليست إذا حالة جديدة بسيطة بادئة ، بل هي ماضية متعمقة متعرق ، عاشها الراجي الله طائلا عميقا من حياته وكان ﴿ذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ لا فقط بلسانه ، فكثير هؤلاء الذاكرون بألسنتهم الغافلون بقلوبهم واعمالهم ، وانما كثيرا بقلوبهم ، الظاهر في أقوالهم واعمالهم ، فالذاكر الله دائبا له أسوة في رسول الله دائبا! لا تقل انه رسول أخلصه الله بعصمة منه ورحمة لدنية ، فكيف لنا . ونحن نحن . فيه أسوة ، فانما الاسوة فيه فيما سوى العصمة ، ما يتوجب عليك كمستسلم لله مخلصا له الدين ، فمهما العصمة لم تكن كسبية ، فما دونها من درجات العارفين ومقامات المخلصين كسبية بتلك الاسوة الحسنة.

يخرج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه يعمل في خندق الأحزاب مع المؤمنين ، يضرب بالفأس كما يضربون ، ويجرف التراب بالمسحاة كما يجرفون ، ويضم صوته الى أصوات المرتجزين ، وهو يقودهم في

كل ذلك وهم فيه يتأسون ، وهو يتقدمهم حين يعيون ، يقول سلمان غلظت عليّ صخرة في ناحية من الخندق فلما رأيته نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثم ثالثة فلمعت أخرى قلت بابي وامي يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! ما هذا الذي رأيت لمع المعول وأنت تضرب؟ .. قال : اما الاولى فان الله فتح علي بها اليمن ، واما الثانية فان الله فتح علي بها الشام والمغرب ، واما الثالثة فان الله فتح علي بها المشرق ..»

هذا والخطر الخطير من الأحزاب محقق ، والقرّ شديد مطبق مرهق ، وحذيفة يرتعش بردا والرسول يصلي فإذا به يحن اليه ويلقي اليه طرفا من ثوبه ليدفئة في حنو وهو يناجي ربه ، وبعد ما ينتهي من صلاته يبشره حذيفة بالتي رآها في برقات كالمعول وعرفها قلبه .

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ كهذه التي كانت للذين معه في مثل هذه المعركة الصاخبة ، لا فقط في اغتنام الغنيمة وصلاة الجماعة «تقول في المجالس كيت وكيت فإذا جاء الجهاد فحيدي حياء!»^(١) فمن الواجب على كل مؤمن ان تحلق الأسوة في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على كل أقواله وعقائده وأحواله وأعماله ، دونما تخلف عنه ولا قيد شعرة ، في فعله وتركه لازاما ورجاحة أما ذا ، وقد «هم عمر بن الخطاب ان ينهى عن الجرة من صباغ البول فقال له رجل : أليس قد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يلبسها؟ قال عمر : بلى

(١) قبسة من مشكاة الامام علي (عليه السلام) في خطبة جهادية.

قال الرجل : ألم يقل الله ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؟ فتركها عمر ^(١).
 كما و «أكب عمر على الركن فقال : اني لا علم انك حجر ولولا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبلك واستلمك ما استلمتك ولا قبلتك ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾» ^(٢).

ثم نرى فلتات من الخليفة عمر تتعارض وهذه الأسوة المجيدة كقوله «إياكم والأحرين : اللحم والنييذ فإنهما مفسدة للدين متلفة للمال» والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول «سيد الإدام في الدنيا والآخرة اللحم ..» ^(٣).

وقد هم الخليفة ان يأخذ حلي الكعبة فيجهز بها جيوش المسلمين فقال له علي (عليه السلام) كان حلي الكعبة فيها زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فتركه الله على حاله ولم يتركه نسيانا ولم يخف عليه مكانا فأقره حيث أقره الله ورسوله فقال عمر : لولاك لافتضحنا» وترك الحلي بحاله» ^(٤).

وقد اشتهر عنه في حكم المتعتين ما يخالف كتاب الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأله (صلى الله عليه وآله وسلم) متعتان كانتا في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حلالا وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء» ^(٥).

(١) الدر المنثور ٥ : ١٩٠ . اخرج عبد الرزاق في المصنف عن قتادة قال : هم عمر بن الخطاب ...

(٢) المصدر . اخرج احمد عن ابن عباس ان عمر ...

(٣ ، ٤ ، ٥) وأشباهاها راجع «علي والحاكمون» تجد فيه تفاصيلها.

وهكذا نراه يتفلسف عن هذه الأسوة المباركة أحيانا ويتلفف أخرى ولماذا؟ انا لا ادري!
 وإليكم نبأ من المؤمنين معه (صلى الله عليه وآله وسلم) في تلك المعركة المزمجرة المخرجة
 التي برزت فيها معالم النفاق من طائفة ، وضالة الايمان من أخرى ، ولكنما الثالثة :
**﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا
 زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٢٢).**

واين هذه الآمنة المؤمنة من تلك المنافقة الفاتكة «... ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا
 .. يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا .. سلقوكم بألسنة حداد اشحة على على الخير ..»!
 واين كان ومتى ، وعد الله ورسوله هجمة الأحزاب وتحليقهم هكذا بأقطار المدينة من
 فوقهم ومن أسفل منهم؟ قد يكون مثل قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ
 مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٢ : ٢١٤) و : ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
 زُلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (١١) بلاء وزلزالا من هجمة لا قبل لها من الأحزاب ، وزلزالا علها أشد هي
 من هجمة الدعاية المنافقة : **﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾** وآية البقرة تصریحة بوعد
 البلاء والزلال الشديد فهم يترقبونه ، وتلميحة بقریب النصر علّه مع الزلال اما هیه؟
 وكما كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . على ضوء وعد الله . وعدهم بتظاهر
 الأحزاب عليهم وان الله ينصرهم ^(١) ولكن متى نصر الله؟

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٥٣ ، القمي في حديث غزوة الخندق «وقد كان رسول الله .

هل هو في هذه الحرب؟ ام بعده؟ ام ودون حرب حارقة؟ ليس في وعدهم إلا ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾!

ورغم ان هذه الزلازل بطبيعة الحال تزلزل من الايمان ام تزيله ، ولكنهم ﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ إيماناً بالله حيث يرون وعده واقعا ، وتسليماً لأمر الله حتى وان كان فيه بتسليم أنفسهم ، فإنهم ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وهم دوما في انتظار الانتصار وسواء عليهم أيقتلون او يقتلون! :

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣).

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ : بعضا قليلا لا كلهم حيث الايمان درجات ، وفي هذا العرض ينضم المؤمنون غير الصادقين في عهدهم الى قبيل المنافقين توسعا فيهم وتضييقا في قبيل المؤمنين ثم لا يبقى إلا الكافرون!

وهذه صورة وضيفة من الايمان الصادق تقابل صورة وضيفة من ضعف الايمان تلحق النفاق فتندمج اليه وكما مضت ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ وليتسابق المؤمنون في الحصول على صورته الوضيفة الصادقة. ومواصفة هؤلاء المؤمنين في أول المطاف بـ : «رجال» تأتي لهم بصورة صارمة من رجولات وبطولات في ايمانهم ، فليست تعني رجولة الجنس فتخرج بها نساء هنّ أرجل من رجال كما الصديقة الطاهرة الزهراء سلام الله عليها ،

. (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبر أصحابه ان العرب تتحزب علي ويحيئون من فوق وتعذر اليهود ونخافهم من أسفل وانه يصيبهم جهد شديد ولكن يكون العاقبة لي عليهم...».

ف . ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ... رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ...﴾ (٢٤ : ٣٧) و «لبيت علي وفاطمة من أفاضلها» على حد قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فهي إذا من هؤلاء الرجال ، في رجولة العصمة القمة وتطلباتها : ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ (٩ : ١٠٨)

وهكذا رجال الأعراف : ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ (٤٦)

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ (٤٨) كما رجال الجنة إذ ليس كل اصحاب الجنة رجال الجنس : ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ، أَخَذْنَا مِنْهُمُ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ (٣٨ : ٦٣) اللهم إلا رجال الوحي : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ (١٦ : ٤٣) فان رجولة الجنس من شروط وحي الرسالة امن يقابلون النساء : ﴿وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ ...﴾ (٤٨ : ٢٥) ﴿أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ (٢٧ : ٥٥)

﴿.. رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ : عاهدوه صدقا وأتوا بما عاهدوه صدقا بكل ما لديهم من طاقات وامكانيات : قالوا وحالا وفعالا ، نفسا ومالا وعلى أية حال ما وجدوا له مجالا ، فما هو ما عاهدوا الله عليه؟ المعاهدة . وهي عهد بين اثنين ، فالبادئ معاهد والثاني معاهد عليه . هي قد تكون من الله أن يعاهدك الله على شيء وأنت تقبل : ﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ...﴾ (٣٦ : ٦٠) واخرى أنت تعاهد الله على ما عهد إليك ، ومعاهدة الآية هي الاخرى ﴿عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ وأول العهود الإلهية الى المؤمنين ان ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ والمؤمنون كلهم يعاهدون الله على ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فمنهم الصادقون ، حيث يعيشون كلمة التوحيد قالوا وحالا واعمالا ، دون اي نفاق بين حال وقال ، ولا بينهما وبين الأعمال ، وقد صدقوا في عهد التوحيد تسليما لله على أية حال .

ومن خلفيات هذه المعاهدة ، مبايعة الرسول ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ يَسْئُورِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤٨ : ١٠) فالمبايعون الموفون بعهد الله هم الصادقون ولهم الأجر العظيم ، والناكثون لعهدهم هم من المنافقين مهما كانوا من المؤمنين ، حيث النفاق دركات كما الايمان درجات ، وآية الأحزاب تقابل بين الذين ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ وبين المنافقين ، فليكونوا أعم ممن هو في الدرك الأسفل من النار ومن ضعفاء الايمان.

وقد اشترى الله المبايعين الصادقين بأنفسهم ونفائسهم : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٩ : ١١١) وهنا الإيفاء بعهد الله وهو بصيغة أخرى قضاء للنحب ، لا يختص بان يقتل المؤمن في سبيل الله ، بل وان يقتل ، قتل بعد ام لم يقتل . وكما ليس هؤلاء المؤمنون الصادقون هم الأولون . فقط . كذلك المبايعون الله الذين اشترى أنفسهم وأموالهم ، فطول الزمان وعرض المكان يحوي من هؤلاء من قد يفوق الأولين ام يساميههم : (١).

(١) يروى نزول الآية بشأن نفر من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كأئس بن نضر وأصحابه ففي الدر المنثور ٥ : ١٩٠ . اخرج ابن سعد واحمد ومسلم والترمذي والنسائي والبغوي في معجمه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وابو نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل عن انس (رضي الله عنه) قال : غاب عمي انس بن نضر عن بدر فشق عليه وقال : أول مشهد شهده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ...﴾ وليس قضاء النحب . فقط . الموت ، فصيغته الخاصة منهم من قتل او مات ، وهما من مصاديق قضاء النحب في سبيل الله فقضاء النحب فيما عاهدوا الله عليه ليس إلا أن يعيشوا ملتزمين بعهده في كافة الحقول ، ومن أفضلها الجهاد في سبيل الله بأنفسهم ثم بأموالهم ، ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ ما وجدوا للجهاد ظروفًا صالحة ، ثم ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ قضاء نحبه ليس . فقط . انتظارًا للشهادة حيث الانتظار لها . فقط . ليس انتصارًا لقضية الإيمان ، بل هو الانتصار لظرف يقضي فيه نحبه ان «يقتل أو يقتل» في سبيل الله : إحدى الحسينين!

فقد يعني «نحبه» : عهده ومراهنته إذا وجد له مكانه ومكانته ،

. وسلم) غبت عنه لئن أراي الله مشهدا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما بعد ليرين الله ما اصنع فشهد يوم احد فاستقبله سعد بن معاذ (رضي الله عنه) فقال : يا أبا عمر! والى اين؟ قال : واهما لريح الجنة أجدها دون احد فقال حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم ونزلت هذه الآية «رَجُلًا صَدَقُوا ..» وكانوا يرون انها نزلت فيه وفي أصحابه ،

ومنهم مصعب بن عمير كما اخرج الحاكم وصححه وتعقبه الذهبي في الدلائل عن أبي هريرة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين انصرف من احد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) اشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فاتوهم وزورهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا وردوا عليه وفي ملحقات الاحقاق ٣ : ٣٦٣ روى نزول الآية في علي (عليه السلام) عدة من أعلام القوم منهم ابن الصباغ في فصول المهمة ١١٣ قيل سئل علي (عليه السلام) وهو على المنبر عن الآية قال : في وفي عمر وحمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، واما عمي حمزة فانه قضى نحبه يوم احد واما انا فانتظر أشقاهما يخضب هذه من هذا وأشار الى لحيته ورأسه عهد عهده اليّ حبيبي ابو القاسم (صلى الله عليه وآله وسلم).

قتالا : ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ إمّا ذا من جهاد في سبيل الله بنفس ونفيس إذ يقدم رخصا دون بخس ونقص ما وجد له مجالا!

ومن ثم يوفون كل معاني النحب ، المرافقة للعهد : نذرا وهمّة وبرهانا وحاجة وشدة وأجلا ومدة وعملا ونفسا وسيرا سريعا وجهادا ^(١) تكريسا لهممهم وبراهينهم في كل شدة وعمل من سير سريع وجهاد ليقضوا حاجتهم من عهدهم ربهم ما دامت مدتهم وقام أجلهم ، في نفس ونفيس بكل غال ورخيص!

فهم بين من قضى نحبه تماما ما وجب عليه فيما عاهد عليه الله إن بالموت او القتل ام في حياة ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ فرصة مناسبة لقضاء نحبه بموت او قتل ام في حياة ، فلا تختص قضاء النحب بقتل في سبيل الله مهما كان من أعلاها ، فكل تضحية في سبيل الله كما تجب قضاء لنحب أيا كانت! وكما يروى ^(٢) فلا يعني قضاء النحب إلا توفية العهد وهي

(١) لسان العرب لابن منظور الإفريقي.

(٢) نور الثقلين ٤ : ٢٥٨ ح ٤٨ عن روضة الكافي عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان عن أبيه عن أبي عبد الله (عليه السلام) انه قال لا يبي بصير يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ...﴾ انكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا وانكم لم تبدلوا بنا غيرنا وفي اصول الكافي (٥٨) عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : المؤمن مؤمنان فمؤمن صدق بعهد الله عز وجل ووفى بشرطه وذلك قول الله عز وجل ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا...﴾ وذلك الذي لا يصيبه احوال الدنيا ولا احوال الآخرة وذلك من يشفع ولا يشفع له ومؤمن كخامة الزرع . يعوج أحيانا ويقوم أحيانا فذلك ممن يصيبه احوال الدنيا واهوال الآخرة وذلك ممن يشفع له ولا يشفع . أقول : ولان أفضل ما عاهدوا الله عليه هو القتل او الموت في سبيل الله توفية كاملة للعهد فقد وردت روايات اخرى في ان قضاء النحب هو الموت او القتل كما رواه في روضته الكافي (٤٩) عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا علي من أحبك ثم مات فقد قضى نحبه .

للمعصومين ومن معهم حاصلة قبل الموت او القتل او بهما ، يعيشون قضاء نحبهم على اية حال!

﴿وَمَا بَدَلُوا﴾ ما عاهدوا الله عليه «تبديلاً» لا من قضى نحبه حين قضى ولا من ينتظر ، وانماكملوا تكميلاً ، ومن الحكمة الحكيمة لذلك الابتلاء المثلث :

﴿لِيَجْزِيََ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ وهم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ٢ .
﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنِ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ .

«ويعذب ..» معلوم وهو قضية النفاق ، بل ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ فكيف ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾؟

. ومن أحبك ولم يمت فهو ينتظر ..» وفي كتاب الخصال (٥٠) عن جابر الجعفي عن أبي جعفر (عليه السلام) عن امير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) ولقد كنت عاهدت الله تعالى ورسوله انا وعمي حمزة واخي جعفر وابن عمي عبيدة على امر وفينا به الله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتقدمي اصحابي وتخلفت بعدهم لما أراد الله تعالى فانزل الله فينا ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ حمزة وجعفر وعبيدة وانا والله المنتظر يا أخا اليهود وما بدلت تبديلاً وفي ارشاد المفيد (٥٠) في مقتل الحسين (عليه السلام) ان الحسين (عليه السلام) مشى الى مسلم بن عوسجة لما صرع فإذا به رمق فقال : رحمك الله يا مسلم ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلاً﴾ وفي كتاب مقتل الحسين لابي مخنف ان الحسين لما اخبر بقتل رسوله عبد الله بن يقطر تغرغت عينه بالدموع وفاضت على خديه ثم قال : ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ...﴾ وفي مناقب ابن شهر آشوب (٥٧) ان اصحاب الحسين بكر بلا كانوا كل من أراد الخروج ودّع الحسين (عليه السلام) وقال : السلام عليك يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيحييه : وعليك السلام ونحن خلفك ويقرء ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ...﴾

﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ لو تابوا وصحت توبتهم ونصحت ، ولا سيما قرنائهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ حيث قرنوا بـ . ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ فإنهم ذيلهم وليسوا منهم مردة النفاق ومرجفة المدينة ، بل المستجيون لهم في دعاياتهم لضعف إيمانهم ، فعلهم هم المعنيون بـ . ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ .

فآية ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...﴾ جعلت غير الصادقين في إيمانهم منافقين أصولا واتباعا ، ثم فرقت آية الجزاء بينهما ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ .

٣ . ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ : قتلة ولا غلبة ولا غنمة بل ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ فلم يقاتلوا الا شذرا بما قتل امير المؤمنين عمرو بن عبد ود ونفرا آخرين ^(١) ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٩) ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ وهذا نصيب الكفار ثم :

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (٢٧) .

(١) في ملحقات الاحقاق ٣ : ٣٧٦ روى نزول الآية في علي (عليه السلام) عدة من أعلام القوم منهم العلامة الكنجي في كفاية الطالب (١١٠) وابو حيان الأندلس المغربي في البحر المحيط ٧ : ٢٤ وملا معين الكاشفي في معارج النبوة ١ : ١٦٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٩٢ والمير محمد صالح الكشفي الترمذي في مناقب مرتضوي ٥٥ والحافظ ابو بكر بن مردويه في المناقب كما في كشف الغمة (٩٣) والالوسي في روح المعاني ٢١ : ١٥٦ والقندوزي في ينابيع المودة ٩٤ وابو نعيم الحافظ كلهم عن ابن مسعود كان يقرء : وكفى الله المؤمنين القتال بعلي (عليه السلام) وساق قصة عمرو بن عبدو كما فصلناه .

المظاهرة هي المعاونة ، والصياصي جمع صيصية وهي الحصن الحصين ، وقد «انزل» الله ﴿الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾ المشركين ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم بنو قريظة ، أنزلهم من صياصيتهم وحصونهم ، وقذف في قلوبهم الرعب ، فلا صياصي لهم آفاقية ، ولا صياصي انفسية حيث أنزلهم الله من كل الصياصي.

فانتج عن ذلك الإنزال انكم ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ من المنزلين ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾. ثم ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ وطئتموها ، بل ﴿وَأَرْضاً لَمْ تَطُوهَا﴾ وهي ارض خيبر ، او التي أفاء الله على رسوله منهم مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب. وقد يعني ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ كل ارض يرثها المسلمون منهم على طول خطوط النار ، في جهادهم المتواصل الصارم! ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ (٢٨) **وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً** (٢٩) **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ**

بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنْ
لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ
كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا
(٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى
فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ

وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ
لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

هذه الآيات الثمان تستعرض بعددين وجانبين من بيت النبي الطاهر ، بيت الرسول :
أزواجه ، وبيت الرسالة : المحمدين المعصومين في جو الرسالة القدسية الختمية ، اختصارا
باختصار في عرض بيت الرسالة والتعريف به : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في جمعين مذكرين يعينان الذكران من اهل بيت الرسالة بمن فيهم
فاطمة الصديقة (عليها السلام) ، وذلك بعد عشرين خطابا في جموع مؤنثة قبله واثنين بعده
كلها تعني . فقط . نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أوامر ونواهي أكيدة شديدة
متهددة ومرغبة ، ولكي تجمع الى طهارة اهل بيت الرسالة . وهي القمة بين بيوتات
الرسالات . تجمع طهارة اهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم الآية الثامنة تعميم
لأجور المؤمنات حسب الدرجات سواء أكن من ازواج النبي ام سواهن ولكي تبين ألا ميزة
لزوجية النبي بمفردها ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ .

مضت آية الأمهات مصرحة انهن أمهات المؤمنين ، ولأن هذه الكرامة لها تكاليفها ،
ولزوجية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تكلفتها

الوقائية ، لذلك يخاطب في اثنين وعشرين خطابا صارما تختص بمن ليصنعن من انفسهن أهلية زوجية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمومة المؤمنين.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٢٨).

هنا نساء النبي يخاطبن بوسيط النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علّه لبعدهن عن ساحة الربوبية وإلا فلما ذا ارادة الحياة الدنيا في بيت الرسالة القدسية ، ثم المأمور بأمرهن هو وليهن في بعدي الرسالة والزوجية.

ثم ولقرهن شيئا ما إذ يتركن الحياة الدنيا وزينتها ، ولتقربهن الى ساحة الطاعة لكي يهين الله إذ يخاطبهن الله ، يخاطبن دون وسيط إلا نقلا لهن بالوحي ، في سائر الخطابات الاثنتين والعشرين : ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ ... وَادْكُرْنَ .. فِي بُيُوتِكُنَّ ..﴾.

يرجع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من غزوة خيبر مصيبا كنز آل أبي الحقيق فيقلن أزواجه له : أعطنا ما أصبت ، فيقول لهن : قسمة بين المسلمين على ما أمر الله ، فيغضبن من ذلك ويقلن له : لعلك ترى أنك ان طلقنا ألا نجد الأكفاء من قومنا يتزوجونا ، فأنف الله عز وجل لرسوله فأمره أن يعتزلهن فاعتزلهن في مشربة ام ابراهيم تسعة وعشرين يوما حتى حضن وطهرن ثم أنزل الله آية التخيير هذه فقامت ام سلمة امن هي؟ فقالت : قد اخترت الله ورسوله ، فقممن كلهن فعانقنه وقلن مثل ذلك فانزل الله عز وجل : ﴿تَرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ...﴾ (١)

(١) روى أصحابنا انها ام سلمة كما أخرجه القمي في تفسيره على ما في المتن .

وهكذا نتلّح من ﴿قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ﴾ دون «بعض أزواجك» انهن كلهن تشاركن في إزعاجه فانزعاجه (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى نزل ما نزل وحصل ما حصل.

مجموعة حلائل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كن سبعة عشر ، دخل بهن اجمع إلا عمرة والسيفا وفيهن سريتان : مارية القبطية وريحانة الخندقية ، كان يقسم لهما مع أزواجه. ولم يجمع قط إلا بين تسع منهن فاعتزل (صلى الله عليه وآله وسلم) حين اعتزل عنهن ومات كذلك عنهن وأفضلهن خديجة ثم ام سلمة ثم ميمونة ^(١) وارذلهن من حاربت وصيته يوم الجمل!

. وروى إخواننا انها عائشة كما في الدر المنثور بعدة طرق ففي نور الثقلين ٤ : ٢٦٦ عن الجمع روى الواحدى بالإسناد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالسا مع حفصة فتشاجرا بينهما فقال لها : هل لك ان اجعل بيني وبينك رجلا؟ قالت : نعم فأرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) الى عمر فلما ان دخل بينهما قال لها تكلمي قالت يا رسول الله تكلم ولا تقل الا حقا فرفع عمر يده فوجأ وجهها فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : كف فقال عمر : يا عدوة الله النبي لا يقول إلا حقا والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتى فقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فصعد الى غرفة فمكث فيها شهرا لا يقرب شيئا من نساءه يتغدى ويتعشى فيها فانزل الله هذه الآيات.

وفيه ص ٣٦٥ ح ٦٦ باسناده عن أبي الصباح الكتاني قال ذكر ابو عبد الله (عليه السلام) ان زينب قالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تعدل وأنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت حفصة : ان طلقنا وجدنا أكفأنا من قومنا ...

أقول مهما اختصت البعض من نساءه البعض من هذه الأقاويل فالقولة المشتركة علها الأخيرة «ان طلقنا ...».

(١) نور الثقلين ٤ : ٣٦٧ ح ٧٤ في كتاب الخصال عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال : تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بخمس .

لقد خيرهن بعد نزول آية التخيير بين المقام معه إن يردن الله ورسوله ، أو الانسراح عنه إن يردن الحياة الدنيا وزينتها ، حيث اختار لنفسه وأهله معيشة الكفاف وعيشة العفاف دون زهو وهو بتبذير أو إسراف ، لا عجزاً عن حياة المتاع والزينة ، وإنما زهداً عادلاً كقدوة للأمة.

إلا أن نسائه (صلى الله عليه وآله وسلم) يتطلّبن منه زهوة وزهرة كما هي شيمة النساء ، وليس الرسول يميل الى ميولهن فيزدهي بزوهن ويشتهي ما يشتهين ، ولا سيما في الأموال التي هي لعامة المسلمين ، وكذلك في أمواله الشخصية ، ولذلك يعرض عنهن بعد عرضهن طلب الحياة الدنيا وزينتها واعتراضهن عليه ، يعرض نظرة الوحي فتتزل آية التخيير فيخيرهن بين هذه وتلك.

. عشرة امرأة ودخل بثلاث عشر امرأة منهن وقبض عن تسع فاما اللاتي لم يدخل بهما فعمرة والسيفا واما الثلاث عشرة اللاتي دخل بهن ١ فأولهن خديجة بنت خويلد ٢ ثم سودة بنت زمعة ثم ٣ ام سلمة واسمها هند بنت امية ٤ ثم ام عبد الله عائشة بنت أبي بكر ثم حفصة بنت عمر ثم ٦ زينب بنت خزيمة بنت الحارث ام المساكين (٧) ثم زينب بنت جحش ثم ام حبيب رملة بنت أبي سفيان ثم (٩) ميمونة بنت الحارث ثم (١٠) زينب بنت عميس ثم (١١) جريية بنت الحارث ثم (١٢) صفية بنت حي بن اخطب (١٣) والتي وهبت نفسها للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خولة بنت حكيم السلمى وكان له سريتان يقسم لهما مع أزواجه مارية القبطية وربحانة الخندقية والتسع اللاتي قبض عنهن عائشة وحفصة وام سلمة وزينب بنت جحش وميمونة وام حبيب وجريية وسودة وأفضلهن خديجة ثم ام سلمة ثم ميمونة أقول وفيه عن الكافي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال في طوائف هؤلاء النسوة . ٤ . من تيم و . ٥ . من عدي و ٣ . من بني مخزوم و ٢ . من بني اسد و ٨ . من بني امية و ٩ . من بني هلال و ١٢ . من بني إسرائيل ولم يذكر البقية وطبعا خديجة من أفضل قریش ، وتفرق هذه الطوائف من الدليل على ان زواجاته كانت سياسته أكثر مما هي جنسية.

أترى كان عرض التخيير ، امامهن كلهن فاخترن الله ورسوله؟ ام امام ام سلمة فتبعنها كلهن؟ ام أمام عائشة؟ وقد يروى انها تطلب منه (صلى الله عليه وآله وسلم) اختصاصها فقال : «ان الله لم يبعثني متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها»^(١).

انه (صلى الله عليه وآله وسلم) على أية حال لم يكن ليخرج عن العدل بين نساءه حتى في ذلك العرض دون فرق بين عائشتين وأم سلمتين ، اللهم إلا بفارق التقوى ، دون تقديم لتلك بشبابها وجمالها على هذه آمن هي لتقدمها عمرا او تأخرها جمالا!.

ويا له من عرض عريض بين عليا الحياة معه (صلى الله عليه وآله وسلم) ودنيا الحياة لا معه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ في بيت الرسالة القدسية ، تغافلا عن اصل الحياة الزاهرة الباهرة في جوّ الوحي ، والتنزيل ، او تذعرا بها الى الحياة الدنيا وزينتها ، فلا جمع بين الحياتين مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا اختصاصا بالحياة الدنيا ، إلا ارادة الله ورسوله ، ف ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْجَسُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ..﴾ (١١ : ١٥).

(١) الدر المنثور ٥ : ١٩٤ . اخرج بعدة طرق عن جابر وساق القصة الطويلة الى قوله وانزل الله الخيار فبدأ بعائشة فقال : اني ذاك لك امرا ما أحب ان تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك قالت ما هو؟ فتلا عليها الآية قالت عائشة : أفيك استأمر ابوي بل اختار الله ورسوله فأسألك ان لا تذكر الى امرأة من نساءك ما اخترت فقال : ان الله ..

وفي نقل آخر فاكتم علي ولا حجز بذلك نساءك قال (صلى الله عليه وآله وسلم) بل أخبرهن به فأخبرهن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جميعا فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فكان خياره بين الدنيا والآخرة أخترن الآخرة او الدنيا ...

وكيف لهؤلاء موقع في بيت الرسالة القدسية؟ ﴿فَتَعَالَيْنِ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ بما يجب محبورا ﴿وَأَسْرِحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ فكا عن أسركن إذ لا تجدن ما تردن في ذلك البيت ، فليس الطلاق اسلاميا إلا فكا عن أسر ، من الجانبين او من جانب واحد ، فيسرح المفكوك زوجا ام زوجة ويرتع حيث يشاء و ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ كلمة صراح في سماح انطلاقهن بطلاقهن الى اختيار الأزواج ، ففي تسريحهن . إذا . تطليقهن عن كونهن أمهات المؤمنين ، كما عن كونهن أزواجه ، فقضية السراح هي الانسراح عن قيود زوجيته الى اخرى ، وقضية أنه جميل استئصال كافة العقبات عن زواجهن الاخرى كسائر المطلقات ، فلو بقي بعد طلاقهن كونهن أمهات المؤمنين ، فلا سراح لهن فضلا عن جميل ، والله تعالى يقول ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ تنديدا بمن يظلمهن هكذا ، لا ذات بعل ولا خلية تتبعل ، وساحة النبي أقدس وأحرى ألا يذرهن بتسريحهن كالمعلقات .

واما موته عنهن دون طلاق فليس سراحا فضلا عن جميل ، وهن بعده أمهات المؤمنين ، إلا إذا تخلفن عن شروطاتها كما تخلف البعض منهن وهددت بالطلاق ، إطلاقا في الأزواج .

فكما النكاح في ميزان الله متاع ، كذلك الطلاق متاع وسراح جميل ، عقد جميل وفك جميل دونما عراك واحتكاك في ذلك الفكاك .

ليس النبي ليقبل ضغطا عليه وتحميلا في الحياة الدنيا وزينتها ، وليس ليضغط أزواجه على بساطة العيشة في الحياة كأبسط ما تكون ، أسرا لهن خلاف ما يردن ويرغبن ، لذلك فليخترهنّ ويقبل منهن ما يخترن .

وليس ليقبل النبي الأقدس من أبي بكر وعمر أن يضربا عائشة وحفصة على هذه المراجعة النكدة في النفقة ، حيث المسألة مسألة مشاعر وميول بشرية وطلبات طبيعية نسائية ، دون تسيير لهن على خلاف ميولهن ، وإنما

مسايرتهن ما لا يمس من كرامة بيت النبوة ، ثم تخيرهن كما خيّر ، واخترن الله ورسوله والدار الآخرة :

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢٩).

وإنه ليس الأجر العظيم إلا للمحسنات منهن بعد ما أردن الله ورسوله والدار الآخرة ، فهناك إرادة الإحسان وهنالك تحقيق الإحسان ، وليست الإرادة لتكفي ما لم يتحقق المراد بالحسنى ، ثم العاقبة الحسنى بمواصلة الإحسان في إرادة الله ورسوله ، وأما اللاتي يردن الله ورسوله والدار الآخرة بغية البقاء في بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم لا يحسن كما يناسب ذلك البيت ، ومن ثم يحاربن في حرب الجمل أما ذا؟ وصيه الطاهر. فهن بعيدات من الأجر فضلا عن عظيمه ، وأبعد من العامرية التي اختارت قومها!.

ثم الإحسان في جو الوحي والتنزيل أفضل أجرا من سواه كما الإساءة أرذل وأنكل ، حيث البعد الثاني لكلا الإحسان والإساءة راجع إلى إحسان هذا البيت وإساءته بين الناس ، فعلى مستوى عظم ذلك البيت يعظم أجر الإحسان وعذاب الإساءة ، وهذه قاعدة عادلة سارية في أبعاد الأفعال خيرا أو شرا ، وكما تواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في من سن سنة حسنة أو سيئة.

وهل التسريح هنا هو التطلق رجعيًا أم بائنًا ، فمن تختار الحياة الدنيا يطلقها بصيغة؟ أم ان اختيارهن لها طلاق؟ التسريح صريح أنه فعل من النبي إن اخترن الحياة الدنيا ، فليس اختيارهن إذا بنفسه طلاقا ، وليس التسريح . فقط . صيغة لفظية للطلاق ، إلا أن تسريح كل شخص بحسبه ولا نعرف تسريحا اسلاميا للأزواج إلا بالتطلق ، إلا ان يختص النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم) بتطبيق دون لفظ كما في نكاح ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٣ : ٥٠) إلا أنهما لا تفتان طلاقا أو نكاحا دونما صيغة ، بل «لو اخترن أنفسهن لطلقهن»^(١).

وهل المسرحة هكذا تنسرح بحيث تحل لها الزواج بغيره؟ وهن أمهات المؤمنين! : ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾! ولكنما الحياة الدنيا وزينتها والسراح الجميل قد تتنافى وحرمان الزواج وهو من أمتع متع الحياة وزينتها ومن أجمل السراح! فقد يكون تسريحهن هكذا تطليقا عن كونهن أمهات المؤمنين وكما خول علي (عليه السلام) بتطليقهن ان خرجن عن طور الطاعة له (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يحق وقد مضى حديثه عن القائم المهدي (عليه السلام) ومن هنا نتبين على أية حال أن «لو اخترن أنفسهن لبن»^(٢) دونما رجعة حيث الأمر قاطع لا مرد له من الله : ﴿قُلْ .. فَتَعَالَيْنَ .. أُسْرِحْكُمْ﴾ فليسرح من اختارت الدنيا دونما رجعة ، اللهم إلا رجوعا الى الله ورسوله فرجعة بعقد جديد ولا دليل عليه!

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٦٥ عن الكافي حميد عن ابن سماعة عن ابن رباط عن عيص بن القاسم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال سألته عن رجل خير امرأته فاخترت نفسها بانت؟ قال : لا . انما هذا شيء كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة أمر بذلك ففعل ولو اخترن أنفسهن لطلقهن.

(٢) نور الثقلين (٦٥) حميد عن ابن سماعة عن محمد بن زياد وابن رباط عن أبي أيوب الخزاز قال : قلت لابي عبد الله (عليه السلام) اني سمعت أباك يقول : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خير نسائه فاخترن الله ورسوله فلم يمسكهن على طلاق ولو اخترن أنفسهن لبن؟ فقال : ان هذا حديث كان يرويه أبي عن عائشة وما للناس والخيار انما هذا شيء خص الله به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

ولماذا في قصة التخيير ﴿قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ﴾ ثم هنا والتي بعدها ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ﴾؟ علّه حيث الاولى يخص أزواجه والآخران تشملان معهن بناته وكل امرأة تعيش في جوّ الوحي مرتبطة به نسبا او سببا فهما باحري يشملان الصديقة الزهراء (عليها السلام) ان يؤتاها أجرها مرتين ويعتد لها رزقا كريما!

وهذه ضابطة عامة في الأعمال خيرا وشرّا ، أن ينظر إليها من بعدين : نفس العمل ، ومن يرتبط به أيا كان ، في خير او شر من غير العامل ، وأعظم رباط للعاملين هو الواقع في جوّ الوحي ، ثم وما دونه من أجواء ، يذكر هنا أفضلها لنجعلها نبراسا ينير الدرب على ما دونه ، كل بحسبه.

وإذا كان هذا موقف نساءه (صلى الله عليه وآله وسلم) فباحري بنته الزهراء (عليها السلام) وعلي (عليه السلام) والأئمة من ولدهما عليهم السلام من عترته وكما يروى عن زين العابدين (عليه السلام): «نحن أخرى ان يجرى فينا ما أجر الله في أزواج النبي من أن نكون كما تقول ، انا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر ولمسيئنا ضعفين من العذاب»^(١).

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٦٨ ح ٧٧ في مجمع البيان وروى محمد بن أبي عمير عن ابراهيم بن عبد الحميد عن علي بن عبد الله بن الحسين عن أبيه عن علي بن الحسين زين العابدين انه قال رجل : انكم اهل بيت مغفور لكم قال فغضب وقال : نحن ... وفي الدر المنثور ٥ : ١٩٦ . اخرج ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد (عليه السلام) يجرى أزواجه مجرانا في الثواب والعقاب

وقد عد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أزواجه في هذه الميزة من «اربعة يؤتون أجرهم مرتين»^(١) دون اختصاص بمن ، فانما الميزة للأقرب فالأقرب صلة ومكانة ، وهما في عترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اقرب قرابة ومحتدا!

فمضاعفة العذاب هنا هي تبعة المكانة الكريمة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما مضاعفة الأجر فانها تابعة لنفس المكانة ، تقدّر ان بقدرها في المنسوب والمنسوب إليه ، ولا أكرم من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا أقرب من اهله الذين يعيشون جوّ الوحي!

والفاحشة هي المعصية الفاحشة ، متجاوزة حدها ام الى غير العاصي ام تجمعهما ، ثم الفاحشة قد تكون مبينة متجاهرة ولا تبين إلّا نفسها ، وقد تكون مبيّنة تبين معها موقف صاحبها ومن يتصل بهم بطبيعة الحال ، وهنا «بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ» كالأخيرة لا فقط «مبيّنة» إذا فهي التي تبين موقف صاحبها أنها منه كما تتراوش من كوز ، لا فلتة غير قاصدة ، كما وتبين ما يستحقه من العقاب عليها.

ثم وليست الفاحشة لتختص بالشذوذات الجنسية وهي من الخبيثات

(١) المصدر اخرج الطبراني عن أبي امامة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اربعة يؤتون أجرهم مرتين منهم ازواج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيه اخرج ابن أبي حاتم عن الربيع بن انس في الآية قال : ان الحجة على الأنبياء أشد منها على الاتباع في الخطيئة وان الحجة على العلماء أشد منها على غيرهم فان الحجة على نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أشد منها على غيرهن ...

النسائية بعيدة عنها ساحة الرسالة القدسية حيث ﴿الْحَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ مهما كانت للبعض من نساء الأنبياء فاحشة الكفر كما قبل الإسلام بسائر فسقه إلا الزنا.

فمن «الفاحشة الخروج بالسيف» ^(١) على وصي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فانه خروج على نفس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أفحشها من فاحشة ، وكما خرجت عائشة يوم الجمل على وصي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وخرجت زوجة موسى على وصيه حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ^(٢).

ان حرب عائشة زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحرب صفيراء زوجة موسى (عليه السلام) مع وصييهما هي من الفاحشة الميَّنة ، خروجا عن بيت النبوة ، وخروجا على بيت النبوة ، ولا أفحش من هذه الفاحشة ميَّنة مدى التخلف العارم على صاحب الرسالة الإلهية ، والله يقول ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ...﴾!

(١) نور الثقلين ٢٦٨ في تفسير علي بن ابراهيم بإسناد عن حريز قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل : ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ...﴾ قال (عليه السلام) : الفاحشة الخروج بالسيف ، أقول وهو من التفسير بأفحش مصاديق الفاحشة.

(٢) نور الثقلين ٤ : ٢٦٨ ح ٧٨ في كتاب كمال الدين النعمة بإسناد الى عبد الله بن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) ان يوشع بن نون وصي موسى (عليه السلام) عاش بعد موسى ثلاثين سنة وخرجت عليه صفيراء بنت شعيب زوجة موسى (عليه السلام) فقالت : انا أحق منك بالأمر فقاتلها فقتل مقاتليها واحسن أسرها وان ابنة أبي بكر ستخرج على علي في كذا وكذا ألفا من امتي فيقاتلها فيقتل مقاتليها ويأسرها فيحسن أسرها وفيها أنزل الله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ يعني صفيراء بنت شعيب.

وترى ان مضاعفة العذاب ضعفين هي ضعفين على أصل العذاب فهي إذا ثلاثة أضعاف؟ والأجر الذي هو قضية الفضل أخرى بذلك من العذاب العدل وهو «مرتين»! إذا «ضعفين» هما «مرتين» حالا من العذاب ، عذابا وثوبا على سواء ، والمضاعفة هي الزيادة قلت او كشرت ، من مرتين الى ما شاء الله ، وهي هنا ضعفين ، فالضعف هو الزيادة دوغما تحديد و ﴿مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ (٣٤ : ٣٧) وقل الضعف لهم عشرة ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلًا﴾ ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ وكما لمن جاء بالسيئة ضعف في مضاعفتها : ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَاجْعَلْ عَذَابَهُمْ ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧ : ٣٨) ومعلوم ان ضعف المضلل أضعف من ضعف المضلل وكل ضعف! ..

ومن ثم الأضعاف تعني المرات من ثلاثة فما فوقها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ (٣ : ١٣٠) اي : مرات مزيدة على الأصل ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً...﴾ (٢ : ٢٤٥).

إذا فمضاعفة الضعفين من العذاب هي الزيادة المثلين لا زيادة مثلين على أصل العذاب ، وكما الأجر مرتين : عذاب اواجر ، للفاحشة او القنوت ، نفسه في حساب الفاعل ، وآخر تحجيلا او تبجيلا لجو الوحي والتنزيل جزاء وفاقا او عطاء حسابا.

هنالك فاحشة مبينة فعذاب ضعفين ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ وليس عليه عذابهن عسيرا تمنعه عنه مكانتهن من الرسول حيث الرسول نفسه ايضا مهدد : ﴿لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ

لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٦٩ : ٤٦﴾

وهناك قنوت لله ورسوله ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾ خضوعا لله عبودية ولسوله طاعة وعملا يصلح لذلك الخضوع ، صالحا لجو الوحي والتنزيل ﴿نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ وزيادة هنا لأنه قضية الفضل : ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ دوغما هناك حيث العذاب قضية العدل فهو عدل للفاحشة دوغما ربوة. أترى ان كن عوانا بين ذلك ، لا فاحشة مبينة ولا قنوت لله ورسوله ، فهلا يكون هنالك اجر ولا عذاب؟

اجل! ولكنه لا ضعف في عذابهن ولا أجرهن ، حيث البعد الثاني من العصيان والطاعة عادم فثاني الأجر والعذاب كذلك عادم ومثلهن إذا كسائر النساء على سواء ، فلا كرامة الا بالتقوى ولا مهانة إلا بالطغوى ، أيا كانت الطغى وان زوجة النبي ، وأيا كانت التقى وان زوجة فرعون الشقي ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ، وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِكْرَامٌ ﴿٦٦﴾ : (١٢).

ثم وليست مضاعفة الثواب والعقاب لنساء النبي إلا للبعد الثاني من الطاعة والعصيان ، دون رعاية للصلة بالنبي ، وإلا فلا عقاب ام تخفيفا من العذاب كضعف الثواب. وترى ان مضاعفة العذاب في الفاحشة المبينة تخص الآخرة؟ ام تعم الاولى والآخرة؟ العموم قضية اطلاق العذاب ، فالفاحشة التي فيها الحد

يضاعف لمن حدّها في الاولى كما في الأخرى إلا انه يخص الفاحشة المبيّنة ، لا كل فاحشة ولا المبيّنة دون تبين وقوفا عند النص فيما يشذ عن القاعدة تأمل.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْنَ فَلَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٣٢).

انه ليس ارتفاع المساوات بين نساء النبي وسائر النساء لأنهن نساء النبي ، بل «ان اتقيتن» كما وليس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كأحد من الرجال لنبوته .. أنتن في مكانة لا يشاركن فيه احد من النساء ، ولا تشاركن فيها أحدا من النساء ولكن «ان اتقيتن» فليست المسألة مجرد قرابة من النبي بسبب او نسب اللهم إلا حسب التقوى وسببها ونسبها ، فالتقوى تقوى ان كانت في مكانة عليا ومحمد أقوى كما الطغوى تقوى على سواء ، فلا بد من القيام بحق هذه القرابة العليا ، وهو القائل «يا فاطمة ابنة محمد! يا صفية ابنة عبد المطلب! يا بني عبد المطلب! لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم»^(١). وهل الأوامر والنواهي التالية تخصهن لاختصاص خطاباتها لهن؟ و «ان اتقيتن» تعم كل تقوى واجبة وراجحة من كل متقية منهن وسواهن! وموارد الأمر والنهي هنا لا تخصهن! فانما التقوى لهن تخرجهن عن مساواتهن لسواهن دون واجبات او محرمات تختصهن ، وليست المذكورة إلا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ويروى المسلم والترمذي ايضا قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار! يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار! يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار! يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار! فاني والله لا املك لكم من الله شيئا إلا ان لكم رحما سأبلها ببلاءها.

عامة لكافة المسلمين دون اختصاص بمن ، فالآية تشجيع لمن على اصل التقوى وإذا
﴿لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾!

تقوى في القول سلبيا **﴿فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ﴾** وإيجابيا **﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾!**
 ينهاهن حين يخاطبن غير ذوي الأرحام عن ان يكون في أقوالهن خضوع له نبرة مثيرة ،
 ولينة مغيرة ، خضوعا في موسيقا التعبير ، ام ما يحمله من معنى مثير ، فوا ويلاه إذ اجمعا في
 عبرة القول ونبرته وضحكته! **﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾** : الشهوة الكامنة حيث
 تظهرها القولة الخاضعة ، فلتكن قولة مخضعة ام لأقل تقدير لا خاضعة ولا مخضعة ، لا في
 موسيقاها ولا في معناها.

للمرأة قولات ثلاث : ١ . خضوع . مثير باي من ابعاده . فمحذور ٢ . لا خضوع ولا
 كبرياء فغير محذور ، ٣ . وإخضاع بكبرياء في قول تطوي نسائية الصوت ولطافته طيا
 فمحبور مشكور ، فتقوى واجبة في قولهن عدم الخضوع ، ومن ثم راجحة هي إخضاع
 والقول المعروف هو المعروف عن مسلم حلا في جنباته ، ثم المعروف عن مؤمنة حلا منها مع
 غير المحارم ، ثم المعروف عن اهل النبي فهو إذا مثلث المعروف واقله ألا يكون فيه ما يحرم من
 مؤمنة لغير محرم!

صحيح انهن كازواج النبي وأمهات المؤمنين ليس ليطمعن فيهن طامع ، ولكن المرض في
 قلوب مقلوبة يستثار ، قلوب مريضة بالشهوات دونما عفاف ، ام ومريضة بنفاق ام نقصان
 في ايمان ، مهما سلمت القلوب السليمة بإيمان وعفاف على ما فيها من شهوة ، فانها
 ليست ككل مرضا فان الله خلقها في كل مؤمن ومؤمنة ، وفي النبيين ، وانما يخاف ممن لا
 يعفّ شهوته.

وإذا كن نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما هن عليه من المكانة ، في ذلك الزمن البدائي البسيط هن ينهين عن الخضوع في القول ، فكيف بهذا المجتمع الذي نعيشه اليوم ، المتقدمة فيه الشهوات ، المرفوفة على جوه الأطماع ، المسعرة فيه السعرات الحمية الجنسية ، فأحرى بالمؤمنات إذا ألا يخضعن بالقول أو يبرزن في اية صورة مثيرة ، فانها مثار الفتنة.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ (٣٣)

«وقرن» هل إنها امر بالوقار؟ وامره «قرن»! والوقار واجبهن على أية حال ، وبأحرى خارج بيوتهن وهنا «بيوتكن»! وقضية الموقف في سرد أو امر ونواهي ، هي العطف كما في سائرهما!

فهي إذا «قرن» عطفًا ، فهل بعد من قار يقار إذا اجتمع؟ ولا موضوعية في جمعهن في بيوتهن إلا قرارهن جماعات أو فرادى! وأمرها «اقررن»! اللهم إلا بحذف الحرفين تخفيفًا كما في اضربهما فنعمًا ، ولكنها معنويا غير مناسبة فكلاً!

أم إنها من قرّ يقرّ؟ وأمرها «اقررن» فكذلك الأمر إلا في المعنى ، فانه امر بقرارهن في بيوتهن ، ومن دناءة المرأة كونها لفوتا تكثر الخروج من بيتها دون ضرورة تلجئها ، وهذا يناسبها في أدب اللفظ وجمال المعنى ، والاول يخالفهما ، والأوسط يخالف المعنى ، والقرآن حال ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه وهو ثالثها.

يقرر هذا الأمر لمن أصل قرارهن في بيوتهن ، فان اشغالهن في الأكثرية الساحقة أشغال بيتية ، كفين عما سواها بمعونة الرجال مؤونات أما هي؟.

فلا يعني تحريم خروجهن عن بيوتهن اللهم إلا تبرجا كالجاهلية

الاولى ، فلو كان عطفها لكان «ولا تخرجن» في تخرج وسواه ، فانما نهي عن تخرج الجاهلية الاولى :

﴿وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى﴾ احتشاما في خروجهن إذا لزم الأمر أو رجح ، بتحبب يناسب حرمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والتبرج هو تكلف في الظهور كالبرج المظاهر لكل ناظر ، تكلفا في اظهار زينتهن الستيرة تحت ملابسهن ، وتكلفا في تزيين زائد على الذاتية النسائية فيهن ، في عطرة تجلب ، أو مشية تجذب ، أو صوتة تطمع ، أو غنجة تثير ، أما إذا من تظاهر نسائي يعطف إليهن انظار الرجال الأجانب ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾!

البيت ستر أول للنساء ، ثم إخفاء الزينة وكل جاذبية نسائية ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ﴾ وتهدر بطبيعة الحال دونما تبرج ،

«كانت عائشة إذا قرأت : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ بكت حتى تبل خمارها» (١) وهل كانت تبكيها وطأة الأمر الشاق؟ وليس قرار البيت إلا راحة للمرأة واحتشاما! أم كانت تبكيها لأنها أضمرت خروجها يوم الجمل؟ نقلوها فانا لا ندري إلا خروجها يوم الجمل تخلفا عن أمر ربها على إمامها! (٢).

(١) الدر المنثور ٥ : ١٩٦ . اخرج ابن أبي شيبة وابن سعد وعبد الله بن احمد في زوائد الزهد وابن المنذر عن مسروق قال : كانت عائشة ...

(٢) نور الثقلين ٤ : ٢٦٩ ح ٨٢ في بصائر الدرجات احمد بن محمد والحسن بن علي بن النعمان عن أبيه عن علي بن النعمان عن محمد بن سنان يرفعه قال : ان عائشة قالت : التمسوا لي رجلا شديد العداوة لهذا الرجل (تعني عليا عليه السلام) أبغته اليه قال : فأتيته به فمثل بين يديها فرفعت اليه رأسها فقالت له : ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟ فقال لها : كثيرا ما اتمنى على ربي انه وأصحابه في وسطي فضربت ضربة بالسيف فسبق السيف الدم ، قالت : فأنت له اذهب بكتابي هذا فادفعه .

﴿وَقَرْنَ .. وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾؟! كما وقرن ولم يتبرجن^(١).

. اليه طاعنا رأيته او مقيما ، اما انك ان رأيته رأيته راكبا على بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متنكبا قوسه معلقا كنانته بقربوس سرجه وأصحابه خلفه كأهم طير صواف قال : فاستقبله راكبا كما قالت فناولته الكتاب ففص خاتمه ثم قرأه فقال : تبلغ الى منزلنا فتصيب من طعامنا وشرابنا ونكتب جواب كتابك؟ فقال : هذا والله ما لا يكون ، قال : فسار خلفه فاحدق به أصحابه ثم قال له : اسألك قال : نعم قال : وتجيبي؟ قال : نعم قال : نشدتك بالله هل قالت : التمسوا لي رجلا شديد العداوة لهذا الرجل فأتي بك فقالت لك : ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟ فقلت : كثيرا ما اتمنى على ربي انه وأصحابه في وسطي واني ضربت ضربة سبق السيف الدم؟ قال : اللهم نعم! قال : فنشدتك الله هل قالت لك : اذهب بكتابي هذا فادفعه اليه طاعنا كان او مقيما اما انك ان رأيته رأيته راكبا على بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متنكبا قوسه معلقا كنانته بقربوس سرجه أصحابه خلفه كأهم طير صواف فتعطيه كتابي هذا؟ قال : اللهم نعم قال : فنشدتك الله هل قالت لك : ان عرض عليك طعامه وشرابه فلا تناولن منه شيئا فان فيه السحر؟ قال : اللهم نعم قال : فتبلغ عني؟ قال : اللهم نعم فاني قد أتيتك وما في الأرض خلق ابغض اليّ منك وانا الساعة ما في الأرض خلق أحب اليّ منك فمرني بما شئت قال : ارجع إليها بكتابي هذا وقل لها : ما أطعت الله ولا رسوله حيث أمرك بلزوم بيتك فخرجت ترددين في العساكر وقل لهم : ما أنصفتكم الله ولا رسوله حيث خلفتم حلائلكم في بيوتكم وأخرجتم حليلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال فجاء بكتابه فطرح إليها وأبلغها مقالته ثم رجع اليه فأصيب بصفين فقالوا : ما نبعث اليه بأحد الا أفسده علينا.

(١) الدر المنثور ٥ : ١٩٦ . اخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن محمد بن سيرين قال ثبت انه قيل لسودة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما لك لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟ فقالت : قد حججت واعتمرت وامرني الله ان أقر في بيتي فو الله لا اخرج من بيتي حتى أموت قال : فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت بجنائزها وفيه اخرج احمد عن أبي هريرة ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لنسائه عام حجة الوداع هذه ثم ظهور الحصر قال : فكان كلهن يحجن الا زينب .

ولماذا تخرج المرأة من بيتها؟ ألما تعنيها من تحصيل النفقة إذ تعانيها؟ وهي من واجبات الرجال! أما إذا من واجبات خارج البيت؟ وهي كلها موضوعة عنها موضوعة على الرجال ، تخفيفا عنهن واحتشاما لهن وحفاظا على حرماتهن!.

للرجال رجولة الأشغال وهي في فسحة خارج البيتية ، وللنساء انوثة الأشغال وهي داخل البيتية ، فعلى كلّ تقديم واجبه ، وفي معاكسة الأشغال أم خروج المرأة لتعمل مع الرجل ، كارثة على البيت لا تجبر ، اللهم إلا في الضرورات التي تبيح المحظورات ، وبيت المال يضمن مجالاتها الاقتصادية للرجال فضلا عن النساء اللاتي ليس لهن من ينفق عليهن ، او عمل في البيت او مثله في الحفاظ عليها!

واجب النفقة أما إذا من اشغال خارج البيتية يتيح للزوجة والأم من الجهد ومن الوقت وهدوء البال ما تشرف على الفراخ الناشئة ، فالام الكادحة المكدودة بالعمل لتحصيل النفقة ، المقيدة بمواعيد العمل ، ليست لتعطي للبيت واجبه التربوي ، فبيوت العاملات والموظفات هي كالفنادق والخانات وأتعب منها وأركس ، حيث الناشئة المحتاجة الى تربية الأم تتهدر فيها ، ولا ينوب أمها غيرها من مربين او مربيات!

فأما ان تخرج المرأة لغير العمل ، بل للاختلاط بالرجال والاشتغال بالملاهي أما إذا من لهوات وشهوات فهو الارتكاس الى حماة الحيوانات ودرك الجاهليات التي ترد الإنسان الى مراتع الحيوان!

يقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «ان المرأة عورة فإذا

. بنت جحش وسودة بنت زمعة وكانتا تقولان : والله لا تحركنا دابة بعد ان سمعنا ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

خرجت استشرفها الشيطان واقرب ما تكون من رحمة ربها وهي في بيتها»^(١) كما و «جئن الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلن يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله فما لنا عمل ندرك فضل المجاهدين في سبيل الله؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : من قعدت منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله»^(٢). وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «شر النساء المتبرجات وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم»^(٣).

التأكيد في قعودهن في بيوتهن امر ارشادي للحفاظ على العفاف وعدم التبذل امام الرجال ، وأما إذا خرجن غير متبرجات بزينة ، متعففات ، فما عليهن من سبيل ولا سيما في محابجهن المادية والمعنوية فراجع او واجب ، ولقد كن يخرجن زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للصلاة وتمريض جرحى الجهاد إما اذا من متطلبات راجحة وواجبة ولكن في غير تبرج وتظاهر بمفاتنهن ، بل متعففات متحجبات ، وقد «كان نساء المؤمنين

(١) المصدر اخرج الترمذي والبخاري عن ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ...

(٢) المصدر اخرج البخاري عن انس قال : جئن النساء ...

(٣) المصدر اخرج البيهقي في سننه عن أبي أذينة الصديقي ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ... وفيه اخرج الطبراني عن ابن عباس قال لما بايع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) النساء قال : لا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قالت امرأة يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أراك تشتترطين علينا الا نتبرج وان فلانة قد اسعدتني وقد مات أخوها فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذهبي فاسعديها ثم تعالي فبايعيني.

يشهدن الفجر مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم يرجعن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس»^(١).

ولو كان خروجهن ممنوعا لما امرن بالحجاب ، فانه سترة عن الرجال الأجانب ، والآية تنهى عن التبرج بعد الأمر بقرارهن في بيوتهن ، فليس خروجهن غير متبرجات تحت النهي ولا تحت الأمر ، فهو إذا مسموح كفرع يستثنى عن اصل قرارهن في بيوتهن لراجع او واجب ام مباح!.

هنالك المنعة عن تبرج الجاهلية الاولى ، مما تلمح بتبرجة اخرى^(٢) ام تبرجات ثانية وثالثة اماهيه؟ وكما نعيش اليوم أبشع التبرجات النسائية في بلاد متخلفة عن شرعة الله ، لا يسترن إلا عوراتهن ولو كانت جميلة ما سترنها ، وقد يتبرجن فيها جليلة اكثر لمتاع الجنس وعند ذلك الطامة الكبرى! وجاهلية القرن العشرين من أبشع الجاهليات التي تمر فيها البشرية وعاشتها حتى الآن!

أنت يا ريحانة ماذا تعنين من التبرج ، تظهرين مفاتنك ، وتحملين بدنك وتتغنين في صوتك وحركاتك ، وتلبسين ما يجلب انظار تجار الجنس وبغاته ، فهل أنت متاع تعرضين نفسك للشراء ، ام حيوانة شهوة تبغين البغاء وتفتشين عن زبائن ، تعملين من نفسك برجا يقصد وعند ذلك الطامة الكبرى.

للتبرج النسائي دركات ، من مشية بين الرجال تجلب انظارهم وضرب بأرجلهم ليعلم ما يخفين من زينتهن ، بمشية تكسر وتغنج ، ومن تكشف ما

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٦٩ ح ٧٩ تفسير القمي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في هذه الآية قال : اي ستكون جاهلية اخرى

(٢) كما في الصحيحة عن عائشة.

يجب إخفاؤه من زينة ، وكل ما يعطف أنظار طلاب الجنس إليهن بصرا وسمعا وشمًا ، كل هذه تبرجات مهما اختلفت دركاتهما وخطراتهما ، والآية تمنع عن تبرج الجاهلية الاولى ولم يكن إلا تبرجا بزينة كيفما كانت ، اللهم إلا ما ظهر منها مهما جلبت انظارا ام لم تجلب .

هنالك تستر مطلق في قرارهن في بيوتهن وهو الأصل لحياتهن ، ثم خروج باحتشام في غير تبرج بزينة ، برجا ظاهرا دونما تظاهر ، ثم خروج في تبرج بأية زينة تجعلهن كبرج يقصد ، والممنوع هو الأخير بكل صوره ولا سيما التعري بين الرجال كما كن أحيانا يطفن البيت عاريات قائلات : اليوم يبدو كله او بعضه .. فما بدى منه فلا احله!

ولان الجاهلية الاولى ما تجاوزت عن تلکم التبرجات ^(١) فنحن نعيش الآن جاهلية أعمى وأنحس من الاولى ، غليظة الحس ، حيوانية التصور ، هابطة في درك البشرية الى حضيض مهين وضلال مبین! حيث بلغ التبرج الى ابشع من التعري.

﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾ كما يحق ، لا قياما للصلاة ولا إتيانها كيفما كان ، وانما إقامتها بظاهرها وباطنها كما تصلح لمحضر الرب سبحانه وتعالى .. «﴿وَاتَيْنَ الزَّكَاةَ﴾ : الضريبة المالية التي تنمي المال وتطهر صاحب المال

(١) في الدر المنثور ٥ : ١٩٩ عن مجاهد : كانت المرأة تخرج تمشي بين الرجال فذلك تبرج الجاهلية وعن قتادة : وكانت لمن مشية تكسر وتفنج فتهن الله عن ذلك عن ابن حيان : والتبرج انما تلقى الخمار على رأسها ولا تشده فيرى قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج وقال ابن كثير في التفسير : كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء وربما أظهرت شعرها وقرطة آذانها فامر الله المؤمنات ان يستترن في حياتهن وأحوالهن

والمجتمع من دنس الفقر وسوء الحال ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فأنتن أخرى بذلك حيث ينزل الوحي في بيوتكن ... إنما ...؟

﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣)

هذه آية التطهير ، منقطعة النصير ، في التعريف بمدى العصمة والطهارة للبشير النذير ، واهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم بذلك التطهير .

فانها على اتصالها بما قبلها من جملات في آيتها وآيات قبلها ثم «واذكرن» التي بعدها ، هي منفصلة عما احتفت بها في مغزاها ومعناها ، حيث الخطابات في سواها الـ (٢٢) كلهما جموع مؤنثة تعني نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهنا جمعان مذكران يعنيان الذكران من اهل البيت (عليهم السلام).

وانها تصلح لفظيا ومعنويا أن تكون آية مستقلة عما تصدرتها نازلة لوقت آخر ، وكما تواترت بذلك روايات الفريقين عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته الكرام (عليهم السلام) ^(١).

واستقرارها تأليفا في آية القرار : «وقرن...» أمر قاصد قاسط إذ يعني التأليف بين بيتي النبي الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) في الظاهر النسائي والباطن المعرفي في قمة العصمة والطهارة ، وليس لها موضع أنسب منها هاهنا ، رغم ما يهرف بما لا يعرف فيخرف أنها تحولت

(١) أحاديث التطهير المتواترة مطبقة على ان آية التطهير مستقلة نزلت دون ألفاظها الأخرى التي معها في التأليف.

الى هنا تحريفا عن موضعها بغية تحريف عن موضوعها انها تعني نساء النبي كما عنتهن سائر خطابتهن؟ وذكره الضمير دليل قاطع لا مرد له عما يعنيه من ذكران اهل البيت!.

او ان الله جعلها فيها كيلا تحرف عما تعنيه زعم انها تعني ما تعنيه خطابات النساء ، كحيلة إلهية تحول دون التحريف! ولا تحريف في القرآن ولن .. أيا كان وأيان بادلة الحفظ عقليا وكتابيا وفي السنة القطعية ، فهل يخاف الله المحرفين لكي يحتال حتى لا يغتال؟!.

ان ضميري التذكير يحافظان على كيان آية التطهير ، كما و «إنما» و «اهل البيت» إنما ذا من عساكر البراهين من نفس الآية ومن السنة المتواترة تدلنا على تحول الخطاب عنهن الى رجال اهل البيت ، إذا فالبيت غير البيت واهله غير اهله!

ليست آية التطهير لتعني نساء النبي لا في ادب اللفظ لمكان «كم .. كم» ولا في حذب المعنى لمكان «إنما» أما ذا؟ من قرائن قطعية تحافظ على مكانة مخاطبيها ، رغم مكانها بين مخاطبات!.

فكما ﴿يُؤَسِّفُ أُعْرَضُ عَنْ هَذَا﴾ لا تحوّل ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ الى مخاطبتها ، حيث اختلاف الضمائر يحافظ على ما يعنيه المضمّر والضمائر ذكرانا وإناثا! كذلك «كم» هنا لا تتحول الى غير مخاطبيها! وقرينة السياق . على نقد في أصلها . ليست لتسوق مقارنها الى غير الصريح من معناها!

أترى نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كن هنا رجالا لكي

يخاطبن بخطابهم «كم» كما يهرفه من لا يعرف ادب اللفظ والمعنى؟ ^(١) ام نسي الله او تناسى وسهى فخطبهن بعد خطابات النساء خطاب الرجال؟ ام عنى بهم رجال أهل البيت وفي ضمنهم النساء تغليبا لقبيل الرجال كما في سائر الأحوال؟ وشمول ضمير الرجال للنساء بحاجة الى دليل قاطع! والقرائن القطعية في الآية تنحّيهن وكل من هو دون العصمة القمة عنها! والسنة القطعية لا تضم إليها إلا الصديقة الكبرى سلام الله عليها! ولئن سألنا نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هل أنتن ام واحدة منكن داخلية في هذه الطهارة القمة الخارج عنها من خرج نبيا وسواه؟ لا نسمع الجواب إلا كلا ، ولا سيما وان القرآن ناطق بالاخطاء الجارفة في بعضهن ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾!

هنا «إنما» في ارادة الطهارة وإذهاب الرجس عن اهل البيت (عليهم السلام) تحصرها في أهل البيت وتحصرها عن سواهم ، أيا كانوا وأيان من اهل البيوتات الرسالية وملا العالمين من الملائكة والجنة والناس أجمعين!.

فلا يدخل في ذلك البيت القمة في العصمة العليا نوح وابراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) ولا جبريل وميكال والروح (عليهم السلام) آمن ذا؟ فضلا عن نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ام ورجال فوقهن في درجات الايمان كمقداد وأبي ذر وسلمان! اهل البيت في إطلاقها تشمل كل أهل من كل بيت ، بيت السكن

(١) كعكرمة في قوله «من شاء باهله» انما نزلت في ازواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما ويشير في قوله الاخرى الى وحدته في وهده «ليس بالذي تذهبون اليه انما هو نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (الدر المنثور ٥ : ١٩٨).

للبدن حيث الإنسان يستريح فيه ببدنه من الأعباء ، فأهله هم الأهلون لتهيئة الراحة البدنية من ازواج وخدم واضراهم.

ام بيت يبيت فيه الروح ، جوّ روحاني يبتغيه الروح لراحة الاستضاءة من أضواء المعرفة وأهله الأهلون لتلك الاستضاءة.

هذا جو روحاني وبيت يخلق على أهله ، وذاك جو جسدي وبيت يخلق على أهله ، وابن بيت من بيت وأهل من أهل؟

وهما قد يجتمعان كبيت علي وفاطمة لهما وللرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد يفتقران كحجرات الرسول بنسائه ، وكمن يعيشون عيشة الحيوان ليس لهم جوّ روحاني يعيشهم عيشة الإنسان!

ولمكان «إنما» هنا ليس من أهل البيت نساءه (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ لا يشملهن لأنهن أهل بيت سكن من حجر ومدر وهو بيت محمد كبشر ، والمسند اليه هنا هو محمد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)!

تري بعد انهم أهل بيت الرسول (عليه السلام)؟ وهو لا يشمل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهوأساسه وأساسه! و «إنما» الحاصرة تجعله المصداق الاجلي في هذه الاهلية المباركة ، وما سائر أهل البيت الا كمصاديق ثانوية! مهما تواترت الرواية انهم «علي وفاطمة والحسنان» في التنزيل وكما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) هؤلاء أهل بيتي وهم أحق بخلافتي»^(١).

(١) غاية المرام في كفاية الخصام ص ٣٧٦ عن مسند احمد بن حنبل عبد الرحمن بن احمد بن حنبل عن أبيه احمد عن شداد بن عمارة ذهب الى وائلة بن الاسفع وعنده جماعة يسبون عليا فشاركهم فقال وائلة أتريد ان أخبرك بما سمعت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قلت : بلى قال : ... ساق حديثه في آية التطهير ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : وهم أحق بخلافتي أقول والاربعة في التنزيل من باب .

او انهم اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ، أعلى جو روحاني يشملهم وإياهم ، وبيت رسالي يعمهم ، لا الرسولي الذي يخص أهل الرسول المعصومين؟ وهذا يناسب حصر الطهارة ، واطلاق البيت ^(١) وتواتر الأحاديث الاخرى عن الرسول واهل البيت وكما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) «نحن اهل بيت طهرهم الله من شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم» ^(٢) (عليهم السلام).

. التفسير بالمصداق الثاني المختلف فيه قائله بالمتفق عليه وقد اخرج عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) نزولها في الخمسة محمد بن جرير الطبري في التفسير عن خمسة عشر طريقا عن ام سلمة والسيوطي في التفسير عن عشرين طريق والثعلبي في التفسير عن تسعة طرق عن ام سلمة وفي طرق عدة عن عائشة ، وقد نقله جماعة من الحفاظ والمحدثين مثل ابو نصر الحميدي وموفق بن احمد وابو رزين في جامع الصحاح والامام احمد والطبراني عن ام سلمة ، والطبري والثعلبي في تفسيريهما وعبد الله الشافعي في مناقبه والطبراني في المعجم الكبير وابن أبي بكر في مجمع الزوائد والزرندي في نظم درر السمطين والهيثمي في الصواعق وابن حنويه في درر بحر المناقب والجري في المناقب والبدخشي في مفتاح النجا والقاري في أربعين حديثا والنبهاني في الأنوار المحمدية والواحدي في اسباب النزول والقندوزي في ينابيع المودة والأمر تسرى في أرجح المطالب والقسطلاني في المواهب اللدنية والخرائفي في مشارق الأنوار والنبهاني في الشرف المؤيد والذهبي في تاريخ الإسلام .كلهم عن أبي سعيد الخدري عنه (صلى الله عليه وآله وسلم).

(١) حيث التقييد باهل بيت الرسول روحيا كما هو بدنيا لا يناسب اطلاق «اهل البيت ، وبيت الرسالة المحمدية هنا قضية الإطلاق وسائر البراهين القاطعة.

(٢) الدر المنثور ٥ : ١٩١ عن ضحال بن مزاحم ان نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقول : ... أقول «كان يقول» دليل استمراره في قوله هذا وقد اخرج عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) نزولها في الخمسة محمد بن جرير الطبري في خمسة عشر رواية عن شهر بن حوشب عن ام سلمة والسيوطي في التفسير في عشرين رواية والثعلبي عن أبي سعيد الخدري عنها وعن أبي هريرة وعبد الله بن وهب بن زمعة وعمر بن أبي سلمة عنها ومسلم بن الحجاج والبخاري وسائر الصحاح عنها والثعلبي في .

ولقد اجمع اصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والتابعون ، واتباعهم ، وأئمة الحديث ، والمفسرون في تواتر صارم لا قبل له ولا مثيل بين متواتر الحديث ، أجمعوا على نزول آية التطهير في أهل بيت النبوة ، وقد يروى روايات حديث التطهير ألفا مما يجعله كآيته في التواتر الصارم!

ومن المروي عنهم فاطمة الزهراء (عليها السلام) ^(١) بنت الرسول

. تفسيره بتسعة طرق وابو نصر الحميدي وموفق ابن احمد صدر الائمة وابو رزين في جامع الصحاح كل عن ام سلمة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) والامام احمد والطبراني عنها وكذلك عن عائشة بعدة طرق ، وعشرات وعشرات اخرى من الحفاظ ورجالات الحديث لحد يجعل نزولها في الخمسة أقوى من نزولها في الاربعة!

(١) وقد روي عنها حديث الكساء المشهور ، أخرجه عن جابر بن عبد الله الانصاري جماعة كالشيخ البحراني صاحب العوالم يقول رأيت بخط الشيخ الجليل السيد هاشم البحراني عن السيد ماجد البحراني عن الشيخ حسن بن زين الدين الشهيد عن المقدس الاردبيلي عن علي بن عبد العالي الكركي عن الشيخ علي بن هلال الجزائري عن الشيخ احمد بن فهد الحلبي عن الشيخ علي بن الخازن الحائري عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الاول عن أبيه عن فخر المحققين عن العلامة الحلبي عن المحقق الحلبي عن ابن نما الحلبي عن محمد بن إدريس الحلبي عن أبي حمزة الطوسي عن محمد بن شهر آشوب عن الطبرسي صاحب الاحتجاج عن الشيخ حسن بن محمد الطوسي عن أبيه شيخ الطائفة الطوسي عن الشيخ المفيد عن ابن قولويه القمي عن الكليني عن علي بن ابراهيم القمي عن ابراهيم بن هاشم عن احمد بن محمد بن أبي نصر البنزطي عن قاسم بن يحيى الجلاء الكوفي عن أبي بصير عن ابان بن تغلب عن جابر بن يزيد الجعفي عن جابر بن عبد الله الانصاري انه قال : سمعت فاطمة الزهراء (عليها السلام) انها قالت : دخل علي أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض الأيام فقال : السلام عليك يا فاطمة! فقلت : وعليك السلام يا أبتاه فقال : اني لأجد في بدني ضعفا فقلت له : أعيذك بالله يا أبتاه من الضعف فقال : يا فاطمة ايتيني بالكساء اليماني وغطيني به وصرت انظر اليه فإذا يتألاً كأنه البدر في ليلة تمامه وكمالها فما كانت الا ساعة وإذا بولدي الحسن (عليه السلام) قد اقبل فقال السلام عليك يا أماه فقلت وعليك السلام يا قرة عيني وثرة فؤادي فقال لي : يا أماه! اني أشم عندك رائحة طيبة .

. كأنها رائحة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت نعم يا ولدي ان جديك تحت الكساء فاقبل الحسن (عليه السلام) نحو الكساء وقال : السلام عليك يا جداه يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! أتأذن لي ان ادخل معك؟ فقال : وعليك السلام يا ولدي وصاحب حوضي قد أذنت لك فدخل معه تحت الكساء فما كانت الا ساعة فإذا بولدي الحسين (عليه السلام) قد اقبل وقال : السلام عليك يا أماه! فقلت وعليك السلام يا قرّة عيني وثمرة فؤادي فقال لي : يا أماه! اني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت : نعم يا بني ان جديك وأخاك تحت الكساء فدى الحسين (عليه السلام) نحو الكساء وقال : السلام عليك يا جداه السلام عليك يا من اختاره الله أتأذن لي ان أكون معكما تحت هذا الكساء؟ فقال : وعليك السلام يا ولدي وبيا شافع امتي قد أذنت لك فدخل معهما تحت الكساء فاقبل عند ذلك ابو الحسن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقال : السلام عليك يا فاطمة يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت وعليك السلام يا أبا الحسن وبيا امير المؤمنين (عليه السلام) فقال : يا فاطمة اني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة اخي وابن عمي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت نعم ها هو مع ولديك تحت الكساء فاقبل علي نحو الكساء وقال : السلام عليك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتأذن لي ان أكون معكم تحت الكساء قال له وعليك السلام يا اخي وخليفتي وصاحب لوائي في المحشر نعم قد أذنت لك فدخل علي تحت الكساء ثم أتيت نحو الكساء وقلت السلام عليك يا أبتاه يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتأذن لي ان أكون معكم تحت الكساء قال لي وعليك السلام يا بنيتي وبيا بضعتي قد أذنت لك فدخلت معهم فلما اكتملنا واجتمعنا جميعا تحت الكساء فأخذ أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بطرفي الكساء وأومى بيده اليمنى الى السماء وقال : اللهم ان هؤلاء اهل بيتي وخاصتي وهامتي لحمهم لحمي ودمهم دمي يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم ومحب لمن أحبهم وانهم مني وانا منهم فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك علي وعليهم واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقال عز .

. وجل : يا ملائكتي ويا سكان سماواتي اني ما خلقت سماء مبنية ولا أرضا مدحية ولا قمرا منيرا ولا شمساً مضئية ولا فلكا يدور ولا فلكا تسري ولا بحرا يجري الى المحبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء فقال الأمين جبرئيل يا رب ومن تحت الكساء؟ فقال الله عز وجل: هم اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وهم فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها فقال جبرئيل يا رب أتأذن لي ان اهبط الى الأرض لأكون معهم سادسا فقال الله عز وجل : قد أذنت لك فهبط الأمين جبرئيل وقال لابي : السلام عليك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العلي الأعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك : وعزتي وجلالي اني ما خلقت سماء مبنية ولا أرضا مدحية ولا قمرا منيرا ولا شمساً مضئية ولا فلكا يدور ولا بحرا يجري ولا فلكا تسري إلا لأجلكم ومحبتكم وقد اذن لي ان ادخل معكم فهل تأذن لي أنت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال أبي وعليك السلام يا أمين وحي الله نعم قد أذنت لك فدخل جبرئيل معنا تحت الكساء فقال جبرئيل لابي ان الله قد اوحى إليكم يقول : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فقال علي (عليه السلام) يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اخبرني ما جلوسنا هذا تحت هذا الكساء من الفضل عند الله فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : والذي بعثني بالحق نبيا واصطفاني بالرسالة نجيا ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل اهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا الا ونزلت عليهم الرحمة وحفت بهم الملائكة واستغفرت لهم الى ان يتفرقوا فقال علي (عليه السلام) : إذا والله فزنا وفاز شيعتنا ورب الكعبة فقال أبي يا علي! والذي بعثني بالحق نبيا واصطفاني بالرسالة نجيا ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل اهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا وفيهم مهموم الا وفرج الله همه ولا مغموم الا وكشف الله غمه ولا طالب حاجة الا وقضى الله حاجته فقال علي (عليه السلام) : إذا والله فزنا وسعدنا وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والآخرة برب الكعبة».

أقول : ورواه مثله الا في بعض المكررات الشيخ فخر الدين الطريحي في كتابه المنتخب الكبير والديلمي في الغر والدرر والحسين العلوي والدمشقي الحنفي والشيخ محمد جواد الرازي الكني في نور الافاق ص ٤ وقد نظمه جماعة من نوابغ الأدب من أصحابنا وإخواننا منهم ابو المعز السيد محمد بن السيد مهدي القزويني والسيد هاشم بن المحسن اللعبي الموسوي والسيد محسن الأمين الحسين العاملي الدمشقي صاحب اعيان الشيعة والشيخ احمد الشافعي على ما في المشارق للعدوي والشيخ يوسف النبهاني البيروتي والسيد محمد بن عبد المحسن الخيوي الخلوقي الدمشقي في ديوانه وتؤيد حديث الكساء الروايات التي تقول جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى فاطمة كما أخرجه .

(صلى الله عليه وآله وسلم) وعائشة وام سلمة وزينب من أزواجه ، وكافة أئمة اهل البيت (عليهم السلام).^(١)

. ابن أبي شيبه وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن وائلة بن الأسقع قال : جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى فاطمة ومعه علي وحسن وحسين حتى دخل .. واخرج سبط ابن الجوزي عن وائلة قال : أتيت فاطمة (عليها السلام) أسألها عن علي فقالت : توجه الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلست انتظره فإذا برسول الله قد اقبل ومعه علي والحسن والحسين قد أخذ بيد كل واحد منهم وقليل هذه الروايات التي تقول ان القصة كانت في بيت غير فاطمة ، فانها بين مطلقة وما تدل انها كانت في بيتها. ولفظة «خرج» (صلى الله عليه وآله وسلم) في رواية عائشة في الأكثر دليل ان القصة ما كانت في بيت عائشة كما رواه عنها ابن مسعود الشافعي مصابيح السنة والزمخشري في الكشف وابن جرير في تفسيره وابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشف والدشتكي الشيرازي في روضة الأحاب ومسلم في صحيحه واخرج ابن أبي شيبه واحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن وائلة بن الأسقع قال : جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى فاطمة ومعه علي وحسن وحسين حتى دخل ... شو النيسابوري في المستدرک ٢ : ٤١٦ عن وائلة قال : جئت أريد علي ... والقندوزي في ينابيع المودة ٢٢٩ عن وائلة قال : دخل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على بيت فاطمة ... أقول والرواية عن وائلة في كلمة واحدة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء الى بيتها!

(١) ومن أصح ما أسند الى عائشة ما يروى عن مجمع انه دخل مع امه عليها بعد مقتل الامام علي (عليه السلام) فسألتها عن علي (عليه السلام) فقالت : تسأليني عن أحب الناس الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقد رأيت عليا وفاطمة وحسنا وحسينا وجمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بثوب عليهم ثم قال : اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» قلت : وانا من اهل بيتك؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : تنحي أنت على مكانك انما أراد الله بهذه الآية انا وعليا وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) رواه الثعلبي في تفسيره بإسناد متصل الى مجمع الحارثي والبخاري ومسلم من مسند عائشة وابن أبي شيبه واحمد .

. واحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عنها ، ويتفاوت يسير عن الجمع بين الصحاح الستة عن موطأ ما لك بن الانس وصحيح مسلم والبخاري وسنن أبي داود عن جمع الشيخ ابو الحسن رزين بن معاوية العبد يري عن صحيح أبي داود عنها الا في «انا» ومقدمة القصة وأخرجه مثله ابو زكريا ابن أبي إسحاق بسند له عن جميع اليتي وابو عبد الله الدينوري عن مجمع وعبد الله بن فراس الشيباني عن العوام كما في امالي ابن بابويه (ملحقات الاحقاق ١٤ : ٧٤ . ٧٥). وفي ٩ : ١٠ البيهقي في المحاسن والمساوي ٢٩٧ قال قيل وسئلت عائشة عن امير المؤمنين (عليه السلام) فقالت وما عسيت ان أقول فيه وهو أحب الناس الى رسول الله فسألت حديث التطهير الى وقيل لها كيف سرت اليه؟ قالت : انا نادمة وكان ذلك قدرا مقدورا ومن اخرج ما في معناه عن عائشة العلامة باكير الحضرمي في وسيلة المآل ص ٧٣ نسخة الظاهرية بدمشق والعلامة الشيخ عبد العزيز بن يحيى في الدر المنثور في تفسير الأسماء الحسنی بالمأثور (ص ١٢٦ ص ط الميمنية بمصر) والعلامة محمد رضا المصري والعلامة علي بن سلطان محمد القاري والثعلبي والبخاري ومسلم من مسند عائشة وابن أبي شيبه واحمد وابن أبي حاتم والحاكم والجمع بين الصحاح الستة عن موطأ مالك وصحيح مسلم والبخاري وسنن أبي داود عن جمع الشيخ ابو الحسن رزين معاوية عن صحيح أبي داود والعلامة جمال الدين الزرندي الحنفي في (نظم درر السمطين ١٢٣) والعلامة الشيخ ابراهيم الحموي في فرائد السمطين المخطوط والعلامة السيد علوي بن طاهر الحداد الحضرمي في القول الفصل ج ٢ ص ٢١٥ ط جاوا والحافظ البيهقي في السنن الكبرى ج ٢ ص ١٤٩ والطبري في جامع البيان ٢٢ : ٦ وابو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي في الجمع بين الصحيحين المخطوط والعلامة البغوي في تفسيره معالم التنزيل ٥ : ٢١٣ والعلامة محب الدين الطبري في ذخائر العقبى ص ٢٤ والعلامة ابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية ٨ : ٣٤ والشيخ عبد القادر بن احمد بدران الدمشقي في تهذيب تاريخ ابن عساكر والعلامة الشيخ علاء الدين البغدادى الشهير بالخازن في تفسيره (٥ : ٢١٣) والعلامة ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحنبلي في منهاج السنة ٣ : ٤ و ٤ : ٢٠ والعلامة الشيخ خضر بن عبد الرحمن في التبيان ص ١٢٥ مخطوط والعلامة الشيخ سعيد بن محمد بن مسعود الشافعي في المنتقى في سيرة المصطفى ص ١٨٨ المخطوط والخطيب التبريزي العمري في مشكوة المصابيح ص ٥٦٨ ط الدهلي والعلامة الذهبي في المنتقى من منهاج الاعتدال ص .

١٦٨ و ٣٠٤ والعلامة القاضي المير حسين المبيدي البيزدي في شرح ديوان امير المؤمنين ص ١٨٥ مخطوط والعلامة احمد بن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ص ٢٢٧ والعلامة الشيخ عبد النبي بن أحمد القدوس الحنفي في سنن الهدى ٥٦٣ مخطوط والعلامة علي بن عبد العال الكركي في نفحات اللاهوت ص ٥٣ والعلامة عبد الغني بن إسماعيل النابلسي في ذخائر المواريث ج ٤ ص ٢٧٧ والعلامة الشيخ عبد الله الشافعي في المناقب ١٥ مخطوط والعلامة البدخشي في مفتاح النجا ١٤ مخطوط والعلامة الشيخ سليمان البلخي الحنفي في ينابيع المودة ١٠٧ والعلامة السيد محمد صديق حسنخان ملك بهوبال في فتح البيان ٧ : ٢٧٧ والعلامة الشيخ عبد الله الشيباني في تيسير الوصول ١٦٠ والعلامة الشيخ يوسف النبهاني في الشرف المؤبد والعلامة الحضرمي في القول الفصل ٢ : ٢١٠ والعلامة السيد ابو بكر العلوي الحضرمي الشافعي في رشفة الصادي ١٥ والعلامة السيد محمد بن يوسف التونسي في السيف اليماني والعلامة الشيخ عبيد الله الحنفي الأمر تسرى في أرجح المطالب ٥٢ والعلامة السيد احمد بن سودة الحسني الادريسي في رفع اللبس والشبهات ٦٥ والعلامة الشيخ منصور بن علي ناصف المصري في التاج الجامع للأصول ٣ : ٣٠٨ والعلامة الملا علي بن سلطان الهروي الحنفي في جمع الوسائل في شرح الشمائل ١ : ١٤٧

(٣) ومما روي عن ام سلمة ما أخرجه محمد بن جرير الطبري عن حكيم بن سعد قال ذكرنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عند ام سلمة فقالت : في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى بيتي فقال : لا تاذني لأحد فجاءت فاطمة فلم أستطع أن احجبها عن أبيها ثم جاء الحسن فلم أستطع أن احجبه عن أبيها ثم جاء الحسن فلم أستطع أن احجبه عن جده ثم جاء علي فلم أستطع أن احجبه فاجتمعوا فجللهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بكساء ، كان عليه ثم قال : اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فنزلت هذه الآية اجتمعوا على البساط فقلت يا رسول الله وانا فوالله ما أنعم وقال : انك الى خير واخرج ابن المغازلي وكثير مثله عنها انها قالت نزلت هذه الآية في رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليه السلام)

وممن اخرج حديث التطهير عنها الحافظ ابو بشر الدولابي في كتاب الكنى ٢ : ٤٢١ والحافظ الحسين بن الحكم الجري في تنزيل الآيات ٢٠ نسخة فوتوغرافية جامعة طهران والعلامة الحضرمي في وسيلة المال ٧٣ نسخة الظاهرية بدمشق والعلامة ابن المغازلي الشافعي في .

. المناقب ١١٠ نسخة مكتبة صنعائين والعلامة الشيخ محمد رضى المصري المالكي في الحسن والحسين ٧ والحافظ ابو عيسى الترمذي في صحيحه ١٣ : ٢٤١ واحمد بن حنبل في مسنده ٦ : ٢٩٨ والطبري في تفسيره ٢٣ : ٧ .
والبخاري في التاريخ الكبير ١ : ٧٠ واحمد بن علي بن ثابت الشافعي في تاريخ بغداد ٩ : ١٢٦ وعبد الله بن محمد بن حيان الاصبهاني في أخلاق النبي ١١٦ ابو إسحاق الثعلبي في الكشف والبيان المخطوط والعلامة النبهاني في الأنوار المحمدية ٤٣٤ والواحدى النيسابوري في اسباب النزول ٢٦٧ وابو نعيم في اخبار اصبهان ١ : ١٠٨ والبعوي في معالم التنزيل ٢١٣ وعلي بن ثابت الشافعي في موضح أوهام الجمع والتفريق ٣ : ٢٨١ وابن الأثير في اسد الغابة ٤ : ٢٩ ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة ٢ : ١٨٨ والذهبي في تاريخ الإسلام ٦ وعلي بن الحسين بن عساكر في تاريخ دمشق والناقلي في ذخائر المواريث ٤ : ٢٩٣ والزرندي في نظم درر السمطين ٢٣٨ والبيهقي في السنن الكبرى ٢ : ١٥٠ والقاضي يوسف بن موسى في المعتصر من المختصر ٢ : ٢٦٦ وجلال الدين السيوطي في مفحمت الإقران في مبهمات القرآن ٣٢ والشيخ ابو الحسن الكازروني في شرف النبي على ما في مناقب الكاشي المخطوط ٢٢٤ والقسطلاني في المواهب اللدنية ٧ : ٤ والعسقلاني في الاصابة ٤ : ٣٣٦ والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣ : ١٩٠ وابن حمزة الحسيني في البيان والتعريف ١٤٩ والشيخ حسن الحمزاوي في مشارق الأنوار ١١٣ والقرواني في اخبار الدول ١٢٠ وعلي بن عبد العال الكركي في نفحات اللاهوت ٥٣ والازدي في التبيان ١٢٥ والسيد احمد زيني دحلان في السيرة النبوية ٣ : ٣٢٩ والملا علي القاري في الأربعين حديثا ٦١ وابن الديبع في تيسير الوصول ١٦٠ وابن حمزة الحسيني في البيان والتعريف ١ : ١٥٠ والبدخشى في مفتاح النجا ١٤ والحضرمي في رشقة الصادي ١٤ والكاشفي في المواهب العلية والذهبي في المنتقى من منهاج الاعتدال ١٦٨ وابن محمد كرام القناني المالكي في الجواهر الحسان ٢٩٤ والقندوزي في ينابيع المودة ١٠٦ والشيخ عبد الهادي الاياري المصري في جالية الكدر ١٩٦ والحضرمي في القول الفصل ٢ : ١٦٥ والشيخ عبيد الله الحنفي الأمر تسري في أرجح المطالب ٥٢ وابن الالوسي في جلاء العينين ٣٩ والشيخ حسن النجار في الاشراف ١٠ وابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية ٧ : ٣٣٨»

(٤) ومما روي عن زينب بسند عن عبد الله بن جعفر الطيار عن أبيه قال : لما نظر .

وعلي امير المؤمنين عليه السلام ^(١) وابن عباس ^(١) وأبي سعيد

. النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى جبرئيل هابطا من السماء قال : من يدعو لي؟ فقالت زينب : انا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! فقال : ادعي لي عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فجعل حسنا عن يمينه وحسينا عن يساره وعليا وفاطمة تجاههم ثم غشاهم بكساء ، خيري وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) اللهم ان لكل نبي أهلا وان هؤلاء اهلي فانزل الله الآية فقالت زينب : الا ادخل معكم؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) مكانك فإنك على خير إن شاء الله اقول : أخرجه عنها جماعة مما يجلب النظر تسابق نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في اختصاص هذه الفضيلة ببيتها حتى عائشة المعادية لعلي (عليه السلام) مما يدل على مدى القاطعية الصارمة في واقع هذه القضية!

(١) يروى عند حديثان أحدهما «كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يأتي كل يوم باب فاطمة عند صلاة الفجر فيقول : الصلاة يا اهل بيت النبوة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾» تسعة أشهر بعد ما نزلت ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ .. رواه عنه ثلاثمائة من الصحابة ومن أخرجه عنه العلامة القندوري في ينابيع المودة ١٧٤ والعلامة السيد احمد بن عبد الحميد العباس في عمدة الاخبار ٧٨ والعلامة السهمودي في خلاصة الوفاء ٢١٣ والكاشفي في المواهب العلية والمراغي في تحقيق النضرة ٧٥ والسهمودي في وفاء الوفاء تاريخ المدينة المنورة ١ : ٣٣١ وثانيها مختلف احتجاجاته (عليه السلام) يوم الشورى على أبي بكر ومنها : فانشدك بالله ألي ولاهلي وولدي آية التطهير من الرجس ام لك ولأهل بيتك؟ قال : بل ولك ولأهل بيتك (عن الخصال) ومنها احتجاجه على الناس يوم الشورى ح ٩٠ واحتجاجه ايام خلافة عثمان في جمع من المهاجرين والأنصار : ايها الناس أتعلمون ان الله عز وجل انزل في كتابه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ فجمعني وفاطمة وابني حسنا وحسينا والقي علينا كسائه وقال : اللهم هؤلاء اهل بيتي ولحمتي يولمني ما يولمهم ويخرجني ما يخرجهم فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة وانا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! فقال : أنت . او . انك على خير انما أنزلت فيّ وفي اخي وابنتي وابني وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصة ليس معنا فيها احد فقالوا كلهم : نشهد ان ام سلمة حدثنا بذلك فسألنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فحدثنا كما حدثتنا ام سلمة (كمال الدين وتمام النعمة

. باسناده الى سليم بن قيس الهلالي عنه (عليه السلام) وفي العلل باسناده الى ابن أبي عمير عن ذكره عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لما منع ابو بكر فاطمة فدكا واخرج وكيلها جاء امير المؤمنين (عليه السلام) الى المسجد وابو بكر جالس وحوله المهاجرون والأنصار فقال يا أبا بكر لم منعت فاطمة ما جعله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها ووكيلها فيه منذ سنين . الى قوله . فقال (عليه السلام) لابي بكر تقرء؟؟ القرآن؟ قال : بلى قال : فاخبرني عن قول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ فينا او في غيرنا نزلت؟ قال : فيكم قال : فاخبرني لو ان شهودا شهدوا على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعا؟ قال : كنت أقيم عليها الحد كما أقيم على نساء المؤمنين ، قال (عليه السلام) : كنت إذا عند الله من الكافرين! قال : ولم؟ قال : لأنك كنت ترد شهادة الله وتقبل شهادة غيره لان الله عز وجل قد شهد لها بالطهارة فإذا رددت شهادة الله وقبلت شهادة غيره كنت من الكافرين قال : فبكي الناس وتفرقوا ودمدموا» (نور الثقلين ٤ : ٢٧١ ح ٩٣).

(١) وقد روى عنه حديث التطهير جماعة من أعلام القوم ومنهم الحافظ الحسين بن الحكم الجري في تنزيل الآيات ٢٤ ان الآية نزلت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي فاطمة والحسن والحسين ، وفي ملحقات الاحقاق ١٤ : ٦٨ بسند عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الله تبارك وتعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسما فذلك قوله ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة فذلك قوله ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ فانا اتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وأخرجه ابو عبد الرحمن السلمي بسند عن عطية وابو حفص عمر بن احمد العابد عن أبي سعيد . والعلامة إسماعيل بن عبد الله النقشبندی في مناقب العشرة ١٩٤ والعلامة الأمر تسري في أرجح المطالب ٥٤ والسيوطي في الدر المنثور وابن مردويه

الخدري^(١) وانس^(٢) وعطاء^(٣) وأبي الحمراء^(٤) او واثلة بن الأسقع^(٥)

(١) وممن روى عنه القاري في مرقاة المفاتيح ١١ : ٣٧١ والجري في تنزيل الآيات ٢٣ مخطوط والحضرمي في وسيلة المآل ٧٦ والشيخ محمد رضا المصري المالكي في (الحسن والحسين سبطا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) وابن المغازلي الشافعي في المناقب مخطوط ومحمد بن جرير الطبري ومما رواه عنه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ كما أخرجه ابو إسحاق الثعلبي في الكشف والبيان مخطوط وعبد الله الشافعي في مناقبه ١٢ مخطوط والطبراني في المعجم الكبير ١٣٤ ونور الدين علي بن أبي بكر في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٧ والزرندي في نظم در السمطين ٢٣٨ وابن حجر لهيثمي في الصواعق ٢٢٧ وابن عساكر في تاريخه ٤ : ٢٠٤ وابن حسنويه الحنفي في درر بحر المناقب ٥ مخطوط البدخشي في مفتاح النبي ١٣ والواحدي في اسباب النزول ٢٦٦ والقندوزي في ينابيع المودة ١٠٨

(٢) وممن أخرجه عنه الترمذي في جامعه ٤ : ١٤٤ والهندي في كنز العمال ج ١٦ والقاري في مرقاة المفاتيح ١١ : ٣٧١ والمصري المالكي ، واحمد بن حنبل في مسنده ٣ : ٢٥٩ والطبراني في المعجم الكبير ١٣٤ وابن جرير الطبري في التفسير ٢٢ : ٦ وابن اثير في اسد الغابة (٥ : ٥٢١) والذهبي في تاريخ الإسلام ٩ : ٩٧ وابن شاهين في فضائل سيدة النساء والصفوري في المحاسن المجتمعة ١٨٩ والهندي في المنتخب ٥ : ٩٦ وابن كثير في التفسير والسمعاني في الرسالة القوامية والسيد محمد صديق في فتح البيان ٧ : ٢٧٧ والنابلسي في ذخائر الموارث ١ : ٣٨ والمالكي في مشارق الأنوار ١١٣ والنجار في الاشراف ٩ وابن البديع في تيسير الوصول ١٦٠ والبدخشي في مفتاح النجا والبلخي في الينابيع ١٩٣ والعظيم آبادي الهندي في تجهيز الجيش مخطوط والنبهاني في الشرق المؤيد ٧٠٦ والأمر تسري في أرجح المطالب ومما روى عنه ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمر ببیت فاطمة ستة أشهر كلما خرج الى الصلاة فيقول : الصلاة اهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾.

(٣) وممن رواه عنه ابن المغازلي في المناقب والحسكاني في شواهد التنزيل وابن الأثير في اسد الغابة ٣ : ٤١٣ والعسقلاني في الاصابة ٢ : ٤٧٩.

(٤) وممن اخرج عند ابن الحكم الجري في تنزيل الآيات ٢٤ مخطوط والحضرمي في وسيلة المآل.

وسعد^(١) وجعفر بن أبي طالب (عليه السلام)^(٢) وأبي برزة^(٣) وصبيح^(٤) وأبي سلمة^(٥) وجماعة آخرون من الصحابة^(٦) كلهم رروا أنها نزلت في

(٥) . ومن أخرجه عنه الحضرمي وابن المغازلي ومحمد القاري وابن موسى في المعتصر من المختصر والثعلبي في الكشف والبيان مخطوط والبيهقي في السنن الكبرى ٢ : ١٥٢ والطبري في ذخائر العقبى ٢٤ وابن كثير في التفسير والقسطلاني في المواهب ٧ : ٣ وابن بكر في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٧ والكركي في نفحات اللاهوت ٥٢ والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣ : ٣١٢ والقندوزي في الينابيع ٢٢٩ والحمزاوي في مشارق الأنوار ١١٣ والساعاتي في بدايع المنن ٢ : ٤٩٥ والهاشمي في أئمة الهدى ١٤٥ ، ومن حديثه بإخراج المغازلي ١١١ مخطوط والمناقب عن أبي عمار قال دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم يذكرون عليا فقال لي واثلة : الا أخبرك لما رأيت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قلت : بلى . قال : أتيت فاطمة (عليها السلام) فسألتها عن علي (عليه السلام) فقالت : توجه الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلت انتظره في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي (عليه السلام) معه فدخل معهم البيت فأدنى عليا وفاطمة فاجلس واحدا عن يمينه والآخر عن يساره ودعا الحسن والحسين فاجلس كل واحد منهما على فخذه ثم قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ اللهم هؤلاء اهل بيتي واهل بيتي أحق.

(١) ومن أخرجه عنه تسعة وسبعون من هؤلاء الحفاظ والمحدثين والمفسرين وسواهم

(٢) ومن أخرجه عند الحضرمي في القول الفصل ١٨٥ والثعلبي في الكشف والبيان

(٣) ومن أخرجه عنه علي بن أبي بكر في مجمع الزوائد في حديثه : صليت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سبعة عشر شهرا فإذا أخرج من باب بيته أتى باب فاطمة فقال : الصلاة عليكم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ رواه الطبراني.

(٤) ومن أخرجه عنه العسقلاني في الاصابة ٢ : ١٦٩ والثعلبي في الكشف والبيان مخطوط وابن الأثير في اسد الغابة ٣ : ١١ في ترجمة صبيح بسنده الى ابراهيم بن عبد الرحمن بن صبيح مولا ام سلمة عن جده صبيح قال : كنت بباب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وساق حديث التطهير

(٥) ومن أخرجه عنه الترمذي في جامعه والحضرمي في وسيلته والسهلاوي في وسيلة النجاة ٢٠٤ .

(٦) ومنهم سعد بن أبي وقاص وسهل بن سعد وابو هريرة وبريدة الاسلمي وابو سعيد .

الخمس أو الأربعة ، وفي أكثرها انه (صلى الله عليه وآله وسلم) جمعهم وإياه تحت الكساء بعد نزولها . وفي بعضها قبل نزولها . ودعا لهم بما دعا .

والرواة عنهم يبلغون المآت في كتب الحديث والتفسير وسائر المصنفات ^(١) وقد يربو قاطع التواتر في حديث الطهارة حول آية التطهير كل

. الخدري وعبد الله بن عمر وعمران بن الحصين وسلمة بن الأكوخ كلهم بمعنى واحد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اخرج عنهم ابن عبد البر في الاستيعاب ٢ : ٤٦٠ والحضرمي في القول الفصل ١ : ٤٨ وبهجت افندي في تاريخ آل محمد ٤٢ والترمذي في صحيحه والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣ : ١٩٠ والقندوزي في الينابيع ١٥ والتعلي في الكشف والبيان مخطوط والجنابذي الحنفي في معالم تنزيل النبوة مخطوط

(١) ومن مصنفات إخواننا السنة التي تحوي حديث الكساء والتطهير مائة كتاب كمسند أبي داود بسنده عن انس ٢ . ومسند ابن حنبل بأسانيد عن صحابين وصحابيات ٣ . وصحيح الترمذي ٤ . وخصائص النسائي ٥ . وتفسير الطبري عن خمسة عشر طريقا الى أبي سعيد وعائشة وأبي الديلم وام سلمة وعمر وابن أبي سلمة وانس وأبي الحمراء ووائله ويونس بن أبي إسحاق وأبي عمار ٦ . ومسند الرازي ٧ . ومعجم الطبراني ٨ . واحكام القرآن للجصاص ٩ . ومستدرك الحاكم ١٠ . والامالي للهاروني ١١ . وتاريخ جرجان السهمي ١٢ . والسنن الكبرى للبيهقي ١٣ . وتاريخ بغداد ١٤ . والاستيعاب للأندلسي ١٥ . واسباب النزول للواحدي ١٦ . والفردوسي للدلمي ١٧ . ومصابي السنة للبغوي ١٨ . والكشاف للزمخشري ١٩ . واحكام القرآن للإشيلي ٢٠ . والشفا للقاضي عياض ٢١ . والمناقب لموفق بن احمد ٢٢ . وتاريخ دمشق لابن عساكر ٢٣ . والتفسير الكبير للرازي ٢٤ . وجامع الأصول لابن الأثير ٢٥ . وكتب متعددة لابن بطريق ٢٦ . واسد الغابة لابن الأثير ٢٧ . والتذكرة لابن الجوزي ٢٨ . وكفاية الطالب للكنجي ٢٩ . ومطالب السؤل لابن طلحة ٣٠ . واحكام القرآن للقرطبي ٣١ . وشرح المذهب للنووي ٣٢ . وأنوار التنزيل للقاضي البيضاوي ٣٣ . وذخائر العقبى لمحب الدين الطبري ٣٤ . والمدارك للنسفي ٣٥ . ومشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ٣٦ . وتفسير ابن كثير القرشي ٣٧ . ومجمع الزوائد للهيتمي ٣٨ . والفصول المهمة لابن صباغ ٣٩ . والاصابة لابن حجر العسقلاني ٤٠ . والكافي الشاف له ٤١ . وفتح الباري له ٤٢ . وتلخيص .

تواتر في أي حديث مهما اختلف النقل في نزولها في : أيّ من بيوت : فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ او ام سلمة؟ او

. المستدرك للذهبي . ٤٣ . والحقائق الوردية لليمانى . ٤٤ . وتفسير النيسابوري . ٤٥ . وروضة الأحياب للدشتكى الشيرازي . ٤٦ . والدر المنثور للسيوطي . ٤٧ . والخصائص له . ٤٨ . والإتقان له . ٤٩ . والإكليل له . ٥٠ . والابطال لابن روزبهان . ٥١ . وحبيب السير لخواند مير . ٥٢ . والصواعق المحرقة لابن حجر . ٥٣ . ومناقب مرتضوي للترمذي الكشفي . ٥٤ . ومنتخب كنز العمال لعلي المتقي . ٥٥ . والسراج المنير لسراج الدين الخطيب . ٥٦ . والمناقب لابن النقيب . ٥٧ . والسعدية للغيثي . ٥٨ . وبخر المناقب للبلخي . ٥٩ . وشرح الفقه الكبير لعلي القاري . ٦٠ . وشرح الجامع الصغير للمناوي . ٦١ . وأرجح المطالب لشمس الدين . ٦٢ . والكافية لشرف الدين . ٦٣ . والسيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي . ٦٤ . ومدارج النبوة للدهلوي . ٦٥ . والمناقب للزرقاني . ٦٦ . والالتحاف لحب الأشراف للأشراف للشبراوي . ٦٧ . واسعاف الراغبين لمحمد الصبان . ٦٨ . والروض النضير للحيمي اليماني . ٦٩ . وفتح الغدير للشوكاني . ٧٠ . وروح المعاني للالوسي . ٧١ . ونور الأبصار للشبلنجي . ٧٢ . وتشريف البشر للسيد صديق . ٧٢ . ومشارك الأنوار لحسن العدوى . ٧٤ . وكتاب الشرف المؤيد لآل محمد للنبهاني . ٧٥ . ورشفة الصادي للحضرمي العلوي . ٧٦ . وأئمة الهدى للسيد عبد الغفار الأفغاني . ٧٧ . والسيف المسلول للتونسي الكافي . ٧٨ . والقول الفصل للحضرمي الجاوي ويذكر ثمانية عشر رجلا من أعظم ارباب الكتب ونقل صحيح الحديث عن ستة عشر رجلا من فطاحل المحدثين وعد خمسة عشر صحابيا ممن ينتهي اليه الحديث . ٧٩ . والوسيط للواحدى . ٨٠ . والجمع بين الصحيحين للحمدي . ٨١ . ابو نعيم الاصبهاني في كتابه . ٨٢ . الجمع بين الصحاح الستة للعبدري . ٨٣ . وتلخيص المستدرك للذهبي . ٨٨ . ومصابيح السنة للغوي . ٨٩ . وتهذيب الأسماء واللغات للنووي . ٩٠ . والرياض النضرة لمحب الدين الطبري . ٩١ . وتاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبي . ٩٢ . وعقد الفريد للأندلسي . ٩٣ . والمقتل للخوارزمي . ٩٤ . والسيرة المحمدية للكاظمي . ٩٥ . وشكل الآثار للطحاوي . ٩٦ . وشرف النبي . ٩٧ . وحسن الاسوة للصديق حسن خان . ٩٨ . وكتاب المرزباني . ٩٩ . والمستدرك للحاكم . ١٠٠ . وكفاية الطالب للكننجي وكتب اخرى .

عائشة؟ او زينب؟ مما يدل على شرف الموقف لحد تتسابق في انتسابه نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) او ان ذلك تكرر في هذه البيوت! ولان لفظ عائشة «خرج غداة غد ..» فعلها تعني الى بيت فاطمة ، كذلك وأم سلمة ، اللهم إلا في البعض من حديثهما!

وفي كتاب إدريس النبي (عليه السلام) تأييد أكيد لشرف بيت الرسالة المحمدية كما تعنيه آية التطهير وحديث الكساء والتطهير ، كما في الأصل السرياني «بارقليطا إيليا طيطه شبر شبر شبر : محمد . علي . فاطمة . حسن . حسين . «هليلوه لت شوق متى محمد اتوي دأله» : هلولوني فانه لا اله الا انا ومحمد رسولي «إني لهويوه انا لبرين وارخ الشماي ولا ال ارعا ولا البردس ولا الكيهن ولا الشمس ولا السعر» : لولاهم لما خلقتك «يا آدم» ولا السماء ولا الأرض ولا الجنة ولا النار ولا الشمس ولا القمر ^(١)!

ومن بالغ اهتمام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشأن أهل بيته المطهرين (عليهم السلام) انه كان يتلوا آية التطهير عند صلاة الفجر او عند كل صلاة على بيت علي وفاطمة حسب مختلف الإحصاء من شهر ^(٢) الى أربعين يوما ^(٣) الى ستة أشهر ^(٤) الى سبعة ^(١) او ثمانية ^(٢) أو

(١) راجع كتابنا رسول الإسلام في الكتب السماوية ص ١٣١ .

(٢) أخرجه ابو داود الطيالسي في المسند ٨ : ٢٧٤ قال : حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن انس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه كان يمر على باب فاطمة شهرا قبل صلاة الصبح ويقول : الصلاة يا اهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ وأخرجه ابن حنبل عن عائشة.

(٣) أخرجه ابن مردويه وموفق بن احمد وجماعة آخرون عن أبي سعيد الخدري وسالم بن أبي حفصة عن أبي الحمراء

(٤) أخرجه الطبراني وابو داود ومالك بن انس والترمذي عن أبي الحمراء ، ومعقل بن يسار وام سلمة ، الحمراء الحسكاني في انس ٢ : ١١ . ٩١ ورواه جماعة عن عفان .

تسعة (٣) او عشرة (٤) او سنة (٥) او سبعة عشر شهرا (٦) او منذ نزولها حتى ارتحاله الى جوار رحمة ربه (٧) تدليلا على اختصاصها باضراجهما من اهل بيت الرسالة ، ولكيلا ينسأهم المسلمون او يتناسوهم ، استمرارا في

. ورواه عنه عبد الحميد في تفسيره وتابعه جماعة عن حماد منهم ابراهيم السامي ، ورواه ايضا الأسود بن عامر . شاذان وحجاج بن منهال وعبيد الله محمد العباس عن حجاج وعن البغوي ورواه موسى بن إسماعيل التبوذكي .

(١) أخرجه محمد رضى المالكي عن أبي الحمراء .

(٢) أخرجه ابن جرير وابن مردويه عن أبي الحمراء وعن أبي سعيد الخدري ورواه الحاكم عن ابن شاهين عن الأشعث وعن السبيعي في تفسيره

(٣) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس (الدر المنثور ٥ : ١٩٩) والثعلبي عن أبي الحمراء وموفق بن احمد عن أبي سعيد الخدري

(٤) أخرجه محمد بن عمران المرزباني بسنده الى أبي الحمراء فقال : قدمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نحو من تسعة أشهر او عشرة فرأيتته ... وفي يناير المودة ٢٦٠ ويروى هذا الخبر بأسانيده عن الثلاثمائة من أصحابه منهم من قال : ثمانية أشهر ومنهم من قال عشرة أشهر أقول هذا الخبر يشير الى خبر مروره على بيت فاطمة (عليها السلام)

(٥) أخرجه جماعة .

(٦) في ملحقات احقاق الحق ١٤ : ٨٠ أخرجه الطبري بسند عن أبي الحمراء والحافظ نور الدين علي بن أبي بكر عن أبي برزة .

(٧) أخرجه ابن أبي شيبه واحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه عن انس ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمر بباب فاطمة إذا خرج الى صلاة الفجر ويقول : الصلاة يا اهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ أقول : ظاهر (كان) استمرارية مقالته (صلى الله عليه وآله وسلم) تلك منذ نزول الآية حتى ارتحاله وعن داود السبيعي عن أبي الحمراء مثله ورواه جماعة عن أبي عاصم النبيل وأخرجه عنه عبد بن حميد في تفسيره ويعقوب بن سفيان ويونس بن أبي إسحاق السبيعي .

احترامهم دون احترام ، ولكنهم اضطهدوا ما لا يخلد بخلد ويكأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى باضطهادهم وأكّده!

ولقد نرى الإحتجاج بآية التطهير للإمام علي (عليه السلام) وسائر اهل البيت عليهم السلام) في مختلف الحقول ، كضرورة لا مرد لها فيتسلمها المحجوجون كلهم بكل قبول دونما ريبه ونكول!

ولولا هذه الأحاديث لم تكن الآية لتشمل غير أهلها لمكان «إنما» الحاصرة لتلك الطهارة باهل البيت (عليهم السلام) و ﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾ تعني ارادة لدنية مستمرة مدى حياة العصمة القمة لهم مهما اختلفت درجاتها قبل النبوة والإمامة وبعدها ، واختلفت طولهما حيث التكامل لا يستثنيهم!

أترى أنها ارادة تشريعية في النفي والإثبات «ليذهب ويطهر»؟ وهي تعم المكلفين أجمعين! ام تكوينية؟ فكذلك الأمر حيث التوفيق لمن سلك سبيل الهدى وترك الردى موعود لهم من الله! ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ ام تخص تكوين العصمة القمة في بعدي السلب والإيجاب؟ وليس محطّ الارادة هذه يمتاز على من سواه ، حيث الارادة من الله ، فالعصمة .. إذا . هي فقط من فعل الله!

إنه ارادة العصمة تكوينية بين الأمرين ، عصمة بشرية كأفضل ما يستطيع ، وليست بالتي تعصم صاحبها عصمة مطلقة ، حيث الطاقة البشرية ليست مطلقة ، بل هي مقدّرة بقدرها وقدراتها ، ثم عصمة إلهية تكفيها فتجعلها مطلقة في الدرجة التي يعينها دونما فوضى ، وانما بحساب ومقدار ، وكل شيء عنده بمقدار .

إن الرسالة الختمية تتطلب خاتمة العصمة القمة ، محاولة بشرية كأفضل ما تكون وأعضله تتوسط إرادة الهية من قبل ومن بعد ، فمن قبل قدر اهل بيت العصمة المحمدية في أصلاب شائخة وأرحام مطهرة ، لم

تنجسهم الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسهم من مدلهومات ثيابها ، تقديرا لظرف لائق فائق تتمكن فيه كافة المجالات لأفضل المحاولات البشرية لإعداد العصمة القمة.

ثم حاولوا كأفضل ما يمكن وأعضله تطهيرا لأنفسهم الزاكية لمدى اللياقة واللباقة لارادة العصمة العليا ، فعصمهم الله تعالى بما قدر وحاولوا ، بما أرادوا رادوا!

ف . ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ تشمل مثلث أحوالهم بما في أوسطه من محاولة بشرية بتوفيق الله ، ارادة دائبة منذ فطموا ، حتى ارتحلهم الى جوار رحمة تعالى ، مهما اختلفت درجاتها بطروفاها.

تلك الإرادة القاطعة الإلهية لزامهم منذ كانوا ، تعصمهم عن كل رجس وتطهرهم تطهيرا ، فما هو الرجس وما هي الطهارة؟

الرجس لغويا هو كل قدر مادي او معنوي ، ما يستقذره الإنسان ماديا أيا كان ، او معنويا أيا كان ، فهو أعم من النجس إذ يخص القدر المادي ، كما ويوصف به الرجس «أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم».

ولان الاقدار الجسمانية هي لزام كل انسان مهما يومر بالتجنب عنها من أحداث وأخبار ، فإذا بها يخص جماعة خصوصا فلا تعنيها الإرادة الإلهية الخاصة باهل بيت الرسالة الحمديّة ، كما وأن الرجس في القرآن لا يعني القذارة المادية في سائر آياته ، وإنما مرض القلب : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمْ رَجْسًا إِلَى رَجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٩ : ١٢٥) وعمل الشيطان : ﴿إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ...﴾ (٥ : ٩٠) واتباع الشيطان : ﴿فَاعْرِضْهُمْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجْسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٩ : ٩٥) ومعبوداتهم : ﴿فَاجْتَنِبُوا

الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴿٢٢ : ٣٠﴾ وختم القلب على الذين لا يعقلون : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠ : ١٠٠) وكذلك كل أكلة تحوّل الإنسان الى حيوان كـ . ﴿لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجْسٌ﴾ (٦ : ١٤٥) وقبله الميتة والدم المسفوح لم يشملهما الرجس مع انهما من النجس ، وكالعذاب على الرجس فانه رجس على رجس : ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ (٧ : ٧١) كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥ : ٦﴾!

هذه جماع الآيات التي تضم الرجس كلها تعني الرجاسة المعنوية ، وهي هي التي ترجس الإنسان وتخرجه عن العقلية والایمان ورحمة الرحمان!

ولان مرض القلب وعمل الشيطان وأتباعه دركات يشملها الرجس ، فذهابه ايضا درجات يشملها اذهاب الرجس ، والجنس المحلى باللام يستأصل نفسه في نفيه. إذا فجنس الرجس أيا كان بعيد عنهم وعن ساحتهم من رجس الفطرة والعقلية والفكرة والصدر والقلب والنية والعمل «وكل انسان يعمل على شاكلته» لا غيرة على أرواحهم ، وإنما نور على نور ، لا ينقصهم إلا انهم مخلوقون ، ثم الفقر الى ربهم فخرهم. كل قلب يتقلب الى غير الله إلا تذرعا أو تضرعا إلى الله ، فيه رجس قدر اتجاهه الى غير الله ، وكل اتجاه في أدقّ منحنيات الحياة ومتجهاتها الى غير الله رجس ، والمتدلي بالله دونما إبقاء لغير الله خارج عن كل رجس ، وهكذا : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ . .﴾! أترى بعد ان اذهاب الرجس عنهم هو رفعه عن ساحتهم بعد كونه؟ ولا يذهب رجسا هكذا إلا بتوبة ام اي تكفير يناسبه! وهذا يعم سائر اهل الرجس دون اختصاص! وهذا من فعل صاحب الرجس ان يذهب رجسه

بتوبته! والعصمة لا تحل محل الوصمة! اللهم إلا في أدنى أدانيها بمعصية صغيرة بعد
توبة كآدم : ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾

انه اذهاب لكل رجس بدفعه عنهم حين يعتريهم او يهاجم عليهم ببواعثه ، تسديدا
لهم بما حاولوا وانتجبههم الله . عن كل رجس ، شكا في قلب ، او جهلا بواجب الشرعة او
المعرفة ، او خطأ في فكر ، او زلقا في فعل ، في عصمة عليا بمثلثها : تلقيا للوحي . وإلقاء له
. وتطبيقا إياه.

هنالك محاولات بشرية لا ذهاب الرجس عن أنفسهم رفعوا او دفعوا ، وليست لتكفي
استئصالا لكل رجس ، وأهلها مخلصون!

وهنا ارادة دائبة إلهية تكفي محاولات قمة من أخلص المخلصين ، فتستأصل عنهم كل
رجس وأهلها مخلصون ، وهكذا ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا﴾.

وكما ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ يبحث في نفي الجنس كل رجس ، كذلك ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا﴾ يختص بإثبات كل طهارة ، فالسلب مطلق كما الإيجاب ، والإيجاب مطلق كما
السلب ، تخلية عن كل نقص إلا انهم مخلوقون ، وتخلية بكل كمال دون انهم ليسوا بخالقين ،
فقد يصدق فيهم ما يقال عنهم «نزلونا عن الربوبية وقلولوا فينا ما شئتم» :

ز احمد تا أحد يك ميم فرقست همه عالم در آن يك ميم غرقست.

هنا طهارة متصلة بهم ، متعرفة فيهم ، متزرعة في قلوبهم ، هي العصمة الضافية ﴿إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ...﴾! تكوينية وتشريعية فواجب الحفاظ على الشرعة تشريعا فيهم ، يوازي واجب
العصمة الموهبة لهم تكوينيا ، عصمة بشرية تتصل بها وتحل فيها عصمة الهية دونما فوضى
جزاف ، فكل درجة من العصمة الالهية تتطلب كظرف لها عصمة بشرية تقتضيها ، ف .

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ إرادة تشريعية ما لم يردها من أحد العالمين ، اردتان منحصرتان لهم وفيهم ، منحسرتان عمن سواهم ، فلا يطلب من اهالى سائر البيوت الرسالية ما يطلب من اهل بيت الرسالة المحمدية (صلى الله عليه وآله وسلم) من مدارج التقوى والعبودية والاجتهاد الاضطهاد في سبيل الله ، وكما يروى عنه «ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت» وقال عنه ربه ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ فلو لم يكن هو أول العابدين على ضوء الرعاية القمة للشرعة لم يكن أول المعصومين في ارادة تكوينية.

وهناك طهارة منفصلة عنهم ، وهي للمتصلين بهم ، المنسوبين إليهم ، يريداه الله منهم للحفاظ على متحد الطهارة لأهل بيت النبوة الأصول ، فطهارة نساء النبي وأقربائه وانسابه لها تأثير منفصل في طهارته عند الناس ، وليس الله ليريد الطهارة لأهل بيت الطهارة أنفسهم ثم يهمل طهارتهم عند الناس ، فليكونوا وجها عند الله ليصلحوا دعاة الى الله ، ووجهاء عند الناس ليتجه بهم الناس الى الله.

لذلك تحل آية التطهير محلات نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لتحمل تطهيرهن الى تطهيرهم ، ولذلك نرى في الاكثرية المطلقة من روايات التطهير ليس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليرضى دخول مثل ام سملة الطاهرة في اهل البيت المعنيين بآية التطهير ، اللهم إلا شذرا بقوله ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ انها قد تدخل في اهل البيت دخولا منفصلا إذا أصلحت وقتنت لله ورسوله ، فطهرت اهل هذا البيت وجاه الناس بعد طهارتهم عند الله! ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (٣٤) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ

وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾.

«واذكرن» أنتن نساء النبي ، القاطنات في بيت الوحي والتنزيل ﴿وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ...﴾ فأنتن أخرى من يذكر فيتذكر ، لنزول الوحي ابتداء في بيوتكن ، ولانتسابكن الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلكن ضعف الثواب وضعف العذاب ، ثم : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...﴾ هذه الصفات الكثيرة الغزيرة التي جمعت في هذه الآية تتعاون في تكوين النفس المسلمة.

وتلك هي عشرة كاملة ، لا بد ان تكون عشيرة المسلمين على درجاتهم ، من إسلام وإيمان وقنوت وصدق وصبر وخشوع وتصدق وصيام وحفظ للفرج وذكر الله كثيرا : ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾ كلهم ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ والخطوة الاولى هي الإسلام الاستسلام امام الله ، إقرارا باللسان ، ثم الايمان تصديقا بالجنان ، ثم القنوت الطاعة الناشئة من الايمان ، ثم صدق في الطاعة والايمان ، ثم صبر على أخطار الصدق والايمان ، ثم خشوع في الجنان يربط كل جوانب الإنسان ، ثم تصدق في هذه السبيل بمال او حال او مقال على اية حال ، ثم صيام في شهر الصيام وفي كل مجال ، ثم حفظ للفرج عما يجب حفظه ، ثم ذكر الله كثيرا في قال وحال واعمال.

انه لا فرق بين قبيلي الرجال والنساء في فضيلة الأعمال أم رذيلتها ، مهما كان ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ حيث القوامه هنا غيرها هناك في يوم الحساب ، فرب قائم بأمر ، ولي على امر يرجع عليه المولى عليه لرعاية الأعمال.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ
عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ
تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ
أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا
فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ
رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩)﴾

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

ان تزويج زينب بنت جحش من زيد بن الحارثة ومن ثم تزويجها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحمل بعدين عميقين من أبعاد التربية الإسلامية ، فأول البعدين هو تحطيم الفوارق الطبقية وحتى بين الأحرار والعبيد ، فيزوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مولاه زيدا من شريفة بني هاشم بنت عمته ، ليسقط هذه الفوارق أولا بنفسه وفي أسرته ، ثم يتزوجها هو (صلى الله عليه وآله وسلم) ليحطم عمليا سنة التبني وحرمة الزواج بحليلة المتبني ، ولم يكن ليكتفي في تحطيم هذين الصرحين الجاهليين بالقول فقط ام فعل من غيره ، فليدخل هو بنفسه في الميدان ليؤتسى به في الامة الإسلامية مع الأبد.

ان الله يقضي امر الزواج بين زيد وزينب لتقرير مبدئين جديدين في الأمة ، ولكن زينب يخلد في خلدتها شيء من ذلك الزواج قائلة له (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ما خطبها لزيد : «او امر نفسي فانظر»^(١) فانزل :

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٠٠ . اخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس قال : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش الاسدية فخطبها قالت لست بناكحته قال : بلى فأنكحيه قالت : يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أوامر نفسي فيبينما هما يتحدثان انزل الله هذه .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٣٦)

هنا ﴿قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ لا تعني إلا التشريع من الله ، ثم بلاغ الشريعة من رسول الله ،
، ام وولاية الرسول على المؤمنين فيما يأمر وينهى كولي لأمر الأمة فإنه ﴿أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ
أَنْفُسِهِمْ﴾!

هذه الآية تقرر قرارا حاسما على الكتلة المؤمنة أن ليست لهم خيرة من أمرهم إذا قضى
الله ورسوله أمرا سواء أكان من أمورهم الشخصية او الجماعية في اي حقل من الحقول ، في
احكام جامعة كسائر الشريعة ، ام خاصة كذلك الزواج الصارم لما يحمل من بعدين ، تبني
لصرح الامة على ما يريد الله وتقتضيه مصلحة الامة.

«ما كان» هنا وفي سواها نفي يضرب الى الأعماق ، يعني نهيا صارما لا قبل له ،
والانتهاء به قضية أصل الايمان ، وإلا فلا ايمان ﴿مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ..﴾ و ﴿أَنْ
يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ يستأصل كون

. الآية قالت قد رضيته لي يا رسول الله منكحا؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : نعم قالت إذا لا أعصي رسول
الله قد انكحته نفسي واخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زينب
بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه وقالت : انا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فانزل الله ﴿وَمَا
كَانَ ..﴾ وفيه عنه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لزينب اني أريد ان أزوجهك زيد بن حارثة فاني قد
رضيته لك قالت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لكن لا أرضاه لنفسي وانا أتم قومي وبنت عمك فلم
أكن افعل فنزلت الآية وفيه عن قتادة قال خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) زينب وهو يريد لها لزيد فظنت
انه يريد لها لنفسه فلما علمت انه يريد لها لزيد أبت فانزل الله هذه الآية.

اية خيرة لهم إلا ما قضاه الله ورسوله ، وحتى إذا كانت خيرة الاستثمار من أنفسهم او الشورى بينهم ، ثم اختيار ما قضاه الله ورسوله!

فادنى درك من العصيان هو خيرة كهذه التي توافق قضاء الله ، وأسفل درك منه بدار العصيان دونما تفكير ، وأوسطه العصيان بعد استثمار او شورى ، و ﴿الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ تستأصل الثلاثة ، ثم لا تبقى إلا الطاعة المطلقة دونما خيرة من أمرهم في جانحة ولا جارحة ، وانما مطلق الاستسلام! ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ تشمل الثلاثة ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ مهما اختلفت دركات الضلال والعصيان!

ان قضاء الله كوحى خاص في تشريع يحمله رسول الله في بلاغ الشرعة ثم قضاءه كوحى عام لقضاء لرسول الله كولي لأمر الأمة بما أراه الله ، هو ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ ف . ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ مهما كان بلفظ القرآن او السنة ، او كان حكما سياسيا أمّاذا من احكام ، ف . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾!

و . «ان كنت لا تطيع خالقك فلا تأكل رزقه ، وان كنت واليت عدوه فاخرج من ملكه ، وإن كنت غير قانع برضاه وقدره فاطلب ربا سواه»! ^(١) «يقول الله : من لم يرض بقضائي ولم يؤمن بقدري فليلتمس إلها غيري» ^(٢) وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): في كل قضاء

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٨٠ ح ١٢٣ في كتاب التوحيد باسناده الى الأصبع بن نباتة قال قال امير المؤمنين (عليه السلام) : ..

(٢) المصدر ح ١٢٤ فيه باسناده إلى الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول قال الله جل جلاله : ..

الله عز وجل خيرة للمؤمن»^(١).

فالله يقضي زواجا بين قريبة الرسول الشريفة في قومها وبين عبده قضاء على سنة الفوارق ولا خيرة إذا دون خيرة الله! ثم الله يقضي زواج رسوله بحليلة دعيه قضاء على سنة جاهلية اخرى وفارقة اخرى فارغة كما الاولى ، وليس للمؤمنين إلا التسليم لقضائه! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل! ولا سبيل مستقيما إلا الاستسلام المطلق امام قضاءه دون اختلاج خالجة في ضمير ، ولا سيما في الأقضية التي تتبنى الإسلام ، أصولا يؤتسى بها على طول الخط ، ولا بد من تحاوب من الأمة مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تبني صرح هذه الرسالة السامية. فان يدا واحدة لا تصفق!.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (٣٧)

هذا زيد بن حارثة ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالتربية المحمدية قبل الإسلام وبالإيمان بعده وانكحه شريفة بني هاشم بنت عممة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ في احضانه بتربية صالحة وعتقه وإنكاحه بنت عمك وهي ترغبك دونه!. تقول له بعد منازعة مستمرة بينه وبينها ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وقضى الله إطلاقها لينكحك إياها هدمًا لسنة جاهلية ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ وكان تقواها طلاقها في الواقع مهما كانت إمساكها في الظاهر ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ من فرض زواجها لك بعده كما

(١) المصدر ح ١٢٥ وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ..

أبداه في اذاعة قرآنية ﴿زَوَّجْنَاكَهَا ..﴾ وليس مما أخفاه (صلى الله عليه وآله وسلم) في نفسه انه عشقها رغبة الجنس لما رآها تغتسل كما اختلق عليه! ويشهد له ﴿مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وما أبدى الله إلا اصل الزواج ﴿لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾! ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ إن أبديت أمرك فيها أن يقولوا طمع في حليلة دعيه ، كما انطلقت ألسنة المنافقين : «تزوج حليلة ابنه»! ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ في تحقيق قضاءه ، دون ان تخشى الناس في خشيته ، فانما خشية بلا وسيط!

أترى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه المعركة الصاخبة خشي الناس ولم يخشى الله؟ وهو أخشى الله من كل ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ وهو ابلغ من ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ فأخشاهم الله فانه ﴿أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾؟. إن خشية الله خشيتان ، خشية عن طريق الناس وقد خشيهم عنهم فأخفى في نفسه ما الله مبدية ، لكيلا يمس من كرامة رسالته بما يتقوله الناس ، وكما خشيهم في بلاغ رسالة الولاية ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ..﴾ وخشي أزواجه في قصة مارية فحرمها على نفسه خشية تظاهرن عليه ﴿لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ﴾؟ فآمنه الله عما يخشاه: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ في بلاغ الولاية ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ في مارية ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ في زينب.

فقبل ان يؤمنه الله باس الناس ما كان ليأمنهم ان يمسوا من كرامة رسالته ، وكان عليه حفاظها تقديمًا للأهم على مهمه ، ثم الوحي الحبيب من الحبيب آمنه بأسهم ، فنقله من خشيته تعالى من طريق الناس ، الى خشية

خالصة لا وسيط لها ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾!

فذلك - إذا - انتصار له في صيغة عتاب ولا عتاب ، فانه يبرأ ساحته الرسالية في هذه الإذاعة القرآنية عن كافة التقولات الموجهة اليه : انه رآها فأعجبته ^(١) أما ذا من هرطقات جاهلية وهراءات عراء وساحة الرسول منها براء!.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾! (٣٧).

لقد كان لزید منها وطر : نعمة وحاجة مهمة ، قضاء على سنة جاهلية في التناخر بالأنساب ، ووقاء لشهوة الجنس ، والاول مقضي بمجرد الزواج ولكنما الثاني باق ما بقي صاحب الجنس في إربته ، ثم ولا يحل لزوجه زواج آخر ما دامت في حبالته وإن قضيت إربته ، فكيف «زوجناكها»

(١) في نور الثقلين ٤ : ٢٨٠ ح ١٢٧ عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) فيما رواه القمي عن أبي الجارود عنه (عليه السلام) في الآية وساق القصة الى : ثم انهما تشاجرا في شيء الى رسول الله فنظر إليها رسول الله فأعجبته

...

وفيه ح ١٣٠ عن الامام الرضا (عليه السلام) ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قصد دار زيد بن حارثة في امر اراده فرأى امرأته تغتسل فقال لها : سبحان الله. الذي خلقك ... فلما عاد زيد الى منزله أخبرته امرأته بمجيء الرسول وقوله لها فلم يعلم زيد ما أراد بذلك فظن انه قال ذلك لما أعجبه من حسن فجاء الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان امرأتي في خلقها سوء واني أريد طلاقها فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) امسك عليك زوجك واتق الله ...

أقول انهما ولا سيما الثاني مختلق على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فلو أراد زوجها شهوة لبادر إليها قبل تقديمها لزید وقد كانت تريده (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم كيف يدخل الرسول بيتا دون استئناس من اهله لحد يرى امرأة اجنبية تغتسل فتعجبه ويقول مقالته؟!!

ان نهمّة الجنس وشهوته قد تنقضي بطبيعة الحال ولم تنقض من زيد وهو في شبق الشباب ، وزوجه شريفة جميلة! وقد يقضيها هو بأسباب اخرى ولم تنقض ، من عدم الوفاق لحد ينجر الى الفراق فذلك قضاء وطر أوّل نهمّة وشهوة ، ان يطلقها في طهر لم يواقعها فيه ، فلو لم يقض وطرا منها لم يطلقها ، ثم ان بقي له وطر منها راجعها في عدتها ولم يراجعها! فقد قضى منها وطرا ثانيا وأخيرا إذ سرّحها دونما رجعة : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ حيث تم الزواج إذ تم قضاء الوطر بتمام العدة!

فهناك للزوج وهناك للزوج أوطار اخرى كحاجة وتمائلة الى زوجه بعد الطلقة الثانية ، ثم بعد الثالثة بمحلل حيث يعقد عليها بعده ، ثم وطر بعد وطر حتى تبلغ الطلقات تسعا بمحللين ثلاثة ، ولا وطر له بعد الطلقة التاسعة حيث تتحقق بها الحرمة المؤبدة. وأولى الأوطار التي يحل فيها زواجها بزواج آخر هي في الطلقة الاولى بمضي عدتها دون رجعة منه في الرجعية او منها في المختلقة والمبارأة حين يقبل رجوعها. و «وطرا» هنا مطلق يشمل قبل الطلاق وبعده ولما تخلص العدة ، ويقيده بخلاص العدة قبل الرجعة آيات الرجعة ، والمطلقة رجعية زوجة ، فلا يحل لها زواج آخر ما دامت في العدة.

وهنا نرى الرسول وهو مأمور بزواجها لنفسه لا ينكحها بنفسه حتى يزوجه الله إياها : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾^(١) وان كان يخطبها

(١) في الدر المنثور ٥ : ٢٠٢ . اخرج الحاكم عن الشعبي قال كانت زينب تقول للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انا أعظم نسائك عليك حقا انا خيرهن منكحا .

في ظاهر الأمر ^(١) وقد كانت تفتخر على سائر أزواجه (صلى الله عليه وآله وسلم) بزواجها الإلهي ^(٢)!

ولماذا «زوجناكها» الخطوة الجنس فقط؟ وقد كان له ان يتزوج بها قبل ان يزوجه غلامه ولم يفعل وهي راغبة اليه (صلى الله عليه وآله وسلم)! أترى الشريفة القريبة الى النبي ترجح غلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه ، ثم النبي يرجح ثيبة غلامه على البكر؟!

. وأكرمهن سترا واقربهن رحما وزوجنيك الرحمن من فوق عرشه وكان جبرئيل (عليه السلام) هو السفير بذلك وأنا بنت عمك ليس لك من نسائك قريبة غيري.

(١) يروى الامام احمد ومسلم والنسائي من طرق عن سليمان ابن المغيرة عن انس قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لزيد بن حارثة «اذهب فاذكرها علي» فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال : لما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع ان انظر إليها وأقول ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكرها فولبتها ظهري ونكحت على عقبي وقتلت يا زينب ابشري أرسلني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذكرك قالت : ما ان بصانعة شيئا حتى أوامر ربي عز وجل فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدخل عليها بغير اذن

(٢) في الدر المنثور ٥ : ٢٠٣ . اخرج الطبراني والبيهقي في سننه وابن عساكر من طريق الكميت بن يزيد الاسدي قال حدثني مذكور مولى زينب بنت جحش قالت : خطبني عدة من اصحاب النبي (ص) فأرسلت اليه (ص) اخي يشاوره في ذلك قال (ص) فأين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها؟ قالت : من؟ قال (ص) : زيد بن حارثة فغضبت وقالت تزوج بنت عمك مولاك ثم اتتني فأخبرتني بذلك فقلت أشد من قولها وغضبت أشد من غضبها فانزل الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ...﴾ فأرسلت اليه زوجني من شئت فزوجني منه فأخذته بلساني فشكاني الى النبي (ص) فقال له : إذا طلقها فطلقني فبت طلاقني فلما انقضت عدتي لم أشعر الا والنبي (ص) وأنا مكشوفة الشعر .

فانما «زوجناكها» لسياسة رسالية : «لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطرا» قضاء على سنة عريقة جاهلية هي حرمة حلائل الأدعياء اعتبارا انهم أبناء ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ما كان ليقضى عليها إلا عملا جاهرا من الرسول نفسه وقد فعل بأمر الله ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

فقد قضى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على جاهلية الفوارق الطبقية في بعدي تزويجه شريفة بعد ، ثم تزويج زوجة عبده لنفسه ، ومن ثم جاهلية حرمة حلائل الأدعياء قضاء على كونهم أبناء ، ولم يكن إبطال هذه الآثار الواقعية في حياة المجتمع ليمضي بسهولة ، حيث التقاليد الاجتماعية اعمق أثرا في النفوس من أن تنزل بسنّ القوانين المجردة ، إلا أن يسنها ويطبقها الرسول عمليا في نفسه ، ويواجه المجتمع بهذه العملية الصارمة التي لا يستطيع أحد ان يواجه بها ذلك المجتمع الصلد العارم!

يأتيه (صلى الله عليه وآله وسلم) زيد مرة بعد اخرى يشكو اضطراب حياته الزوجية ، والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يحمل امر الله في تزويجها لنفسه ، ولكنه يحسن ثقل التبعة ان اظهر أمره . على نفاذ رسالته ، فهو على شجاعته في مواجهة قومه في أمر أمر من العقيدة المضادة لما يعتقدون ، دون أية لجلجة ولا خشية ، إذ ما كانت لتمس من ساحة رسالته ، نراه هنا متجلجا يخشاهم على رسالته خشية من ربه أن تتهدم اركان دعوته بما يتوقعه من مجابهة عنيدة في هذه المواجهة فيقول : ﴿أَمْسِكْ

. فقلت هذا امر من السماء دخلت يا رسول الله بلا خطبة ولا شهادة؟ قال : الله المزوج وجبريل الشاهد.

عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴿﴾ فأخفى في نفسه فعلا ما الله مبدية ، ويعلم أن الله مبدية ، ولكن اين إبداء محمد من إبداء الله؟ إذ هم ليسوا ليعارضوا الله ويتهموه! مهما تجاسروا على معارضة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إذ جاء وحي حبيب من الحبيب يطمئنه بعصمته من بأسهم فنقله من خشيته تعالى بهم الى خشيته في تعميتهم ، فمهما كان حقا لك ان تخشى الله احتراسا عن الناس حراسا على رسالتك ، فالله أحق أن تخشاه إذ يطمئنك عن بأس الناس ، فهو الذي أمرك بتحقيق أمره العجيب الإمر ، حملا لا عباء الرسالة مهما كانت ثقيلة : **﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾** وهو الذي يلقي في قلب الزوجين عزيمة الفراق ، وهو الذي يزوجك زوجة زيد بعد ذلك الفراق ، بولاية قاطعة لا مرد لها ودونما استمارة واستثمار منكما «زوجناكها» فهو الخاطب لك وهو المجرى صيغة الزواج ، فيدخل عليها الرسول بمجرد نزول الآية ودونما استئناس ، وكانت هذه إحدى ضرائب الرسالة الباهظة التي حملها فحملها في مواجهة المجتمع الذي كان يكرهها ويتقوّل فيها كما تقوّل البعض من المسلمين والجاهليين والمسيحيين ^(١)!

(١) في الدر المنثور ٥ : ٢٠٣ . اخرج الطبراني والبيهقي سننه وابن عساكر من طريق الكميت بن يزيد الاسدي قال حدثني مذكور مولى زينب بنت جحش قالت : خطبني عدة من اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأرسلت اليه (صلى الله عليه وآله وسلم) اخي يشاوره في ذلك قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : فأين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها؟ قالت : من؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : زيد بن حارثة فغضبت وقالت تزوج بنت عمتك مولاك ثم انتني فأخبرتني بذلك فقلت أشد من قولها وغضبت أشد من غضبها فانزل الله تعالى : **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ..﴾** فأرسلت اليه زوجني من شئت فزوجني منه فأخذته بلساني فشكاني الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له : إذا طلقها فطلقني فبت طلاقني فلما انقضت عدتي لم أشعر الا والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وانا مكشوفة الشعر فقلت هذا امر من السماء دخلت يا .

ولكن ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ لا يمنعه مانع ولا يردعه رادع! إذ :
 ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ
 أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (٣٨)

ضابطة سارية المفعول ترسمها الآية لحملة الرسالات الإلهية ألا تقيية لهم من الناس في بيان او تطبيق شرعة الله. فالخرج على اقسام عدة ، فقد يتخرج عن أصل الفرض على أية حال فلا يفرض على النبي والامة على أية حال : ف . ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٢٢ : ٧٨) وقد يتخرج لأمر في نفسه يعرضه كمرض يخرجه في فرضه فهو مفروض إلا في حرجه للنبي والامة ، وقد يتخرج بتحريج الناس فيتقيهم بتركه ، فذلك خاص بالامة بمن فيهم الأئمة دون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ لا تقيية له ، و ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾ يعني الثالثة ، فان ﴿فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ تثبت فرضه فيخرج المخرج في أصله ، ثم «له» يخرج المخرج في نفسه ، فانه موضوع عنه وعن الامة سواء ، فليكن هو المخرج الخارج عن نفسه من بأس الناس إذ يخرجون موقفه من تطبيق ﴿فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ فليس له أن يتقيهم حيث ضمن الله وقايتة عن بأسهم كما هنا وفي قصة مارية وقضية بلاغ الإمرة. ولماذا ﴿فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ دون «عليه» لأن الفرض هنا كان «له» حظوة بشرية ودعوة رسالية ، وحتى فيما لا خطوة له فيه شخصية ، بل عبء وثقل ، فلا يثقل على كاهله ، بل يستقبل فرض الله بكل رحابة صدر ورياحة خاطر ، فكل فرائض الله «له» لا «عليه» إذ لا يستثقلها على أية حال!

. رسول الله بلا خطبة ولا شهادة؟ قال : الله المزوج وجبريل الشاهد.

إذا فليس النبي ليتحرج فيما فرض الله له مهما كان عبأه وثقله ، لا في قرارة نفسه لأنه يحمل الرسالة فعليه ما حمل ، ولا يحق للامة تحريج موقفه لأنهم مرسل إليهم وعليهم ما حملوا ، فلا تقية للنبي فيما يحمله من رسالة الله مهما صعبت الظروف والتوت لأنه يقرر مصير الامة وعليه تمام المسئولية ، وهذه من سنن الله الثابتة في الذين خلوا من قبل من الرسل مهما تخلف المرسل إليهم عن هذه السنة ولا يفرض الله لنبي ما لا يطيقه او يحيقه مهما كان أمرا إمرأ وعبتا ثقيلا «وكان» طول الزمن الرسالية «امر الله» لأنبيائه «قدرا» قدره بعلمه وحكمته لصالحهم الرسالي «مقدورا» لهم قدر الطاقة لا محرجا ولا معسورا.

فهناك يشجع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على ذلك الزواج دون تحرج من قالة الناس ، وعطفا لخشية الناس في الله الى خشية الله مجردا عن الناس وهنا يندد بالذين يرجون موقفه فيما فرض الله له كسنة ثابتة للرسول وعلى الأمة ثم نفي الحرج عن النبي . لا محمد . وفيما فرض الله له . لا عليه . يدلان على ان الفرض هو الفرض الرسالي الذي يقرر مصير الأمة إذا فلا تقية في بلاغه حتى على نفسه ، والله يكفي خشية على رسالته ،

واما المفروض على الامة فقد يكون فيه حرج وقد لا يكون فيفعل أحيانا ويترك اخرى ثم ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ في هذه السنة هم :

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٣٩)

إنهم رجالات رسالات الوحي حيث يكثرون البلاغ ويشدقون في رسالات الله التي حملوا بلاغها. ويخشونه فقط في سبيل التبليغ ، ولا

يخشون أحدا إلا الله ، حتى فيما يخشى على ساحة رسالتهم ، حيث الله ضامن لهم أمرهم ، ف . «يخشونه» تحصر خشيتهم في الله ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ تنفي خشية اي أحد في الله إذ يطمئنهم الله عن باس من سوى الله في سبيله الى الله.

والخشية خوف يشوبه تعظيم ، فخشية الناس في الله ان يخافوا عظم ما يفعلون حيث يغضب الله ، فان كفى الله خطرهم فلا خشية الا من الله دون سواه وكما كفى الرسول بأسهم فأمر أن يتحول من خشية الناس في الله الى خشية الله في الله. (١)
ومن الخشية في الله من غير الله خشية العنت ، أن يخلف تخلفا جنسيا

(١) وقد عدت الجمعية الرسالية الأمر مكية زواجه (صلى الله عليه وآله وسلم) بزینب في عداد سيئاته قائلين : انه أخذ امرأة زيد الذي تبناه مع ان قومه عيرووه الا انه لم يبال بتعيراتهم لان الشهوة إذا استولت على المجرد من النعمة الإلهية اماتت منه الاحساس ، نعم وان داود وقع في خطيئة الزنا ولكن يوجد فرق جسيم بين الأمرين فلم يأخذ داود امرأة ابنه وثانيا إنه استغفر ربه واعترف بذنبه وتاب اما محمد فجعل هذه الخطيئة سنة لكل انسان فادعى ان الله امره بذلك.

ويقول الدكتور فندر الالماني في كتابه ميزان الحق ردا على الإسلام ص ٢٥٤ ومن ذنوبه انه في يوم من الأيام يذهب الى بيت زيد دعيه فلما دخل سبقت نظرتة الى امرأة زيد فأعجبته وشغفها حبا فقال : سبحان الله خالق النور تبارك الله احسن الخالقين فشعرت زينب بذلك فأخبرت به زوجها زيد فطلقها زيد اما خوفا من محمد او حبا وإخلاصا له فاختلف محمد الآيات التالية ان امره ربه بنكاح زينب ...
أقول هذه وتلك من القالة التي قيلت عليه من المسيحيين فتسريت قائلتهم الى روايات المسلمين وكما نراها في الدر المنثور ونحن نضربها عرض الحائط لأنها خلاف كتاب الله والثابت من عقمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ (٤ : ٢٥) وخشية القول الإمر : ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (٢٠ : ٩٤) وخشية الارهاق كفرا ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (١٨ : ٨٠).

فكل خشية في غير الله منهية ، وخشية غير الله في الله مرغوبة ما لم يكن هنالك مندوحة كما خشي الرسول الناس من قاهم عليه ، وإذا كانت هناك مندوحة كأن يكفي الله بأس ما يخشى فمنهية بعد ما كفى الله ، لا قبله ، وكما الرسول لم يخش إلا الله بعد ما كفاه الله قالة الناس ، فخشيته قبله لم يكن بذلك المنهي!

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ تبليغهم رسالات الله وخشيتهم الله وأجرهم على الله ، فلا حسيب في هذه وتلك إلا الله ، كما ليس بلاغهم وخشيتهم إلا الله وفي الله! ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٤٠)

هذه الآية مما كفى الله بها محمدا بأس قالة الناس : انه تزوج حليلة ابنه ، استئصالا ان يكون أبا أحد من رجالكم ابوة اصيلة ام رضاعية ام دعية هي بالإسلام منفية ، فهلا كان أبا ابراهيم والقاسم والطيب والطاهر؟ اجل كان ولكنهم ماتوا قبل رجولتهم ، ثم و «رجالكم» لا تشملهم ولو كانوا في رجولتهم ، فإنهم . إذا . من رجاله دون رجالهم! أم لم يكن أبا الحسين (عليهما السلام) ومن ثم الأئمة من ذرية الحسين (عليه السلام) وسواهم من ذريته؟ اجل ولكن «ما كان» تضرب إلى الماضي قبل نبوته وبعدها لحد نزول الآية والحسنان بعد طفلان لم يتزوجا حتى يأتي دور حليلتيهما انهما حل له ام لا! ولما تزوجا كان قد قضى نجبه

بزمن بعيد ، ثم وهم ليسوا من رجالهم بعد رجولتهم بل من رجاله (صلى الله عليه وآله وسلم)!

ففيما سبق استأصل بنوة الأدياء : ﴿وَمَا جَعَلَ أَذْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ فلم يكن زيد ابن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل ، حتى تحرم حليلته ، وهنا يستأصل أبوته لأحد من رجالكم لا الرجال ولا رجاله ، نفيا لأبوته لزيد فتحل له حليلته ، ام امكانية زواجه بحلائل ابنائه ، فإنهم بين من توفي في صباه ، ومن ترجل بعد موته (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن تزوج بها لم تكن حليلة ابنه ، ومن تزوج من رجاله فانما كانت رجولته وزواجه بعد موته ، إذا ففرية زواجه بحليلة ابنه منفية عنه مع الأبد.

انه ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ تنتسبون اليه بالبنوة ، وليست علاقته بالمسلمين إلا علاقة النبي بالامة ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ يحمل الرسالة والنبوة القمة الأخيرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أن لم يجعله أبا أحد من رجالكم وأبطل سنة الأدياء وجعله (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الأنبياء.

ولماذا ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ بعد ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ لا «خاتم المرسلين» «نبي الله وخاتم النبيين» او ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ فقط؟

إن الرسالة الإلهية هي بعد وحي النبوة ، ولأنها درجات بعضها فوق بعض اختصت العالية بصيغة النبوة من النبوة الرفعة ، لا النبء الوحي ^(١) ولذلك وصف النبوة يأتي بعد الرسالة دون معاكسة : كما ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (١٩ : ٥١) في موسى و ٥٤ في إسماعيل و ﴿الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾ (٧) :

(١) لذلك لما يخاطب به نبي الله يقول : لا تقل يا نبي الله انا نبي الله.

(١٥٧) في محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث الوصف الأعلى يأتي بعد العال ، فالنبوة هي منزلة اشرف من الرسالة.

ف . ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ تثبت منزلته الثانية مطابقة وقبلها النبوة الوحي التزاما ، ﴿وْخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ تثبت ثالثة هي النبوة ، ورابعة هي القمة والاخيرة انه ختم وتصديق للنبوات ، فليكن أفضلهم وآخرهم ، فلا نبوة بعده فضلا عن رسالة او نبوة اللهم إلا إلهاما على هامشة تفهما لنبوته دونما استقلال! وقد يعني «النبیین» جمع النبي والنبي معا ، استئصالا لأية نبوة وحي او نبوة رسالة وبينهما رسالة الوحي فذلك المثلث السامي مسلوب بعد نبوته ، مصدق لمن قبله به ، فلا نبي بعده ولا رسول ولا نبي حيث «ختم به الوحي»! فلو قال «خاتم النبيين» لكان هنالك مجال الرسالة بعده او نبوة! ولو قال «خاتم المرسلين» لكان بعده مجال النبوة ، فلما قال ﴿وْخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ زال كل مجال من مثلث الوحي على أية حال! وحتى ان كان جمع النبي فكونه خاتمهم يقتضي انقطاع الوحي به ، فلما ذا يوحى بعده ، أتكميلا لما أوحى إليه كما في ولي العزم الآتي بعد سابقه؟ وهو خاتم النبيين فلا أفضل منه ولا يسامى! ام حفاظا وتصديقا لوحيه عن تطرق التحريف كما كان يوحى الى أنبياء بعد اولي العزم بهذا الصدد؟ وقرآنه محفوظ بحفاظ الله ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فلما ذا الوحي بعد ، اللهم إلا إلهاما لعترته المعصومين ، تفصيلا لما أجمله من كتاب او سنة ، فان دور الإمامة لا يعني إلا نشر الرسالة بتفاصيلها الواقعة ، دونما زيادة ولا نقصان. فكل رسول بعد ولي عزم من الرسل كانت رسالته وقائية غير مكملة لما كانت مع ولي العزم ، فانما كان يوحى اليه ما أوحى من قبل ليوصل رسالته متحللة عن كل تحريف. وهذه الرسالة السامية معصومة بكتابها القرآن العظيم ، وهو العاصم لها عن كل

ما يتقوّل عليها دونما حاجة إلى رسالة متواصلة بعدها ، ثم الائمة المعصومون يوفون أكثر مما يوفى بأية رسالة وقد فعلوا!

ان أفضل النبيين هم الخمسة الذين دارت عليهم الرحي وهو خاتمهم الذي يرأسهم لأن في تصديقه لهم اثبات كيانهم ، وكما أخذ الله ميثاقهم بالايان به والنصرة له : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

لذلك نرى «النبي» بمختلف صيغه في سائر القرآن اقل من «الرسول» كذلك ^(١) مما يوحي بقلة النبيين بين المرسلين ، وحين تذكر النبوة بعد الرسالة لا نجد من الخمس إلا محمدا وموسى ، ومن سائر المرسلين إلا إسماعيل وان كان سائر الخمس وجماعة من المرسلين نبيين. ثم رسالته الالهية هي القمة لحد يلح كأنه الرسول لا سواه حيث «الرسول» معرفا لا نجده إلا إياه (٨٤) مرة وكذلك «النبي» (٣٣) مرة لا يعني إلا إياه ، مما يطمئننا أن الرسالات والنبوات الالهية مركزة في جنبه (صلى الله عليه وآله وسلم) وسائر الرسل والأنبياء انما جاءوا لتعبيد الطريق لهذه الرسالة النبوة السامية!

(١) النبي (٦٩) مرة والرسول «٣٩٤» مرة لكنهما معرفا مفردا لا يعنيان الا محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي نور الثقلين ٤ : ٢٨٤ ح ١٤٣ في مناقب ابن شهر آشوب عن انس في حديث طويل سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : انا خاتم الأنبياء وأنت يا علي خاتم الأولياء وقال امير المؤمنين (عليه السلام): ختم محمد الف نبي واني ختمت الف وصي واني كلفت ما لم يكلفوا».

فهو هكذا «رسول الله» وهكذا «نبي الله» لا فحسب بل ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ حيث ختم النبؤات والرسالات والنبوات فلا نبي بعده ولا رسول ولا نبي، ولا وحي بعده ولا كتاب، ولا شرعة بعده ولا اي جديد من سماء الوحي! ليس هو . فقط . خاتم النبيين ، بل ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ فالخاتم وهو اسم لما يختم به ويصدق فهو أبلغ من الخاتم وأعمق دلالة على خاتمته للنبوات ، فقد بلغ من ختمه النبوات وتصديقه لها الى حد سمي بالخاتم كما الرسول والنبي على سواء ، دون من يختم كآخر لما يختمه وليس يصدقه ، او قد يأتي بعده من هو ارقى منه ، ولكن موقع هذا النبي من النبيين موقع الخاتم ختام ^(١) المكتوب حيث يصدقه والمكتوب تحته مكذوب ، وكذلك الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فمدعي النبوة بعده مكذوب والذي لم يصدقه ممن قبله غير مصدق ، فهو السطر الأخير من أسطر الوحي يصدق ما قبله من وحي ، ويكذب ما بعده من دعوى الوحي وكما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): انه سيكون في امتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي» ^(٢) وهو اللبنة الاخيرة من بناية الرسالة كما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله : «مثلي ومثل النبيين كمثلي رجل بنى دارا فأتمها إلا لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة» ^(٣).

(١) الخاتم ما يختم به وسمى خاتم الزينة به لان فضه كان يحكّ عليه اسم صاحبه يختم به كتاباته

(٢) الدر المنثور ٥ : ٢٠٤ . اخرج ابن مردويه عن ثوبان قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيه اخرج احمد عن حذيفة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : في امتي كذابون دجالون سبعة وعشرون منهم اربع نسوة واني خاتم النبيين لا نبي بعدي

(٣) المصدر اخرج احمد ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ... واخرج ما في معناه باختلاف يسير مع الاحتفاظ على الأصل .

ويوجد العديد من تصريحات خاتمته بطيات بشارات في كتابات الوحي برسالته وكما في الأصل العبراني من كتاب حبقوق؟؟؟ النبي الفصل ٣ : ٣ . ٦ إله مقيم يا بوء وقادوش مهر باران سلاه ... ٣ ونعه كااورتحيه ... ٤ هليخوت عولام لو ٦ :

الله من يتمان ياتي والقدوس من جبل باران : فاران . حرى . مع الأبد .. شعاعه كالشمس .. ومسالك الأزل له» ف . «باران» هو جبل حرى ^(١) : فاران مطلع النور المحمدي ، اشراقه مع الأبد حيث شعاعه كالشمس ومسالك الأزل له ، فلا انطفاء لشعاعه إلا بانتفاء الدنيا.

وفي «نبوءت هيلد» وحي الطفل حسب الأصل الانقلوسي «محمد كايا إعايايا ديطمع هويا وهيى كليليا» : محمد كبير قدير . الشجرة الرفيعة الطيبة . مأمول لإفناء ما كان وإطفاء النائرة ، وهو الكل والتاج وحمل على الأكتاف».

. البخاري ومسلم والترمذي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) واحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن مردويه عن أبي هريرة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) واحمد والترمذي وصححه عن أبي بن كعب عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي نور الثقلين ٤ : ٢٨٤ ح ١٤٤ في روضة الكافي باسناده الى علي بن عيسى رفعه قال : ان موسى ناجاه الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته : لا يطول الدنيا أملك . الى قوله عز وجل : له في وصيته له بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا موسى انه امي وهو عبد صدق ويبارك عليه كذلك فيما وضع يده عليه كذلك كان في علمي وكذلك خلقت به افتح الساعة وبأتمه اختتم مفاتيح الدنيا وح ١٤٥ في عوالي الكالى وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : انا أول الأنبياء خلقا وآخرهم بعثا».

(١) وهذا اجماع مؤرخي العرب ان فاران هو حرى وكما يصرح في سفر التكوين ٢١ : ٢١ «واقام ببرية فاران» يعني إسماعيل بن ابراهيم من هاجر ، راجع ص ٤٦ . ٥٣ من كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» تجد تفصيل هذه البشارة.

فكونه كلاً يفصح أنه مجمع جماع الرسالات الإلهية ، وكونه تاجاً على رؤوس رجالات الوحي يجعله أفضلهم ، فما ذا بعد الأفضل الكل؟! إلا الناقص الكل؟! وفي إنجيل يوحنا ١٤ : ١٦ حسب الأصل السرياني : «وأنا بت طالبين من بى وخين بار قليطا بت ييل لوخون هل ابد» :
 «وانا أسأل الآب : الخالق - خالقي - فيعطيكُم فارقليطا آخر ليقم معكم إلى الأبد»
 وفار قليطا في الأصل اليوناني : بريكليطوس بمعنى محمد - أحمد ، ومحمد آخر يعني نبيا محمودا في غاية المحمودية هو آخر الآخرين ليقم معكم إلى الأبد^(١).
 وليست خاتمة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحاجة إلى سرد الأدلة . وهي كثيرة في الكتاب والسنة لأنها من الضروريات القاطعة الإسلامية حيث تردف رسالته بخاتمته دونما ريبة ، والآيات في مثلث من خاتمته بين المرسلين والنبين ، وخاتمة كتابه بين كتب السماء ، وخاتمة شرعته بين الشرائع تبلغ عشرات.

(١) راجع رسول الإسلام ١٤٦ . ١٥٧ فيه تفصيل البشارة بفارقليط.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ
الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)
تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا
كَبِيرًا (٤٧) وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨)
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ
مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّائِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ
وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّائِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً
إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا
فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا
(٥٠) تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ
ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ تَقْرَءَ عَيْنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ

يَمِّنُ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾

من لزوم الايمان بالله ذكر الله ، وكما الايمان ليس له حد او زمان او مكان او حالة خاصة ، كذلك ذكر الله على كل حال ، ف . «ما من شيء إلا وله حد ينتهي اليه إلا الذكر فليس له حد ينتهي اليه ، فرض الله عز وجل الفرائض فمن أداهن فهو حدهن وشهر رمضان فمن صامه فهو حده ، والحج فمن حج فهو حده ، إلا الذكر فان الله عز وجل لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حدا ينتهي اليه ..»^(١).

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٨٤ ح ١٤٧ في اصول الكافي عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الاشعري عن ابن القداح عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ... ثم تلا آية الذكر فقال : لم يجعل الله له حدا ينتهي اليه قال : وكان أبي (عليه السلام) كثير الذكر لقد كنت امشي معه وانه ليذكر الله وأكل معه الطعام وانه ليذكر الله ولقد كان يحدث القوم ما يشغله ذلك عن ذكر الله وكنت ارى لسانه لازقا بحنكه يقول : لا اله الا الله وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ويأمر .

والذكر في الأصل حالة في القلب تظهر في مظاهر الأقوال والأفعال ، ولأن اللسان يتأثر بالقلب في ذكره والقلب يؤثر فيه ، لذلك يسمى ذكره ذكرا وإلا فليس إلا لقلقة البغضاء .

و «لا أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، ولكن ذكر الله عند ما أحل له وذكر الله عند ما حرم عليه» ^(١) . فاشتغال اللسان بذكر الله والقلب لاه والعمل متخلف عن شرعة الله ، إنه ليس ذكرا ، بل هو مهانة واستهتار بالله ، فليست عن ذكر الله ، او ويذكر الله في حاله وحرامه!

. بالقراءة من كان يقرأ منا ومن كان لا يقرء منا امره بالذكر ، والبيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عز وجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتمجده الشياطين ويضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب لأهل الأرض والبيت الذي لا يقرء فيه القرآن ولا يذكر الله تقل بركته وتمجده الملائكة وتحضره الشياطين وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الا أخبركم بخير اعمالكم ارفعها في درجاتكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من الدينار والدرهم وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتقتلوهم ويقتلوكم؟ فقالوا : بلى ، قال : ذكر الله عز وجل كثيرا ثم قال : جاء رجل الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : من خير اهل المسجد؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : أكثرهم لله ذكرا وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من اعطى لسانا ذاكرا فقد اعطي خير الدنيا والاخرة وقال : في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَمُنَّ بِمَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ قال : لا تستكثر ما عملت من خير الله.

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٨٧ ح ١٥٦ في الخصال عن زيد الشحام قال قال ابو عبد الله (عليه السلام) ما ابتلي المؤمن بشيء أشد عليه من ثلاث خصال يحرمها ، قيل : وما هي؟ قال : المواساة في ذات يده والإنصاف من نفسه وذكر الله كثيرا اما اني لا أقول ...

ف . ﴿ذَكَرًا كَثِيرًا﴾ تعني كثرة في عدّة وكثرة في عدّة ، عدّة الجوارح؟؟؟ والجوانح وعدّها ، كثرة العدد بعددها ، ولكل بكثرتة ، وكثرة العدد بحق الذكر وحقّه ، دون ان يترك باطن الذكر الى ظاهره ، او ظاهره الى باطنه ، او يترك عدّته او عدته أو عدّته الى عدته وليكن محافظا على باطن الذكر كمحور اصيل يتبنّاه طول حياته ، فذكره بالقلب هو قلب الذكر وسائر الذكر هو قالب الذكر!

ف . ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ بقلوبكم في عدد وعدد ، وبألستكم في عدد وعدد ، في حلکم وترحالکم ، وعلى كل أحوالکم ، حيث النسيان أيا كان وأيّان يخلف قدره العصيان لا تقل إن أكثر ذكر الله بلساني قيل إنه منافق ، ما دمت ذاكره بقلبك ولسانك ف . «اذكروا الله حتى يقول المنافقون إنكم مرءون» ^(١) و «حتى يقولوا مجنون» ^(٢) فانما المجنون من لا يذكر الله ، والمنافق من لا يوافق لسانه قلبه او قلبه لسانه!

ذكر الله من مخلقات الايمان على قدره ومستواه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١٣ : ٢٨).

ولان في ذكر الله حالة ايجابية ذكرا لذاته تعالى وأفعاله وصفاته ، وقصورنا الذاتي عن ان ندرکه سبحانه قد يوردنا موارد الخطأ عند ذكره ،

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٠٥ . اخرج الطبراني عن ابن عباس وعبد الله بن احمد في زوائد الزهد عن أبي الجوزاء قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ...

(٢) المصدر اخرج احمد وابو يعلى وابن حبان والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ...

فلنشفعه بتسبيحه : ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ ، من بكرة إلى اصيل ومن اصيل الى بكرة كلما ذكرناه تسبيحا بحمده! ام في الوقتين الاصيلين : ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ ، لكي يصفو ذكره عن كل كدر ، وكما في حديث قدسي . «اذكرني بعد الفجر وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما»^(١).

فليكن المؤمن بتمام ذاته وتعلقاته ذكرا لله وتسبيحا ، أسوة برسول الله في تحقيق أمر الله : ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ ...﴾ (٦٥ : ١٠) فيصبح حينئذ من المفردين^(٢) ولان الرسول هو بنفسه ذكر الله : ﴿ذِكْرًا رَسُولًا﴾ فلا ينسى الله ، لذلك لا يشمله خطاب ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وانما ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ اتقاء عن زهوة القرب الى الله وعما سوى الله.

فاتصال القلب بالله والانشغال عن الله اشتغالا بالله في مراقبة دائبة ، يجعل العبد ذكرا لله وسبحان الله ثم الله يذكره أكثر من ذكره ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (٢ : ١٥٢) واين ذكر من ذكر؟ يقول الله تعالى : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه»^(٣).

(١) المصدر اخرج احمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يذكر عن ربه تبارك وتعالى : اذكرني ... واخرج احمد عن أبي امامة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : لان اقعد اذكر الله وأكبره واحمده وأسبحه وأهلله حتى تطلع الشمس أحب الي من ان أعتق رقبتين او أكثر من ولد إسماعيل ومن بعد العصر حتى تغرب الشمس أحب الي من ان أعتق اربع رقاب من ولد إسماعيل.

(٢) المصدر اخرج احمد ومسلم والترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله؟ قال : الذاكرون الله كثيرا

(٣) أخرجه البخاري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال قال الله : ...

ولئن قلت إن بواعث النسيان كثيرة كموانع الذكر ، فكيف للعبد الضعيف ان يذكر الله كثيرا؟ فالجواب :

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (٤٣)

فصلوات الله عليكم هي إنزال رحمته وصلوات ملائكته هي استزادة فيها باستنزال رحمته ، رحمتان اثنتان من الله تخلفها المحاولة الدائبة لذكر الله كثيرا ، ف . ﴿الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ .

هنالك ظلمات تحول دونك والنور ، ولكنك بحولك في كل أحوالك بذكر الله ، وبحول الله وقوته ، سوف تخرج من ظلمات النسيان الى نور الذكر الايمان ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ : فالنور واحد هو ذكر الله الواحد والظلمات عدة هي ذكر غير الله فنسيان الله ، وليس يخرج المؤمن من الظلمات الى النور إلا بذكر الله كثيرا فصلوات الله عليه وملائكته إذ لا حول ولا قوة إلا بالله!

ومن صلوات الملائكة للذاكرين الله استغفارهم : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ...﴾ (٤٢ : ٥) كما ومنها استنزال رحمت اخرى كرفع درجات : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾ (٥٦).

نحن نصلي لله والله يصلي علينا وملائكته واين صلاة من صلاة؟ وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قلت لجبريل (عليه السلام)

هل يصلي ربك؟ قال : نعم . قلت : وما صلاته؟ قال : سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي»^(١).

وقد يجمع هذه الثلاث انعطاف برحمة إنزالا واستنزالا وعبودية. فانه صلة بين هذه الصلوات! وصلوات الله على عباده درجات أعلاها صلواته على رسوله ، وأدناها على أدنى المؤمنين وبينهما متوسطات.

فإذ يصلي ربنا علينا فهلا نصلي على عباده الصالحين تخلقاً بأخلاق الله مهما كان خصوصها بخصوص المخلصين^(٢).

﴿يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ (٤٤)

أتراه سلاما منهم على الله؟ ولا سلام على الله على أية حال لأنه هو بنفسه سلام فلا يحتاج الى سلام من عباده الفقراء الى سلامه! ام سلاما من بعضهم على بعض؟ وهو سلام المؤمنين في النشاطين دون اختصاص بـ ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ مهما عمّت النشاطين للمخلصين والمخلصين ، حيث السلام يوم الدنيا يعم المؤمنين كما في يوم الدين!

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٠٦ . اخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق عطاء ابن أبي رباح عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قلت ...

(٢) اذكر انني كنت اصلي على آل محمد لما اصلي على محمد في المسجد الحرام فاعترض عليّ كيف تضيف الآل؟ قلت لان الرسول أمرنا ان نضيف اليه الآل ، ف قيل لي : أحيانا تصلون على أولاد الآل ، قلت : ان الله يصلي علينا وبعضنا في ادنى مراتب الايمان ونحن نصلي على الصالحين من آل النبي وولدهم! قيل لي : فلما ذا لا تضيفون الصحب الى الآل؟ قلت تأسيا برسول الله إذ أضاف الآل اليه ولم يزد والصلوات درجات لا تجتمع في درجة واحدة لمن هم درجات ، فلنصل على النبي والآل لأنهم في درجة ثم نصلي على غيرهم من الصالحين كلا على حده!

إنه سلام من الله عليهم ، على من هم ملاقوا الله بالمعرفة القمة ، وهم السابقون والمقربون وأفضل اصحاب اليمين يوم الدنيا ويوم الدين ، وبالنسبة لسائر المؤمنين يخص بيوم الدين :

أترى ما هو الفرق بين صلوات الله علينا وسلامه حيث يختص سلامه بيوم يلقونه وصلواته تعمه ويوم الدنيا ام تخصها؟

ان سلام الله يوم الدنيا يختص بالمصطفين : ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ (٢٧ : ٥٩) . ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٧ : ١٨١) ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٣٧ : ٧٩) ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (١٠٩) ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (١٢٠) ﴿سَلَامٌ عَلَى إِيْلَ يَاسِينَ﴾ (١٣٠) وليحيى ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (١٩ : ١٥) وعيسى «والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حيا (٣٣) سلام الله التام على هؤلاء في الاولى كما الاخرى إذ هم ملاقوا الله فيهما ، ف . ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ بالنسبة لهم ، ثم من يحذو محذاهم ، فهؤلاء مذكورون على نحو الخصوص ، وأولاء الأتباع تعمهم ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ على وجه العموم ، ثم من سواهم سلام الله عليهم يوم الاخرى فانه يوم لقاءهم التام لقاء دونما اختيار حيث تكشف الغطاء.

فالسalam في الآخرة يعمهم وكل اصحاب الجنة بعد ما سلموا من كل زين : ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ كما هنا ، ذلك لأن سلام الله خالصا من اللاسلام يخص المخلصين أهل السلام ، وأما الصلوات فلأنها أعم من هكذا سلام كما للرسول وذويه ، ومن سلام الغفران كما لمن يتأتى منه العصيان ، فهي . إذا . تعم من يصلح لرحمته يوم الدنيا ومن جراءها الأخرى وهي أخرى.

وهلّا يلقى الله أهل السلام يوم الدنيا حتى يختص سلامه بـ ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ في الأخرى؟

ان لقاءه تقربا معرفيا بتوفية الجزاء دونما شوب من سلطان سواه ، ذلك لا يتحقق إلا يوم الأخرى ، اللهم إلا لمثل القائل : «لو كشف الغطاء ما ازدادت يقينا» حيث الغطاء الدنيا لا تغطي عليه ربّه فهو ملاقي الله طول الحياة في الاولى والاخرى ، واما الأجر الكريم فهو من مختصات الاخرى : ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥) **وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا** ﴿٤٦﴾

مميزات خمس يحملها هذا النبي العظيم ما لها من سباق ^(١) وكل ذلك بإذن تكويني من الله وتشريعي ، لولاهما لم يسطع تلك الدعوة العالية النافذة ، فهو الداعي الضالين عن الله الى الله ، وهو السراج المنير الذي أسرجه الله لينير الدرب على السالكين الى الله ، وهو الشاهد من الله وعلى عباد الله ، نموذجاً بالغاً من رسالة الله ، وتلقياً أعمال عباد الله ، وإلقاء لها يوم لقاء الله! ^(٢) إنه ليست الدعوة الى الله فوضى وهرج مرج ، ابتداء وابتداعاً او تطوعاً ، فعلة وقالة وحالة من عنده نفسه ، انما هي «بإذنه» كرسالته وشهادته وتبشيره وإنذاره وإنارته بسراجة!

(١) فسرنا الثلاث الاولى في الفتح ج ٢٦ الفرقان ص ١٦٦ . ١٦٧ فراجع

(٢) وفي الدر المنثور ٥ : ٢٠٦ . اخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن العرياض بن سارية سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : اني عبد الله وخاتم النبيين وأبي منجدل في طينة وأخبركم عن ذلك انا دعوه أبي ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين وان ام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأت حين وضعته نورا أضاءت لها قصور الشام ثم تلا ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا...﴾

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ هُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (٤٧) فللمؤمنين البشارة والفضل ، زيادة على ما عملوا ، وعلى سواهم النذارة العدل ، كل كما يستحقه .

﴿وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٤٨)
لا تطعمهم حتى فيما يعدونك من قبول الايمان فلا خير منهم يرجى ، وما فيهم ومنهم إلا شر ليس إلا ، ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ : اتركهم يؤذونك ما اسطاعوا حتى ياتي أمرنا ، ولا تؤذهم كما يؤذونك حتى ياتي أمرنا ^(١) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فيما أمرت وصبرت ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حيث يكفيك بأسهم ما لا يكفي سواه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله!
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُوهُنَّ فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٤٩)

آية وحيدة في سائر القرآن تحمل سلبا لعدة الطلاق عمن طلقت قبل مسها ثم وإيجاب المتعة والسراح الجميل ، تخصص آية البقرة الموجبة لترص القروء بالطلاق على الإطلاق مسها ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (٢ : ٢٢٨) تخصصها بغير صورة المس .

وترى ماذا يعني هنا المس؟ أهو مطلق اللبس وإن لم يجامعها كما قد يروى ^(٢) ام هو . فقط . الوطء قبلا او دبرا حيث المس بالنسبة للنساء لم يأت

(١) «إذا هم» في الوجهين من اضافة المصدر الى الفاعل او المفعول .

(٢) كما في صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سألته عن الرجل يطلق امرأته وقد مس كل شيء منها الا انه لم يجامعها ألها عدة؟ فقال : ابتلي ابو جعفر .

في سائر القرآن إلا بمعنى الوحي! ^(١) قضية الأدب البارع في وحي القرآن ، ثم المس لغويا أبلغ من اللمس دلالة على الوطي و ﴿لَا مَسْتُمْ النِّسَاءَ﴾ الموجبة للجنابة ليست إلّا الجماع! ولئن أريد مطلق اللمس الشامل لغير الوطي لبدلت المس باللمس! ولئن شك في إيجاب غير الوطي من اللمس تربص القروء فالأصل هنا عدم القروء ، لا سيما وأن آية القروء مذيلة بما يلمح بالوطي : ﴿وَلَا يَحِلُّ هُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ إضافة الى تظافر الروايات ان المس هو الوطي فقط دون سائر اللمس.

ثم المس ليس ليختص بوطي القبل بحجة رعاية حكمة الحفاظ على المياه وليس منشأ الولادة إلّا في القبل! حيث العقيمة تتربص بوطيها ، القروء ، كما الولود ، بل يعم الوطي في الدبر ، وعلّ الحكمة الجامعة لموارد العدة بالطلاق غاية اللذة الحاصلة بالمس قبلا او دبرا ، وقضية اطلاق النص في عدم «المس» على أية حال ، اطلاق عدم الوطي على أية حال ثم ترى هل تخص ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ احكام الآية بالمؤمنات المنكوحات بالعقد الدائم لمكان ﴿ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾؟ فالعدة إذا ثابتة على

. (عليه السلام) بذلك فقال له أبوه علي بن الحسين (عليه السلام) إذا اغلق وارخى سترا وجب المهر والعدة ، أقول : «ابتلي ابو جعفر» هو ابتلاء بسؤاله فليكن موضع تقية والا فلا ابتلاء ، ثم «اغلق وارخى سترا» أعم من المس كما هو أعم من الوطء ، وهاتان امارتان لكون الجواب واردا مورد التقية ، او ان اغلق وارخى سترا كناية عن الوطي

(١) «قَالَتْ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ» (٣ : ٤٧) و (١٩ : ٢٠) ولا يأتي الولد إلا بمس الوطي لا مطلق المس «ثُمَّ يَعُوذُونَ لِمَا قَالُوا فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ... فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا» (٥٨ : ٤ . ٣) «لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ ... وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ» (٢ : ٢٣٧).

المنفصالات بغير طلاق كالمنقطعة التي توهب وقتها او ينتهي ، والامة المحررة ، والدائمة غير المؤمنة ، والمؤمنة الدائمة المنفصلة بغير طلاق ، فسحا من احد الزوجين بموجبه ، او انفساها للعقد بسبب ، كالتى يتزوج زوجها بنتها من غيره قبل ان يدخل بها ، فانها تنفصل عنه بمجرد العقد عليها إذ تصبح إذا أما لزوجته. آمن هي من اللاتي لسن مؤمنات دائمت مطلقات قبل الدخول؟

ان قيد «المؤمنات» لا يقيد الحكم بهن ، إذ ليس يعني إلا تلميحاً بان المؤمنين لا ينكحون إلا المؤمنات ، دون المشركات : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَّ﴾ (٢) : (٢٢١) ومهما سمحت آية المائدة نكاحهم بكتايات ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ فانه سماح هامشي على متن النكاح بشروطه ، ثم العدة ليست إلا حرمة الموت ولا موت هنا! ام للحفاظ على المياه ، ولا مياه هنا!

ام حرمة لقضاء غاية الشهوة الحاصلة بالدخول؟ ولم يدخل بها! وإذا لا حرمة لمؤمنة غير مدخول بها في عدة فباحرى غير المؤمنة ألا تعتد ، وآية البقرة مهما عمّت المطلقات في فرض العدة ، ليست لتشمل غير المدخول بها قضية ذيلها ، وعند الشك فالقدر المتيقن هو المدخول بها ، واليائسة المدخول بها خارجة عن هذه الحكم كما الصغيرة فان وطئ اليائسة ليس في غاية الشهوة ، ام لان فرض العدة بين الموت كعلة تامة ، وبين وطئ فيه امكانية الحمل ، والثاني منفي فيمن لا عدة لها ، ان يائسة موطوءة ، ام غيرها البالغة غير الموطوءة ، وهذه ضابطة صارمة في العدة ، والله اعلم بالحكم في كل عدة وعدة.

ثم وقيد الطلاق وارد مورد النكاح الدائم ، فليس ليقيد الحكم بمورد الطلاق ، او نتوسع في معنى الطلاق انه الفراق عن النكاح أيا كان ولكنما

المنقطعة التي تم وقتها ليست مطلقة على اية حال ، مهما كانت الموهوبة وقتها والمباعة نفسها داخلتين في مطلق الطلاق.

ثم ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ تستأصل أية عدة وان يوما او ساعة ، ثم وتستأهلها لزواج آخر فور طلاقها ، وتلمح أن عدة المطلقة حق لزوجها ، ولكنه مرتبط بحقه لزاما إذ لا يحق له التسامح عنه ، فهو من الحقوق التي لا تسقط بإسقاط صاحبها كحق الزوجية والابوة وأمثالها ، لأنها حقوق ثابتة مرتبطة بالله وبالمجتمع ، وفي زاوية ثالثة ترتبط بأصحابها ، و «يتربصن» في فرض العدة حكم صارم الهي ليس ليسقط بإسقاط ، فهو حق يحيط به حكم ، ليس حقا خالصا يصلح لإسقاط. فكما الحكم لا يسقط بإسقاط كذلك الحق الذي فيه الحكم ، ثم الحق الخالص الشخصي صالح للإسقاط إذا كان صالحا للإسقاط ، دون الحق الذي له بعد جماعي بعد الشخص فانه لا يسقط بإسقاط الشخص. ولان العدة «لكم عليهن» فهي . إذا . ليست إلّا لصالح الرجل ، بين الحفاظ على صالح النسل مؤكدا او محتملا ، والحفاظ على حق الرجوع كما في الرجعية ، واما البائنة غير المدخول بها فلا عدة لها ، كما لا عدة للبايسة المدخول بها حيث لا ماء لها ولا رجعة إليها ، وعدة الوفاة هي للزوج المتوفي حرمة له ، ف . «لكم عليهن» هي في مثلث المصالح للأزواج ، ولكنها مصالح تضم حقا جماعيا لا يقبل الإسقاط.

وحق القول في الحق الثابت بالشرع انه لا يسقط على اية حال إلّا بدليل كالحقوق المالية أما هيه ، أصلا أصيلا صارما قائما في الحقوق إلّا ما يستثنى ، كما في الأحكام ولكنها لا تستثنى.

وبصيغة اخرى : الحكم لا يسقط أيا كان ، والحق قد يسقط بإسقاط ام دونه وقد لا يسقط ، ولا حق إلّا ومعه حكم بضمنه يضمن تحقيقه ،

وهناك احكام لا تضمن حقوقا بشرية واخرى تضمنها ، فهما . إذا . متباينان جزئيان عموما من وجه ، قد يجتمعان وقد يفترقان قضية الملازمة الأصلية ، والا فلا حق الا ومعه حكم فبينهما عموم مطلق.

ثم ترى أتفرض «فمتعوهن» على الأزواج متاعا زائدا على الفريضة؟ لأنها مطلقة تشمل اللاتي فرضتم لهن فريضة فتؤتى زيادة هي المتاع ، وليست الفريضة متعة كما ليس مهر المثل متعة ، وانما هي الزائدة على الفريضة ان فرضت لها؟ والزائدة على مثل الفريضة ان لم تفرض تحننا عليها وتعطفنا؟

أو أن المتاع انما هو لمن لم يفرض لها فريضة إذ قوبلت في البقرة بمن فرضت لها فريضة : ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُسَعَّرِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ. وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ..﴾ (٢ : ٢٢٧) ؟ ف . ﴿لِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (٢ : ٢٤١) يعني الفريضة او مثلها ان دخل بها ، او نصف ذلك ان لم يدخل بها.

او ان متاعهن بالمعروف يعني «اجملوهن بما قدرتم عليه من معروف ، فإنهن يرجعن بكآبة ووحشة وهم عظيم وشماتة من أعدائهن ، فان الله كريم يستحي ويحب اهل الحياء ، إن أكرمكم أشدكم إكراما لحلائلهم» ^(١) وذلك الإجمال المتاع يعم مهر المثل والمسمى وزيادة ان كانت لزام الإجمال

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٨٨ ح ١٦٣ في من لا يحضره الفقيه روى عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر في قول الله عز وجل ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ...﴾ قال : متعوهن اي اجملوهن.

قدر المستطاع ، ام اجمالاً في دفع الفريضة ، ولا يترك الاحتياط بدفع زيادة على المسمى لصدق المتاع ، وفيما لا يسمى على الموسع قدره وعلى المقر قدره ، واولى من غير المدخول بها هي المدخول بها ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنِ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ (٤ : ٢١).

ثم السراح الجميل ما لا عضل فيه ولا أذى ولا تعنت ولا رغبة في تعويقهن عن استئناف حياة جديدة ، بل ومساعدة لها على ما تبغي من زواج وتعريفاً بها عند من يريدها كيلا تبقى مردولة منكوبة بقالة الناس! فكما النكاح توحيد للحياتين على حب ، كذلك الطلاق فراق على حب ومتاع! متاعاً أخلاقياً ومالياً أما إذا مما يمتعها ويذهب بكآبتها وتضييقها ، معاملة معها في الفراق كما تعامل في النكاح الوفاق ، ويجب ذلك في كل شركة في معاملة أما ذا؟

هذا هو السراح الجميل بعد الطلاق حيث العادة الجاهلية كانت تعضلهن عن زواج آخر بعد الطلاق ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ (٢ : ٢٣٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (٥٠).

هذه واللذان بعدها تحمل احكاماً خاصة بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في امر زواجه وأزواجه ، لا تعدوا الى الامة ، فانها من احكام الرسالة بمختلف حقوقها ومتطلباتها الرسالية ، فردية او جماعية.

ف . ﴿إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ ...﴾ تحلل له زواجا وأزواجا لا تعد ، بنكاح او ملك يمين ^(١) ثم حرم عليه الزواج الجديد او التبديل ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ... إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾! و «لك» هنا من ادلة اختصاصهن به فلا تحل أزواجه من بعده لغيره : ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ ولا ما ملكت يمينه فيئا وإن لم يطأهن ، فإنهن من زوجاته بمجرد ملك اليمين ، كما المعقودة دائما او منقطعا ، فتشمل إماءه ما تشمل سائر زوجاته ك . ﴿أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ وقد يحل له تحليلهن لغيره قبل ان يطأهن ، حيث الأزواج قد لا تشمل غير الموطوءات من الإماء و ﴿مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ إنما احلّت له دون نكاح إذا أراد. ولا من ﴿وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ مهما طال او قصر تحقيق ارادته ، واما بنات عمه وعماته وبنات خاله وخالاته ، فهن حل لغيره قبل ان ينكحهن ، ف . «لك» فيهن ترجيح في زواجهن بالقرابة والهجرة ام فرض يخصه مهما نسخ القيد ان بعده ام لم ينسخ حيث ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ قريبة مهاجرة ام غريبة غير مهاجرة.

وذلك الإحلال مرتبط بتلك النبوة السنامية ، زواجا سياسيا رساليا تحكم عرى دعوته وكما في حليلة زيد دعيّه امّن هي من نساء من مختلف الأقوام ، ومحتج الظروف ومعترك الآراء ، يقصد من خلالها مصاهرة مختلف القبائل ليربط بينهم لنفسه ، تعميقا لدعوته ، ويسطا لرسالته ، ودفعاً لمكاييدات منهم ، فلما قضى ما عليه حرمت عليه النساء من بعد حتى

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٩٠ ح ١٧٥ في الكافي بسند صحيح عن الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) سألته عن قول الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ...﴾ قلت : كم أحل له من النساء؟ قال : ما شاء الله من شيء ورواه مثله عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر (عليه السلام).

ان متن او طلقهن كلهن وقوة الجنس بعد بحالها! ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾.
 ترى ذلك الإحلال يخص اللاقي آتى أجورهن ومهورهن؟ فلا إحلال قبله؟ والمرأة
 تستحل بمجرد العقد عليها حتى وان لم توت مهرها لوقته أم على اية حال!.
 إن أجورهن هي مهورهن المفروضة او أمثالها في غير المفروضة ، بالنسبة لمن تزوجت
 على مهر ، وقد يعني «آتيت» ماضيا ، ضرورة الإيتاء حسب القرار ، فان نوى ألا يؤتيها لم
 تحل له حتى ينوى او يؤتي ، فليس شرط الإحلال إلا أصل الإيتاء : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ
 الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ...﴾ (٥ :
 ٥). ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ (٦٠ : ١٠) ﴿فَانكِحُوهُنَّ
 بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٤ : ٢٥) ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
 فَرِيضَةً﴾ (٤ : ٢٤).

فإيتاء الأجر او تصحيحه في وقته هو شرط الإحلال في اللاقي يتزوجن بأجور ، ومن
 الراجح الأكيد تقديم أجورهن قبل الدخول بمن حسب المستطاع.
 ولان النبي أسوة يقال له ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ ولأنه كان
 قد آتاهاهن أجورهن ، عنوانا مشيرا الى حالة خاصة له (صلى الله عليه وآله وسلم) إليهن ، لا
 أن ايتاءها لهن مسبقا شرط احلالهن! كما ويدل عليه سائر من ذكرت من المحللات من
 ﴿بَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ...﴾ إذ لسن كلهن كالتى وهبت
 نفسها للنبي دون اجر ، وقد احلهن له (صلى الله عليه وآله وسلم) دون ذكر أجر فضلا عن
 ايتاءه المسبق وقد يعني ﴿آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ مورد

الإحلال المطلق حيث لا خيرة للزوجة في مطاوعة الجنس بعد الأجر فلها ان تمنع ما لم تأخذ المهر حتى تؤتي ، وليس للزوج حملها على الوطء قبل ايتاءها مهرها ، فتقع التي لم تأخذ مهرها أمام النبي بين محظوري وجوب مطاوعة النبي لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وجواز ترك المطاوعة قبل أخذ المهر ، ولكي لا يحتمل بالنبوة خلاف ما لها من حق ف . ﴿إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾! كما وان استيفاء حق الجنس بعد إيفاء حقها أحق وأحرى بالنبي واحلى للزوجة ، فهكذا يصبح النبي أسوة!

﴿اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ هن واحدة من السبع التي أحلت له (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن ثم التحريم ، والثانية ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ وهن الإماء اللاتي تأسرن دونما حرب ومشقة ، حيث الفيء هو الغنيمة التي لا تلحق فيها مشقة ، ف . ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ هنا هن الاسيرات الخاصة بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) و ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ (٥٩ : ٦)

فهنا إحلال يخص الرسول من ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ لا نصيب لسائر المسلمين فيهن وكما في سائر الفيء ، ومجرد الملك في الإماء يحلل إلا إذا زوجهن أو أباحهن لغيره.

وعلى ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ ك . ﴿اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ ليس قيذا يخص الإحلال بمورده ، فإنهما القدر الواقع له من نساءه (صلى الله عليه وآله وسلم) ام لم تحل له سواهن من الإماء اشتراء لهن او تحليلا له؟.

وكذلك الأربع الاخرى في قيدي القرابة والهجرة ، فإنهما ليستا من شروط الإحلال ، واختلاف العم والعمات والخال والخالات بالافراد والجمع علّه إذ لم تكن له إلا بنات من عم أو بنات من خال ، وكانت له

بنات عمات وبنات خالات ، أو إذا كانت لآخرين بنت أو بنات فهن حينئذ كن مزوجات ، وكانت له بنات عمات وبنات خالات.

احلّهن له الله كأفضل البنات وأحرهن لزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد هاجرن معه فأصبحن ذوات الاولوية في بعدي القرابة والهجرة ، مهما حلت له الغريبات غير القريبات والمهاجرات إن كن مسلمات.

ثم السابعة ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قريبة كانت أو غريبة ، ممن هاجرن معه أم لم يهاجرن ، فانما الشرط هنا الايمان والوهبة ، فاقترست هذه السبع من حيث الأجر ودونه الى ثلاث ١ . ﴿الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ ٢ . : القريبات الأربع حيث لم يذكر لهن اجر اوتينه ام لا ، والأجر ثابت بعد لا مرد له ٣ . «الواهبه نفسها دون اجر ، وفي حكم الثالثة السابعة ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ شرطان : ١ . ان وهبت نفسها للنبي» ٢ . ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ فلولاها أو أحدهما لعمت الخالصة لسائر من يريدونها.

ثم ﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ تقطع عنه كل ولاية حتى التي لأبيها ، وتقطع عنها كل راغب إليها ، وتقطع عنها خيرتها ترك الهبة بعد ما وهبت نفسها ، اللهم إلا إذا لم يردها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلها ولوليها والراغبين فيها الخيار.

وهل ان هذه الهبة تكفي عن صيغة النكاح ، كما كفت اذن الولي والمهر؟ علّها تكفي لمكان ﴿خَالِصَةً لَكَ﴾ ام لا تكفي حيث لخالصة له لا تنافي شروط الإحلال ومن أهمها صيغة النكاح! ونطاق الهبة إنما هو السماح عن مهرها ، لا السماح عن صيغة النكاح وليس لها هكذا سماح لأنه

حكم شرعي ، ولكنما المهر حق لها شخصي ، فلها السماح فيما لها حقاً ، وليس لها فيما عليها او عليهما حكماً ، اللهم إلا ولاية وليها إذ أسقطها الله ب . ﴿ خَالِصَةً لَّكَ ﴾ .

فتلك الوهبة من امرأة مؤمنة ، واردة الاستنكاح من النبي ، هما تجعلانها ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ مهما أرادوها وأرادتهم بعد الوهبة والإرادة ، فهي حلّ له (صلى الله عليه وآله وسلم) ومحرمه على غيره (صلى الله عليه وآله وسلم).

وهل تصح هكذا هبة لغير الرسول؟ آيات النكاح والطلاق تفرض الفريضة مسماة وسواها كحق ثابت في أي نكاح وقد تزيد متعته! وآية الخالصة تستخلص له هكذا هبة وهكذا موهوبة فهي إذا في أبعادها من اختصاصات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكما وردت بذلك الروايات المستفيضة ^(١) وقد وهبته (صلى الله عليه وآله وسلم) . فيمن وهبت . نفسها امرأة من الأنصار فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لها : انصرتي رحمك الله فقد أوجب الله لك الجنة لرغبتك فيّ وفي تعرضك لمحبي وسروري وسيأتيك امري إن شاء الله فانزل الله عز وجل : ﴿ وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً .. ﴾ فاحل الله عز وجل هبة المرأة نفسها لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا يحل ذلك لغيره ^(٢) وقد وهبت نساء أنفسهن للنبي

(١) كما في نور الثقلين ٤ : ٢٩١ ح ١٧٧ عن أبي عبد الله (عليه السلام) و ١٧٨ عن أبي جعفر (عليه السلام) و ١٧٩ عن أبي عبد الله و ١٨٠ عن أبي جعفر وكذلك ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ واللفظ المشترك بينها «لا تحل الهبة الا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأما غيره فلا يصلح نكاح إلا بمهر .

(٢) المصدر ٢٩٢ ح ١٨٤ علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن ابن رثاب عن محمد بن قيس عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : جاءت امرأة من الأنصار الى رسول .

(صلى الله عليه وآله وسلم) فقبل البعض وزوج بعضا غيره (صلى الله عليه وآله وسلم)^(١).

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدخلت عليه وهو في منزل حفصة والمرأة متلبسة متمشطة فدخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت يا رسول الله : ان المرأة لا تخطب الزوج وانا امرأة ايم لا زوج لي منذ دهر ولا ولد فهل لك من حاجة فان تك فقد وهبت نفسي لك ان قبلتني فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خيرا ودعا لها ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا اخت الأنصار جزاكم الله عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خيرا فقد نصرني رجالكم ورغبت في نساكم فقالت لها حفصة : ما اقل حياءك وأجراك وانعمك للرجال؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كفي عنها يا حفصة فانها خير منك رغبت في رسول الله فلمتيها وعبتيها ثم قال للمرأة : انصري ...

وفي نقل آخر عن علي بن ابراهيم فقالت لها عائشة قبحك الله ما اخمك للرجال فقال لها رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) صه يا عائشة فانها رغبت في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ زهدتن فيه ... وح ١٨٦ في كتاب الخصال عن أبي عبد الله في حديث كانت خولة بنت حكيم السلمى وفي المجمع قيل انها لما وهبت نفسها للنبي قالت عائشة ما بال النساء يبذلن انفسهن بلا مهر فنزلت الآية فقالت عائشة : ما ارى الله تعالى إلا يسارع في هواك فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : وانك ان أطعت الله سارع في هواك وفيه عن علي بن الحسين هي امرأة من بني اسد يقال لها شريك بنت جابر لك به حاجة قال : ما عندك تعطيها؟ قال : ما عندي الا ازارى ، قال : ان أعطيتك ازارك جلست لا ازار لك فالتمس شيئا قال : ما أجد شيئا فقال : التمس ولو خاتما من حديد فلم يجد فقال : هل معك من القرآن شيء؟ قال نعم سورة كذا وسورة كذا لسور سماها فقال : قد زوجناكها بما معك من القرآن.

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٠٩ . اخرج مالك وعبد الرزاق واحمد والبخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن المنذر وابن مردويه عن سهل بن سهل الساعدي ان امرأة جاءت الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فوهبت نفسها له فصمت فقال رجل يا رسول وجنيها ان لم يكن واخرج في الدر المنثور اربع نساء وهبن انفسهن للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هما ميمونة بنت الحرث وليلى بنت الحطيم.

فقد حملت هذه الآية مربع الإحلال له (صلى الله عليه وآله وسلم) من مختلف النساء دونما حدٍّ إلا ما رآه الله إذ قال : ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ..﴾ وقد خصه بإتيان أجورهن قبل استحلالهن ، وخصت به إماء الفيء لاختصاص الفيء به أيا كان ، وأحلت له الأربع للقرابة والمهجرة كأن سواهن لا تحل له ، وخصت به التي وهبته نفسها إن أراد استنكاحها ولماذا؟ إذ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ و ﴿لَكَيْلًا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٥١)

فيكفيهم زواجا ما فرضنا عليهم في أزواجهم : ﴿ثَلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ و ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من اسرى الحرب وما يشترون أو يوهب لهم ، فزواجات الامة تختصر في الحقل العائلي وحظوة لجنس والإنسال ، واما زواجات النبي فتزيد عليهم ضرورة النبوة حقولا اخرى يتوجب عليه فيها المزيد ﴿لَكَيْلًا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ..﴾.

فهو الذي يجب عليه كحامل الرسالة أن يتزوج بحليلة دعيه إبطالا لسنة جاهلية ، ويتوجب عليه التزويج بأرامل الجهاد تشجيعا للجهاد وترفيعا من شئون الأرامل ، ويتوجب عليه زواجات اخرى من مختلف الأقوام ربطا بينها ، وتخفيفا لما كان يتربص عليه من الدوائر ، فلو لا ذلك الإحلال في مختلف المجال لكان عليه حرج :

﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ (٥١)

خيارات له (صلى الله عليه وآله وسلم) في نساءه قبل تزويجهن وبعده ، قبل تطليقهن او بعده ، ف . «منهن» تعني فيما تعني ﴿امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ فله إرجاءها تأخيرا لنكاحها كما فعل في

الأنصارية^(١) ، او تبعيها لها إنكاحا لغيره كما في أخرى . ، وله ايوائها عاجلا او آجلا باستنكاحها ، ثم التي عزلها فلم يردها له ابتغاؤها بعد عزلها و ﴿ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ تَقْرَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ﴾ أن تؤوي إليك الواهبة نفسها فور هبتها ، او بتبغيها بعد إرجاءها او عزلها .
و «منهن» نساءه بعد زواجهن ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ تطليقا ﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ إبقاء ﴿وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ ابتغاء الرجوع إليها أو نكاحها من جديد ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ كتأديب لها أولا ثم غفرانا ﴿ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ تَقْرَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ﴾ .
وإرجاء ثالث تاخيرهن عن قسمهن او تقديمهن ام قسما سويا ﴿وَمَنْ ابْتَغَيْتَ﴾ قسمها ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ عن قسمها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ..﴾ ولكنما القسم في المضاجعة واجب عليه كما في الأمة ، فيخص سماح ارجائه فيه في الواقعة .
وهل إن ﴿ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ تَقْرَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ راجع الى ابتغاء من عزلها وكلا الإرجاء والإيواء في معانيهما الثلاثة؟ وليس ارجاء التي وهبت نفسها تركا لنكاحها قرير عينها! ولا إرجاء الطلاق ، وتأخير القسم قرير عين لمن أرجئها! وإن ذلك إيتاء لما آتاهن كلهن ، وهذه وتلك سلب بعد الإيتاء او عدم الإيتاء! .
ام إنه استنكاح التي وهبت نفسها عاجلا ، ام آجلا بعد الإرجاء التأخير فانه راجع الى إيواء ، و «من آوى فقد نكح ومن أرجى فلم ينكح»^(٢) .. ثم الإيواء الإبقاء لمن تزوجها دون طلاق ف . «من آوى فقد

(١ ، ٢) . نور الثقلين ٤ : ح ١٩٠ في الكافي باسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قلت أرأيت قوله «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ ...»؟

نكح ومن أرجى فقد طلق»^(١) ثم الإيواء الرجوع بعد إرجاء الطلاق ، او تجديد العقد بعد العدة فانه ايضا من الإيواء او أخرى حيث الإيواء تلمح باضطراب سابق ﴿وَمِنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ﴾ مورده المنصوص قبل «ذلك»! ثم الإيواء القسم بعد ارجائه ، ايوانات ست بعد ارجاء ام دونه قد تعنيها «ذلك» ويناسبها ﴿أَذْنِي أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْرَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ دون إبلاس ولا إياس ، وهو الأنسب للمقام أدبيا ومعنويا ، وقد آواهن كلهن فلم يطلق ولم يردّ الواهبة نفسها وإن إنكاحها غيره فتوفي عن التسع اللاتي كن معه ، على ما كان منهن من مظاهرة جامعة جامحة فنزلت ما نزلت^(٢) ومن تظاهرة عائشة وحفصة فنزلت ما نزلت^(٣) تصيرا على كل ذلك حيث إن ﴿ذَلِكَ أَذْنِي أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْرَنَّ...﴾!

هنا يؤمر نبي الله ان يقر عيونهن ولا يحزنهن مهما كلف الأمر ، وطبعا ما لم يخالف شرعة الله ورضاه ، تقديمها لهواهن على هواه ورضاهن على رضاه ما لم يخالف رضى الله ، وقد بلغ في ذلك مبلغا ما الله ينهاه :

. قال : ... ورواه في المجمع عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليه السلام) وفي الدر المنثور ٥ : ٢١٠ . اخرج ابن مردويه عن سعيد بن المسيب عن خولة بنت الحكيم قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تزوجها فأرجاها فيمن ارجا من نساءه.

(١ ، ٢). نور الثقلين ٤ : ح ١٩٠ في الكافي باسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قلت أرايت قوله «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ...»؟ قال : ... ورواه في المجمع عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليه السلام) وفي الدر المنثور ٥ : ٢١٠ .

اخرج ابن مردويه عن سعيد بن المسيب عن خولة بنت الحكيم قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تزوجها فأرجاها فيمن ارجا من نساءه.

(١) المصدر ٢٩٤ ح ١٩١ القمي في تفسيره قال الصادق (عليه السلام) : ...

(٢) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَرَغْنَ فَرَّغْنَ وَأَسْرَحْنَ سَرَاحًا جَمِيلًا (٣٨).

(٣) «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ عَسَىٰ رَبُّهُ إِذْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا».

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٦)

: (١) تبيننا لما خالفت رضاها رضى الله.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا

مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ (٥٢)

من قبل لحد الآن أحلت له النساء المسلمات المذكورات وما ملكت يمينه مما أفاء الله

عليه وأحل له ان يبدل بهن من ازواج : ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾

إحلال الزواج دون حد ، وإحلال التبديل بهن دون حد ، ومن الآن ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ

بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ ..﴾ فهل يعني من النساء كل النساء ، ومن بعد الآن ﴿لَا

يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ ..﴾ فهل يعني النساء كل النساء ، ومن

بعد الآن ، فلا يحل له اي زواج جديد ولا التبديل بأزواجه من ازواج؟ فلتكن هذه الآية نازلة

بعد فترة من الزمن بامكانه ان يستنكح فيها التي وهبت له نفسها ، وان يتزوج من قريباته

الأربع ، فصلا هكذا في نزولها دون وصل ، حيث الوصل يقضي على حكم الأصل!

فلا يحل لك النساء من بعد هذه التسع اللاتي عندك الآن ولا التبديل بهن من ازواج ،

اللهم الا طلاقا دون تبديل ، وقد مات عن هذه التسع لم يزد عليهن ولم ينقص عنهن ولا

استبدل بهن!

او يعني النساء من بعد هذه الأوصاف منذ الإحلال وحتى متى؟ ولكنه يتطلب اضافة

تبيين هذا الموقف الخاص لبعد د . «من بعدهن . او . من بعد هذه الصفات» ومن البعيد ان

يعنى من البعد المجرد مقيدا هكذا او ذاك!

ثم التبديل بهن من ازواج قسم من الزواج الجديد يستأصل اي

زواج مثلهن وسواهن ، وهذه مرحلة ثانية من تحريم الأزواج من بعد ، بعد الاولى المطلقة التي قد يفل منها التبذل ، فليصرح به استئصالا لاي زواج بعد حتى وان طلقهن كلهن ويبقى بلا ازواج!

او يعني النساء المحرمات في آية النساء ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ..﴾^(١) ولم تذكر هنا من قبل حتى تعنيهن «من بعد»! ولا أن حرمتهن «لك» كحكم يخصه دون الأمة! ثم لا معنى صالحا إذا لـ ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ حيث المحرمات في آية النساء لم يكن محلات في اي زمن في نكاح جديد او استبدال ، والروايات الواردة هنا مما تحير العقول ولا تصلح محولة لـ ﴿لَا يَحِلُّ ..﴾ عن نصها وظاهرها مهما بلغت ما بلغت من كثرة! ^(٢) كالتى تفسر ﴿أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ بمبادلة الأزواج فوضى دون زواج ، فانها كانت سنة جاهلية قضى عليها الإسلام منذ بزوغه بسنة الزواج على شروطه ، فهل كان النبي يبادل هكذا ازواج

(١). نور الثقلين ٤ : ٢٩٤ ح ١٩٣ في الكافي باسناده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل : ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ فقال (عليه السلام) : انما عني به لا يحل النساء التي حرم الله عليك في هذه الآية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ..﴾ ولو كان الأمر كما يقولون كان قد أحل لكم ما لم يحل له لأن أحدكم يستبدل كلما أرادوا ولكن الأمر ليس كما يقولون ان الله أحل لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ان ينكح من النساء ما أراد الا ما حرم في هذه الآية في سورة النساء.

أقول وروى ما في معناه عن الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) وعن أبي بصير عنه (عليه السلام) بنفس الدليل ، ولكنه تعالى قد أحل للامة الا يصلوا صلاة الليل ، ولم يحل له تركها الى غير ذلك من مفارقات في محلات ومحرمات فلا مورد لاستنكاره ، ثم تحويل «من بعد» هنا الى ما بعد آية النساء كاللغز ولا يقبل على كتاب الله وان تواترت به الرواية.

قبل التحريم حتى يرد نصه له خاصا دون المسلمين : ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾
سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم!

وترى كيف يعجب الرسول حسن نساء قبل أن يتزوج بهن او ان يراهن وليس ليرى
غير ذوات محرم؟ انما رؤية لارادة التزويج ، محللة قدر الحاجة من معرفة الزوج من جمالها ،
وبطبيعة الحال يعجبه حسننها ان كانت جميلة ، قضية تمييز الجميلة عن القبيحة لكل انسان
وله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخرى فيما يحل.

فكما لم يكن عدد النساء اللاتي يحل له زواجهن غير محدد ، لسياسة رسالية وحكمة
تخصه ، كذلك تحرم عليه النساء من ذلك التحليل الواسع لنفس الحكمة والسياسة ، ﴿إِلَّا مَا
مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرٍ إِنَاهُ
وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ حَدِيثٌ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩) لَيْسَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أُحْذُوا وَقَتْلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

تتمة من اختصاصات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ألا يدخل بيته حتى باستئذان ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾ رعاية لأوقاته الشريفة أن تهدر بلقاءات وزيارات لا تعني عناية جماهيرية لصالح المسلمين وكما عنته آية النجوى ، وحفاظا زائدا على أهل بيته.

يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفِّفُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥) إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧)

على الامة له (صلى الله عليه وآله وسلم) أدب الحضور في الملاء صلاة عليه وسلاما ،
وواجب التسليم له وكما يأتي في آية الصلاة والتسليم ، وعليهم كذلك له ادب الحضور في
الخلاء ألا يؤذوه بالدخول إلا باذنه بدائيا دونما استئذان ، وباطالة الجلوس إذا دعوا :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ
وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي
النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ
حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُجَاجَهُ
مَنْ بَعْدَهُ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (٥٣).

هذه الآية تتضمن آدابا كانت الجاهلية تخالفها ، دخولا في البيوت دونما استئذان ولا
سيما بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ كان مهبط الوحي ومنزل الرحمة ، يعتبرونه
مأواهم في كل وقت ، وييوهم للأكل ، ويطيلون الجلوس والاستئناس لحديث بعد الأكل ، مما
كان يؤذي النبي ويستحيي منهم إن صارحهم بنهيه عن بيته ، وعادة العرب احترام واستقبال
الضيوف حتى إذا كانوا أعداء ، ولكنما النبي لمكانته من رسالته يختلف عن سائر الناس في
كيفية عشرته وصرف أوقاته ، فمنزله الكريمة من ناحية ، وعبأه في بلاغه من أخرى ،
يتطلبان له فراغا لتطبيق واجبه الرسالي أكثر ممن سواه ،

ف . ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾ إذن

بدائي دونما استئذان فانه يتخرج ويستحي إذا استأذن ألا يأذن! ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾! وقد تلمح ﴿غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَّهُ﴾ عدم السماح لانتظار وقت الإذن والسماح ، حتى يكون هو الذي يأذن دونما انتظار ولا استئذان لطعام وسواه.

وترى الإذن يخص اذنه (صلى الله عليه وآله وسلم) . وبطبيعة الحال . فانه صاحب البيت واهله؟ فلما ذا ﴿حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ دون أن «يأذن»! علّه ليشمل موارد الضرورة ، فانها إذن من الله قدر الضرورة ويبقى واجب الاستئذان لأجل النظر وتحيؤ الاستقبال فهنا يجوز الاستئذان فضلا عن نظرة الإذن ، لا أن يدخل دون صريح الإذن ، فانه محظور في سائر البيوت ولبيت النبي فضله عليها! وعلّ «الى طعام» ليس تخصيصا بطعام ، فإذا أذن لغير طعام ، لأمر أهم أمأذا؟ فلا دخول! وانما تضييقا لدائرة الدخول الى بيوت النبي بدء باقله «الطعام» واشارة الى ما فوّه . وقليل من هم الذين يدخلون لحاجة معرفية ، والرسول في متناولهم في اوقات الصلاة الخمسة ،

اللهم إلا لنجوى وقد حددته آيتها . وكانوا «إذا نهض الى بيته بادروه فأخذوا المجلس فلا يعرف بذلك في وجه رسول الله ولا ييسط يده الى طعام مستحيا منهم فعوتبوا في ذلك»^(١).

تدخلون بيوته باذنه الى طعام ولكن «غير ناظرين إناه» فالنظر «الى» هو

(١) الدر المنثور ٥ : ٢١٤ . اخرج ابن سعد عن محمد بن كعب قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا نهض ...

الإبصار أو التفكير ، وهو متعديا بنفسه كما هنا الانتظار ^(١).

والإني هو الوقت والساعة والحين ، وهو النضج والإدراك ، فهو إني اذنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقتا وهو إني طعامه وقتا ونضجا ، فليس لكم الانتظار لوقت اذنه ، تربصا ان يأذن لكم الى طعام وسواه ، إلا أن يأذن لكم «غير ناظرين إناه : نضج طعامه ام وقت إطعامه ، ولا لكم إذا دخلتم بيوته باذنه لا الى طعام ان تنظروا «إناه» : ادراك طعامه ونضجه وقد لا يتهيأ لا طعامكم ، ولا لكم إذا دعاكم الى طعام ان تدخلوا إلا وقت الطعام ، لا قبله ناظرين إني طعامه وقتا ونضجا وإدراكا ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ دخولا لطعام قدر وقته لا سابقا» ﴿ناظرين إناه﴾ ولا لا حقا جالسين بعد الطعام «ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق» ^(٢).

(١) ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ (٥٣ : ٧) ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ...﴾ (٢) : ٢١٠ ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٤٣ : ٣٥) ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ (٤٩ : ٣٦) ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ (٤٣ : ٦٦) كل ذلك يعني الانتظار.

(٢) في الدر المنثور ٥ : ٢١٣ عن انس (رضي الله عنه) قال لما تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام منهم من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليدخل فإذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقت فجئت فأخبرت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت ادخل فالقى الحجاب بيني وبينه فانزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا...﴾.

﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ حَدِيثٍ﴾ قبل الطعام او بعده ام فيما ليس طعام ، أحديث بينكم أنفسكم؟ فله مجال في غير بيوته! فلا تتخذوها مقهى او ناديا تستأنسون فيه بحديث. او حديث بينكم وبين نساء فأرذل وأنكى ، فما لكم والاستئناس بحديث نساء؟! . او حديث بينكم وبينه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، تحدثونه وهو يسمع ، او يجيب عما لا يعنيكم من سؤال «ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق» اللهم إلا سؤالاً مفروضاً ام راجحاً في شرعة الله ، وباحرى حديثاً من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ام سؤال متاع تحتاجونه من نساء لكن : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ دونما استئناس لحديث ، ولا سؤال راجح دون حجاب فوق حجابهن.

فآيات الحجاب لسائر الامة تخص حجاب النساء انفسهن عن الرجال الاغارب ، وهذه تختص نساء النبي بحجاب فوق الحجاب ، كرامة لبيت الرسالة وأمومة لنساءه (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا يواجهوهن في سؤال ام غير سؤال إلا من وراء حجاب وستر يفصل بينهم وبينهن.

﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ﴾ تجنبنا عن جاذبية الجنس وهن أمهاتكم «وقلوبهن» تجنبنا عن مواجهة الرجال في غير حاجة راجحة ودون حجاب ، ففي المواجهات القلبية اتجاهات قلبية ، وهي في الجنس محرمة ولا سيما بالنسبة لأمهات المؤمنين! . وترى إذا لم يكن الاستحياء من الحق حقاً لأن الله لا يستحي منه ، فهل النبي يستحي باطلا؟ الحق المستحي منه هنا هو حقه (صلى الله عليه وآله وسلم)

وآله وسلم) الخاص القابل للسماح عنه على أذى ، وهذا من كرم أخلاقه ، ثم الله يحق حقه بكلماته ويقطع دابر المبطلين ، واما حق الله في عباده وعبادته ، وحق الخلق فيما لهم وعليهم ، فهما من حاق رسالته ، ليس ليترك شيئا منهما استحياء ، مهما رجع بالضرر اليه ، وكما في زينب بنت جحش! كما ولا يحق له ان يستحي عن ضياع حقه في رسالته ، ام في عرضه وماله وسائر نوااميسه الواجبة الحفظ.

وكضابطة عامة لا تستثنى على اية حال ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ باي أذى معمّد ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ من بعد طلاقه او موته وكلاهما معنيان في «من بعده» إطلاقا ل «من بعده» لكلا البعدين في كلا البعدين : الطلاق والموت ، ولأنهما يؤذيانه (صلى الله عليه وآله وسلم) على سواء ، فلم يقل بعد طلاقهن او بعد موته ، وانما «من بعده» منذ أصبح زوجا لهن.

فلا يحل لكم نكاح أزواجه «ابدا» في اي وقت وعلى اية حال وبأي نكاح ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ مدى عظمة رسول الله ورسالة الله ، فإيذاءه عظيم عند الله! وذنوب كبير قد لا يغفره الله! ^(١).

(١) الدر المنثور ٥ : ٢١٤ . اخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ...﴾ قال : نزلت في رجل هم ان يتزوج بعض نساء النبي (ص) وعنه قال رجل لئن مات محمد لا تزوجن عائشة فانزل الله الآية ... وعن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال بلغ النبي (ص) أن رجلا يقول : ان توفي رسول الله (ص) تزوجت فلانة من بعده فكان ذلك يؤذي النبي (ص) فنزلت واخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال : بلغنا ان طلحة بن عبيد الله قال : أيجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا لئن حدث به حدث لتتزوجن نساءه من بعده فنزلت ...

﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٥٤).

ان تبدوا شيئاً مما يؤذيه من نكاح أزواجه إمّا ذا من إبداء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ قبل نية الإبداء وبعدها ، قبل الإبداء وبعده «بكل شيء» من هذه وتلك «عليما» فعمن تخفونه ما تخفونه؟

ومهما جاز دخول بيوت الأمة باستئذان لطعام وسواه فلا يجوز دخول بيوت النبي ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ... وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ حَدِيثٍ﴾ حيث المتطلبات الرسالية تضيق عليه أوقاته الشريفة فلا يسطع ان يضيفكم او يطيل الجلوس في مجلسكم. وهكذا تكون السنة فيمن يحذو حذو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ إذ يجوز دخول سائر البيوت باستئذان ، ولكن بشرط ظاهر الرضا ، واما الأذن عن استحياء ، او الأكل او طول المكوث ، فلا يسمح باي تصرف فانه دون رضى مهما لفظ بإذن ، وعلينا ان نعيش واقعيين ، بعيدين عن عشرة التخجيل والاستحياء ، فلا نستحي في الحق ولا نجعل الناس في استحياء ، فشر الإخوان من تكلف له. آية السؤال من وراء حجاب هي اولى آيات الحجاب ، ابتداء ببيت النبي كما في روايات ولكن :

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ (٥٥).

أترى لماذا هنا يستثنى عن عموم فرض الحجاب . فقط . هؤلاء المذكورون ، ويترك الأعمام والأخوال كأنهم ليسوا من المحارم؟ ليس هنا

فرض الحجاب الأصل ، والأعمام والأحوال ابعد من سائر المحارم فليظلوا هناك في عموم الحظر.

ام لعل آية النور متأخرة النزول عن آية الأحزاب كما تقتضيه طبيعة التكليف ، فهي تعم الاستثناء بعد اختصاصه.

ثم «نسائهن» هنا و ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ هن كما في النور ، نساء مؤمنات ، وإماء مؤمنات.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦).

آية منقطعة النظير ، تحمل للبشير النذير هدية الصلوات الثلاث برحمات ، من الله إنزالا ، ومن الملائكة والذين آمنوا استنزالا ، ثم ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ له مطلقا دون شرط ، كما الصلاة عليه مطلقة دون شرط! واين تذهب صلاتنا والملائكة بعد صلاة الله؟ فانما يريد الله تشریفنا قرنا لصلاتنا الى صلاته ، لتكون صلات بيننا وبينه (صلى الله عليه وآله وسلم) كما بينه وبين ربه فيرحمنا بهذه الصلاة الصلات!.

ومثلت الصلاة هذه عليه في الملاء الأعلى والأدنى تعني أن مقامه ارفع المقامات بين ملاء العالمين من الملائكة والجنة والناس أجمعين.

اجل ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ واين صلاة من صلاة ، حيث هذه تخرجنا من الظلمات الى النور ولكنما النبي هو نور في حالات وهالات من النور : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (٥ : ١٥) فالنبي هو النور ومعه الكتاب النور ، ولأن الكتاب متجسد في روحه حيث كان خلقا القرآن فهو إذا نور على نور!

فلا تعني صلوات الله عليه إلا دوام تسديده بعصمة فائقة ، وإتمام نوره

معرفة وعملا وعلمًا وكما امره ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٦١ : ٨) ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ...﴾ (٣٩ : ٢٢).

رحمات الله ليست لها نهايات ، فلتواصل على أفضل البريات وغاية الغايات ، وقد تكفيه صلوات الله سلبا لما يتربصه من دوائر السوء ، وإيجابا لما يليقه من مقامات الخير ، فما هي حاجته الى صلوات ملائكة الله وصلواتنا ، إلّا حاجاتهم وحاجتنا ، لهم ترفيعا لمقاماتهم ، ولنا غفرانا لذنوبنا واستجابة لدعواتنا بشفاعاة النبي المختار ، ف «بالصلاة تنالون الرحمة» ^(١) مهما زادته (صلى الله عليه وآله وسلم) رحمة على رحمة . ولكنها لنا عون ونجاح الطلبة: ف «صل على محمد وآله صلاة دائمة نامية لا انقطاع لأبداها ولا منتهى لأمدّها واجعل ذلك عوناً لي وسبباً لنجاح طلبتي إنك واسع كريم» ^(٢) ف «قد كان في الله وملائكته كفاية ولكن خص المؤمنين بذلك ليشيهم عليه» ^(٣).

ومهما ردت دعوات منا حيث لا نأهل اجابة ، لقصوراتنا وتقصيراتنا ، فليست لترد صلواتنا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ يأهل ، كما الله يصلي عليه ابتداء دون دعاء ، وهل يقبل الله دعائنا فيه ثم يرد دعائنا

(١) نور الثقلين ٤ : ٣٠٢ ح ٢٢٤ في كتاب التوحيد من خطب علي (عليه السلام) وفيها : بالشهادتين تدخلون الجنة وبالصلاة تنالون الرحمة فأكثروا من الصلاة على نبيكم وآله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ ..

(٢) في الصحيفة السجادية في دعائه (عليه السلام) في طلب الخوائج ...

(٣) الدر المنثور اخرج الاصبهاني في الترغيب والدليمة عن انس (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ان أنجاكم يوم القيامة من أهوالها وموطنها أكثركم على في دار الدنيا صلاة انه قد كان ...

فيما؟ كلا ، يا كريم! ولكن شرط ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وكما سلّم لربه تسليما ، فاستحق تلك المنزلة الرفيعة.

فمن آداب الدعاء وشرائط استجابة الدعاء ان تتوسط الصلاة على النبي وآله وكما نراه في صحيفة الامام السجاد (عليه السلام) : وعن الامام علي (عليه السلام) «ما من دعاء إلا وبينه وبين السماء حجاب الى ان يدعو لمحمد وآل محمد» ^(١).

عرفنا الصلاة عليه ، فهل التسليم كما الصلاة ايضا عليه ، ان نقول : السلام عليك؟ ام التسليم له ، استسلاما لأمره ومطابقة لإمرته؟ لا فقط في لفظة القول؟ ^(٢)

علّه يعنيهما ولا سيما التسليم له وهو الأهم الأتم ، ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ لا تحمل لا «له» ولا «عليه» فلتحمل التسليمين معا ، والتسليم له هو الشرط الأصيل للإيمان ، وشرط اجابة الدعاء ، فلو عني التسليم عليه فقط كما الصلاة لقال ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾! ومن التسليم له ان نصلي عليه كما امر : «اللهم صل على محمد وآل محمد ..» لا الصلاة البتراء كما نهي : لا تصلوا علي الصلاة البتراء : اللهم صل على محمد! ولقد تواترت الرواية عنه (صلى الله على محمد وآله محمد) ما لا تحصى بزيادة الآل ، والاكثرية الساحقة من المسلمين تعودوا ان يصلوا عليه الصلاة البتراء ، ام إذا زادوا الآل ردفوا بهم ازواج النبي

(١) الديلمي في كتاب الفردوس رواه بسنده عنه (عليه السلام) ورواه مثله السمعاني في مناقب الصحابة بسنده عن الحارث وعاصم بن حمزة (عليه السلام)

(٢) نور الثقلين ٤ : ٣٠٥ ح ٢٣٥ في محاسن البرقي عن محمد بن سنان عن ذكره عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية : اثنوا عليه وسلموا له.

وأصحابه ، فهم بين نقيصة بترء وزيادة بترء والله منهما والرسول براء!

لقد اخرج الحفاظ والمصنفون والمحدثون والمفسرون ما يصعب إحصاؤه ^(١) عن عدد من الصحابة كالإمام علي (عليه السلام) ^(٢) وابن

(١) وممن أورده محمد بن إدريس الشافعي في مسنده والبخاري في صحيحه باب كيف نصلي عليه وكذا في تاريخه الكبير ج ١٢ القسم الاول ص ٣٥١ والحاكم في مستدركه ٣ : ١٤٨ وفي معرفة علوم الحديث ص ٣٢ وابو نعيم الاصفهاني في اخبار اصفهان ١ : ١٣١ ويوسف بن عبد البر الاندلسي في تجريد التمهيد ص ١٨٥ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٦ : ٢١٦ والواحدي النيسابوري في اسباب النزول ص ٢٧١ والبغوي في معالم التنزيل والتعلي في تفسيره والحموي في فرائده وابو نعيم في الحلية والديلمي في الفردوس والسمعي في مناقب الصحابة وابن العربي الاندلسي في احكام القرآن ١ : ١٨٤ والرازي في تفسيره الكبير ٢٥ : ٢٢٦ والذهبي في تلخيص المستدرك والقرطبي في تفسيره ١٤ : ٢٣٣ - ٢٣٤ ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى ص ١٩ ومحي الدين يحيى بن شرف النووي في رياض الصالحين ص ٤٥٥ والطبري في تفسيره ٢٢ : ٢٧ وابن كثير في تفسيره وابو حيان الاندلسي في البحر المحيط ٧ : ٢٤٨ والدشتكي الشيرازي الهروي في روضة الأحياء في باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومحمد بن إدريس الهندي الكاندهلوي الحنفي في التعليق الصبيح في شرح المصابيح ١ : ٤٠١ والمحدث السيد ابراهيم نقيب مصر في البيان والتعريف ٣ : ١٣٤ والحاازن في تفسيره ٥ : ٣٢٦ وجلال الدين السيوطي الشافعي في بغية الدعاة ص ٤٤٢ وفي الدر المنثور حيث نقلنا الإخراجات عدد المروي عنه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والهيتمي في الصواعق المحرقة ص ١٤٤ والمولى محمد بن بير علي افندي البركوثي في الأربعين حديثا ص ٢٦٤ والمير محمد صالح الكشفي الترمذي في مناقب مرتضوي ص ٤٥ والشوكاني في فتح الغدير ٤ : ٢٩٣ والالوسي في روح المعاني ٢٢ : ٧٣ وابو بكر العلوي الحضرمي في رشفة الصادي ص ٣٤ و ٢٩ والجاوي في القول الفصل ٣ : ٣٧٢ (ملحقات احقاق الحق ٣ : ٢٥٢ - ٢٧١).

(٢) أخرجه عنه ابن أبي شيبه واحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن ماجة وابن مردويه.

عباس^(١) وأبي سعيد الخدري^(٢) وأبي طالب^(٣) وابن أبي مسعود^(٤) وانس بن مالك^(٥)
 وكعب بن عجرة^(٦) وطلحة^(٧) وعبد الله بن طلحة^(٨) وإبراهيم^(٩) وأبي هريرة^(١٠) وبشير بن
 سعد^(١١) وأبي مسعود الانصاري^(١٢)

(١) أخرجه عنه ابن جرير عن يونس بن خباب قال خطبنا بفارس فقال : ان الله وملائكته الآية قال : أنبأني من
 سمع ابن عباس يقول هكذا انزل فقالوا يا رسول الله قد علمنا الصلاة السلام عليك فكيف الصلاة فقال قولوا :

...

(٢) أخرجه عنه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن ماجه وابن مردويه.

(٣) أخرجه عنه ابن مردويه.

(٤) أخرجه عنه . فيمن أخرجه . ابن جرير.

(٥) ممن أخرجه عنه ابن جرير وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن كعب بن عجرة
 قال لما نزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ...﴾ قلنا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد علمنا السلام عليك
 فكيف الصلاة عليك؟ قال قولوا «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم
 انك حميد مجيد وبارك واخرج مثله عنه عبد الرزاق وابن شيبه واحمد والبخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي
 وابن ماجه.

(٦) أخرجه عنه ابن أبي شيبه وعبد بن حميد والنسائي وابن أبي عاصم والهيثم بن كليب الشاشي وابن مردويه وابن
 جرير.

(٧) أخرجه عنه ابو داود وابن مردويه والبيهقي في سننه وعبد بن حميد والنسائي والبخاري في الأدب المفرد.

(٨) أخرجه عنه ابن سعد واحمد والنسائي وابن مردويه.

(٩) أخرجه عنه ابن جرير.

(١٠) أخرجه عنه فيمن اخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن كثير عنه ومثله مالك وعبد الرزاق وابن أبي شيبه وعبد
 بن حميد وابو داود والترمذي والنسائي وابن مردويه وابن خزيمة والحاكم وصححه والبيهقي في سننه.

(١١) أخرجه عنه احمد وعبد بن حميد وابن مردويه.

(١٢) أخرجه عنه مالك واحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن .

وأبي حمية الساعدي ^(١) وام سلمة ^(٢) وأئمة اهل البيت (عليه السلام) كافة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله : «تقولون : اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم ثم تسلمون علي» وقد تختلف فيها صيغة النقل مع الحفاظ على الأصل : ان الصلاة على آل محمد لزما الصلاة عليه (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد يلح وصف الخطاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ان الصلاة عليه والتسليم له من لوازم الايمان ، اجل وكما الصلاة لله مهما اختلفت صلاة عن صلاة اختلاف الأحد عن احمد!.

ان التسليم له (صلى الله عليه وآله وسلم) مما يجب ان يعيشه المؤمن في حياته الايمانية ، ثم الصلاة عليه وآله من واجبات التشهد ، والتسليم عليه من سنن السلام المندوبة ، فلولا الصلاة عليه فلا صلاة ، مهما كان التسليم عليه ندبا دون فرض. وهل تجب الصلاة عليه دائما دونما انقطاع؟ وهو حرج قاض على كافة الواجبات اللفظية حتى الصلاة! وكيف تربوا الصلاة عليه الصلاة لله! فلتكن لاكثر تقدير مع كل صلاة! ام وكلما ذكر كما في متظافر

. ماجة وابن مردويه.

(١) أخرجه عنه مالك واحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجة وابن مردويه.

(٢) محمد بن إدريس الشافعي في مسنده أخبرنا ابراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة انه قال : يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف نصلي عليك؟ فقال : تقولون ...

الروايات ^(١) وكلما تدعوا استجابة لدعائك ^(٢) وكلما تذكر ربك ^(٣) فلتعش

(١) المصدر اخرج الطبراني وابن مردويه وابن النجار عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله رأيت قول الله : إن الله وملائكته يصلون على النبي؟ قال : ان هذا لمن المكتوم ولولا انكم سألتهموني عنه ما أخبرتكم ان الله وكل بي ملكين لا اذكر عند عبد مسلم فيصل علي الا قال ذاك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصل علي الا قال ذلك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين «أقول : آمين من الله اخبار عن الاستجابة لا دعائها وفيه اخرج احمد والترمذي عن الحسين بن علي (ع) ان رسول الله (ص) قال : البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي واخرج ابن ماجه عن ابن عباس والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) من نسي الصلاة علي اخطأ طريق الجنة أقول : يعني به التناسي والتساهل.

واخرج البيهقي في الشعب عن انس (رض) قال قال رسول الله (ص) اتاني جبرئيل فقال : رغم انف امرى ذكرت عنده فلم يصل عليك واخرج القاضي إسماعيل عن الحسن (رض) قال قال رسول الله (ص) كفى به شحا ان يذكرني قوم فلا يصلون علي.

وفي نور الثقلين ٤ : ٣٠٢ ح ٢٢٠ في من لا يحضره الفقيه روى زرارة عن أبي جعفر (ع) انه قال : وصل على النبي (ص) كلما ذكرته او ذكره ذاكر عندك في أذان او غيره.

(٢) المصدر اخرج عبد الرزاق عن ابن عينية قال اخبرني يعقوب بن زيد التيمي قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اتاني آت من ربي فقال : لا يصل علي عليك عبد الا صلى الله عليه عشرا فقال رجل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! ألا اجعل نصف دعائي لك؟ قال : ان شئت قال : الا اجعل كل دعائي لك؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : اذن يكفيك الله هم الدنيا والآخرة.

(٣) المصدر اخرج الترمذي وحسنة عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

ذكر الله ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ وتعيش على ضوئه الصلاة على رسول الله (١) وكما ندرس ذلك القرن الدائب من الشهادتين!

انما الواجب من الصلاة عليه ما في تشهد الصلاة ، ويليه على أشراف الواجب كلما ذكر ، ثم وسائر الصلاة عليه سنة ، فصلوات الله عليه وعلى آله ما طلعت الشمس وغربت (٢) وواجب التسليم له (صلى الله عليه وآله وسلم) يشمل كل حياة التكليف في حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد مماته (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذلك سنة التسليم عليه فانه

. (وسلم) قال : ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وفيه اخرج البيهقي في شعب الايمان عن جابر (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله وصلاة على النبي الا قاموا عن أتن جيفة.

(١) المصدر اخرج الترمذي وحسنه وابن حبان عن ابن مسعود (رضي الله عنه) ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : اولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة.

(٢) نور الثقلين ٤ : ٣٠١ في عيون الاخبار باب ما كتبه الرضا (عليه السلام) للمأمون عن محض الإسلام وشرائع الدين «والصلاة على النبي واجبة في كل موطن وعند العطاس والذبايح وغير ذلك وفي الخصال عن الأعمش عن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال : هذه شرائع الدين . الى ان قال : . والصلاة على النبي واجبة في كل المواطن وعند العطاس والرياح وغير ذلك أقول عله يعني من واجبة ثابتة مهما اختلفت الثبوتات فرضا وندبا ، وفي ثواب الأعمال عن أبي المعز قال سمعت أبا الحسن (ع) يقول : من قال في دبر صلاة الصبح وصلاة المغرب قبل ان يثني رجله او يكلم أحدا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ اللهم صل على محمد وذريته قضى الله له مائة حاجة سبعين في الدنيا وثلاثين في الآخرة قال قلت ما معنى صلاة الله وصلاة ملائكته وصلاة المؤمن؟ قال : صلاة الله رحمة من الله وصلاة .

الحبيب ميتا كما يجيب حيا ^(١) ثم الصلاة عليه في صلاة وسواها فانه يسمع سلامنا وصلاتنا دون ان تهدر بلا جواب وصواب او ثواب! ^(٢).

ولان الصلاة عليه احسن هدية اليه وهو أحق من يهدى اليه فقولوا : «اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغطه به الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد» ^(٣) وكما قال (صلى الله عليه وآله وسلم) اللهم صل على محمد وأبلغه درجة الوسيلة من الجنة اللهم اجعل في المصطفين محبته ، وفي المقربين مودته ، وفي عليّين ذكره وداره ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم

. الملائكة تزيّنة منهم له وصلاة المؤمنين دعاء منهم له.

(١) المصدر اخرج البيهقي في الشعب والخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا كفي امر دنياه وآخرته وكنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة وعنه قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فانها معروضة علي.

(٢) المصدر أخرج البيهقي في شعب الايمان وابن عساكر وابن المنذر في تاريخه عن أنس بن مالك (رض) قال قال رسول الله (ص): إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم علي صلاة في الدنيا من صلى علي يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكل الله بذلك ملكا يدخله في قبري كما يدخل عليكم الهدايا يخبرني بمن صلى علي باسمه ونسبه الى عشرة فأثبته عندي في صحيفة بيضاء.

(٣) الدر المنثور ٥ : ٢١٩ . اخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن ماجه وابن مردويه عن ابن مسعود قال : إذا صليت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا : فعلمنا قال : قولوا ...

انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد»^(١).

وأخصر صلاة عليه «اللهم صل على محمد وآله» يكتفى بها حال الدعاء كما في الصحيفة السجادية ، ثم «وآل محمد» كلما ذكر ، ثم أحسنوا الصلاة عليه حسب المستطاع في سائر الحالات والمجالات وكما في صلاة الجمعة والميت.

ومن اللّمحات اللامعة في هذه الآية فرض الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما مات ، وكما صلى عليه اهل المدينة واهل العوالي^(٢) فصلوات الله عليه حيا وصلوات الله عليه حين مات وصلوات الله عليه مدى الدهر ، كما ومن التسليم له التسليم لمن وصاه بأمر الله^(٣).

(١) المصدر اخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال قلنا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! قد عرفنا كيف السلام عليك فكيف نصلي عليك قال : ...

(٢) نور الثقلين ٤ : ٣٠٣ ح ٢٢٨ في اصول الكافي عن أبي مريم الانصاري عن أبي جعفر (عليه السلام) قال قلت له كيف كانت الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال : لما غسله امير المؤمنين (عليه السلام) وكفنه وسجاه ثم ادخل عليه عشرة فداروا حوله ثم وقف امير المؤمنين (عليه السلام) في وسطهم وقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ...﴾ فيقوم القوم كما يقول حتى صلى عليه اهل المدينة واهل العوالي وفيه عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : لما قبض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صلت عليه الملائكة والمهاجرون والأنصار فوجا فوجا قال وقال امير المؤمنين (عليه السلام) سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في صحته وسلامته : انما نزلت هذه الآية علي بعد قبض الله لي ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ...﴾ أقول : يعني انها تعني فيما تعني الصلاة علي بعد موته.

(٣) المصدر ٣٠٥ : ٢٣٤ في كتاب الاحتجاج عن امير المؤمنين (عليه السلام) فاما ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من كتاب الله فهو قول الله سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ...﴾ ولهذه الآية ظاهر وباطن ، فالظاهر قوله «صلوا عليه» والباطن قوله ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ اي سلموا لمن وصاه واستخلفه عليكم فضله وما عهد به اليه تسليما وهذا مما أخبرتك انه لا يعلم تأويله الا من لطف حسنه وصفي ذهنه وصح تمييزه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٥٧).

إيذاء الله ورسوله لا تحمله إلا هذه الآية ، وقرن الرسول في إيذاؤه بالله مما يؤذون ان في إيذاء الرسول إيذاء الله ، فانه يحمل رسالة الله ، فيإيذاؤه كرسول إيذاء للمرسل ، واين إيذاء من إيذاء؟

الذين يؤذون رسول الله ينالون منه ويظلمونه ، انتقاصا من ساحته وتكديرا لقلبه ، وتكويرا لنوره ، فهو يتغير بما يغيرون ويتأثر بما يقولون ويفتعلون : ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٩ : ٦١).

ف ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ (٣٣ : ٦٩).

أترى الوقعة في اهل بيت الرسول (عليهم أفضل الصلوات) وشكيمتهم لا تؤذيه؟
او ان سن السباب على أخيه وخليفته علي امير المؤمنين (عليه السلام) لا يؤذيه؟
ام إن تحريض المؤمنين في حرب الجمل من صاحبة الجمل لا يؤذيه؟
سلوا خال المؤمنين وأمهم امن هم من هؤلاء الذين نكلوا بأفلاذ كبده وركلوهم ، هل إن هذه تفرحه ام تؤذيه ف ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾!
ثم الله ليس ليتأذى كخلقه سواء ، إذ لا يتغير بانغيار المخلوقين ، فيإيذاؤه أمآذا من هذه المتشابهات يجرد عما للخلق من تأثر وتغير ، ويستخلص كما يناسب ساحة الربوبية في تحرير خلو عن اي تعيير ، فكما ان

غضب الله عذابه ، كذلك إيذائه من موجبات عذابه.

وما أشنعه وأبشعه وهم يحاولون أذى ربهم وما هم بباليغيه ولو بشق الأنفس ، وإنما ذلك تعبير يصور حساسية مرهفة بإيذاء الرسول ، وكأنما هو إيذاء الله ، كما وإجاعة المؤمن كأنها إجاعة الله ، أماذا من تعابير تصور فضاضة الفعل وهزازته في ميزان الله ، وكأنها واصلة الى الله! ثم ومن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يستطرد الى المؤمنين :

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (٥٨).

قد يكتسب المؤمن ذنبا بحق الله او الخلق فيؤذى حدا او تعزيرا كما حدد في شرعة الله ، او يعتدى عليه كما اعتدى ، وأما أذاهم بغير ما اكتسبوا في براءة متأكدة ، ام جريمة غير ثابتة فإنها احتمال لحملي اثنين.

١ . ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾ حيث الأذى من مؤمن الى مؤمن تنادي في ظاهر الحال انه اكتسب إثما به يؤذى ، فرية عملية وبهتة فعلية.

٢ . ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ في اصل الإيذاء شكيمة له وتحسسا منه ، قد يخلف ما لا تحمد عقباه ، وهكذا تكون الأذى قوليا بقالة السوء عنهم ، واشاعة التهم ضدهم ، ثم ويلاه الجمع بين قالة وفعله مؤذية ، وكما افتعلوها باهل بيت الرسالة القدسية ومن نحى نحوهم من الكتلة الایمانية (١).

(١) نور الثقلين ٤ : ٣٠٦ ح ٢٤١ عن الفضل بن عمر قال قال ابو عبد الله (عليه السلام) إذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الصدود لاوليائي فيقوم قوم ليس على .

قضية الايمان هي الرحمة الى اهله ، وقضية اللايان الشرس إيذاء إلهه ، وبينهما عوان لا رحمة ولا أدى هو من ضعفاء الايمان ، غير الملتزمين بقضايا الايمان ولزاماته.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٥٩).

كما تحرم أذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، كذلك يحرم التعرض للأذى بتهيئة أسبابها ، وذلك في بعدية بالنسبة للمؤمنات اشد وأنكى ، فعلى نساء المؤمنين إماء وحرائر^(١) ما دمن مؤمنات ان يدنين عليهن من جلابيبهن : الملابس الشاملة قرن ذيل ، فلا يرسلنها مبسوطة ترى زينهن من خلالها ، فهناك حجاب لرءوسهن هي الخمر : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ ستر للصدر والثدي الثغور ، وهنا حجاب لسائر أبدانهن هي الجلابيب : ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ وكما الباء في «بخمرهن» تلمح بتبعض الحجاب في رءوسهن فلا يشمل وجوههن ، كذلك «من» في «من جلابيبهن» والوجه هي اقل تقدير من الخارج عن فرض حجابهن ، ثم اليدان والرجلان وكما في متظافر الأحاديث.

. وجوههم لحم فيقال : هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم ثم يؤمر بهم الى جهنم و ٢٤٢ في الخصال عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : الناس رجلان مؤمن وجاهل فلا تؤذي المؤمن ولا تجهل على الجاهل فتكون مثله والقمي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : من بهت مؤمنا او مؤمنة أقيم في طينة خبال او يخرج مما قال.

(١) هنا روايات وردت في الدر المنثور ان هذا الفرض يخص الحرائر ، فهل ان الإماء المؤمنات لا باس في إيذائهن والتعرض للإيذاء؟ هذه خرافة طبقية قومية تجنب عنها ساحة الإسلام.

«ذلك» الإدناء دون إرسال ، ﴿أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ﴾ بالعفاف ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ فالمرأة المكشوفة ، المسترسلة المبتذلة تؤذى زعم انها من اهل التونس ، فلتظهر العفيفة بمظاهر العفاف كيلا تؤذى ، زعم الباطل بحقها.

إن أذى القالة فيهن ومن ثم متابعتهن الى الفعلة فيهن من قبل الفساق واضرابهم ، هي من مخلفات عدم حجابهن كما يجب ، إذ لا يعرفن بالعفاف حيث لا ظاهرة له ، فكما يفرض عليهن عفاف الباطن كيلا ينجذبن بجواذب من سراق الجنس ، كذلك عليهن آياته الظاهرة من حجاب وسائر الملامح كيلا يَحْتَلَّ فيهن عدم العفاف.

فإذا تحجبت بكاملها ولكنها تغنجت وأبرزت حركات وقولات تدل على سخافتها فقد عرفت بعدم العفاف ، فلم ينفعها الحجاب . إذا . إلّا هزء بكل حجاب ، وهي اشر ممن لا تحتجب وليست عليها ملامح عدم العفاف إلّا عدم الحجاب ، وخير منهما غير المحتجبة التي تلمح بعفافها قولة وفعلة وفي حركات وتصرفات ، ولكنما الواجب على المؤمنة الجمع بين العفافين منعا لإثارة الجنس واستثارته ، فمهما عرفت بالعفاف فلا يؤذيها الفساق ، ففي تبرجها او عدم الحجاب تأذي المؤمنين وتبذل المؤمنات!

وقد يبدو من ملامح آية الجلابيب . وكما تؤيده الروايات . انها اولى آيات الحجاب ، حيث تكتفي ب «ادنى» ان يعرفن فلا يؤذين «كحكمة اولى هي أقوى الحكم لفرض الحجاب ، ومن ثم آية النور ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا ... وَلِيُضْمِرْنَ بِحُجْرَتِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ... وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ...﴾ تفرض حجابا فوق الحجاب ، وبصورة مطلقة تحلق على «ان يعرفن» او لا يعرفن ، او ذين ام لا يؤذين ، حيث الحجاب الإسلامي على النساء تتبناه حكم عدة أولاهها وأولاهها ﴿أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٠).

تهديد شديد يعم المنافقين والذين في قلوبهم مرض ، منهم كأنحسهم ومن سواهم من المشركين ام ضعفاء الايمان المستغلين ، كذلك والمرجفون في المدينة أية رجفة ضد الطمأنينة الإسلامية.

لئن لم ينتهوا ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ : نخرضنك عليهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ فيها بعد ذلك التحريض «إلا قليلا» من الوقت ، او قليلا منهم هم اقل إرجافا وإرهاقا ، ومن ذلك التحريض الحكم الصارم :

﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَفْتِيلًا﴾ (٦١).

«ملعونين» في حساب الله إذ لعنهم الله و «ملعونين» بين المؤمنين بالله إذ عليهم طردتهم وعزلهم عن جو الايمان كيلا يكذروه ويقذروه.
﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾ و ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَفْتِيلًا﴾ فآخر الدواء الكي حين لا يكفي طردهم بأسهم.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٦٢).

سنة دائمة إلهية ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ مؤمنين وسواهم ، طردا وقتلا للمرجفين ضد الرسل والرسالات الإلهية ، وواجبا جماهيريا للكتلة المؤمنة أن يطهروا الأجواء حسب المستطاع من المرجفين ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.
وليست التقية في ظروفها تبديلا لهذه السنة السنية ، حيث التكليف مرفوع عندها ، وانما تطبق هذه السنة عند الاستطاعة حسب المستطاع.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٦٣).

سؤال عن وقت الساعة تعنتا لها ونكرانا ، كأنها حين لا جواب عنه فلا حقيقة لها ، والجواب الحاسم ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ولا جواب سواه إلا ترجي قريها ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ عل البداية هي خلق هذا الإنسان حيث السائلون هم من هذا النسل فلا يعرفون مدى قريها إلا بمعرفة البداية ، ام هي بداية خلق المكلفين قبل هذا الإنسان ، فقريها يطمئننا ان الأكثر أيا كان لقد مضى ، وعلى اية حال :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٦٥).

السعير نار شديدة الحرارة والزبانية ، وهي من مظاهر اللعنة الاخرية ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ اللعنة بمطلق الخلود الذي فيه خروج ، او الخلود المطلق الذي ليس فيه خروج ، والخلود . أيا كان . يخص الكافرين ، واما سواهم ممن يستحق العذاب ، فعذاب البرزخ ، ثم الشفاعة في القيامة ، ثم مس سقر دون خلود ، اللهم الا من هو كالكفار المعاندين ، كما ومن الكفار من لا يخلد او لا يعذب وهم القاصرون.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (٦٦).

﴿تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ﴾ عما كانت يوم الدنيا الى حقائقها النحسة الكالحة ، وتقلب حال بعد حال في سيئات الأحوال ، و «تقلب» من جهة على النار كاللحم يشوى ، والى سائر التقلبات السوء هناك حسب سوء التقلبات هنا جزاء وفاقا.

ثم «يا ليتنا» التحسر الدائب عذاب فوق العذاب ، كما :

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ (٦٧).

وهي مقالة الأتباع ، حيث الكافرين يعمهم والمتبوعين وللكل خلود ، مهما اختلف خلود عن خلود وهذه القيلة لهم حيلة كأنها لهم عاذرة عن كفرهم ، ام مخففة عن عذابهم ، واما مضاعفة العذاب لمضليلهم فهو لا محالة واقع :

﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (٦٨).

مهما لا يستجابون ككل ، فقد يضاعف لهم العذاب ، واخرى ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧ : ٣٨) مهما اختلف ضعف عن ضعف ، فضعف المضللين لضلالهم واضلالهم ، وضعف المضللين لضلالهم وتخاذلهم في اتباعهم!.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (٦٩).

هذه اذية خاصة فيها فرية وتهمة لمكان ﴿فَبَرَّاهُ اللَّهُ﴾ مهما كانت مطلق الأذية محرمة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . .﴾ ولكن اذية الفرية هي العن وأنكى.

ول ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٣٢ : ٣٨) فضلا عن الرسل ، فلا تبقى فرية على رسول إلا مبرئة بما وعد الله ، مهما طالت المدة ام قصرت ، ومهما مضت على الفرية ربح فالمهم هو الوجاهة عند الله ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾.

ومما آذوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هي قصة الإفك ، وقصة حليمة زيد ، وقد برأه الله في اذاعة قرآنية خالدة ، كما برء موسى مما نسبوا اليه من فاحشة ﴿فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١).

القول السديد هو شديد السداد حيث يسد عنه تخلفه عن العقيدة فانه نفاق ، ام تخلفه عن الواقع فهو كذب ، ام تخلفه عما يعنيه فهو لغو ، فليسد عن اقوال المؤمنين كافة الثغرات والنوافذ الى باطل ، وهذا من مخلفات تقوى الله ، إذ تشمل القول الى العمل الى الاعتقاد.

والقول السديد يصلح الأعمال ، وهو ذريعة لغفر الذنوب ، ثم القول السديد وصالح العمل هما طاعة الله الرسول ، وهي الفوز العظيم.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾.

آية الامانة هذه منقطعة النظير في عرض الامانة على الكون كله فإبائها عن حملها والإشفاق منها وان الإنسان حملها ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ فما هي تلك الامانة وما هو عرضها وحملها والاباء عن حملها؟

الامانة . بوجه عام . هي كل ما يؤمن عليه ويطمئن به مالا او حالا او عملا إقما ذا من واجب الأداء الى أهلها كما أوتمنت وحيث وأنى وكيفما ، ولا تصدق الامانة إلا فيما قبلت طوعا او كرها فأداء لها ام خيانة فيها ، واما التي لم تقبل حتى يؤمن عليها فتؤدي او تخان ، فلا تحمل اسم الامانة مهما وجب قبولها او لم يجب ، وكما وهي مستحيلة بالنسبة للأمر التي ليست لتنفصل عن المؤتمن حتى يأتى غير فيه.

ثم المقبولة طوعا كسائر الأمانات او كرها كامانة السماوات والأرض والجبال ومن ضمنها الإنسان ، هي بين محمولة دون رد وبين مؤداة ، فمن طبع الامانة أداؤها لا حملها إلا لأدائها ، فمن حملها فقد خاها : ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ (٣ : ٢٨٣) إن ﴿اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (٤ : ٥٨) كشرطة من شروط إسلام التكليف ، وباحرى ايمانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ (٨ : ٢٧) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (٢٣ : ٨).

وقد تختلف الأمانات وجاه متقبلها في عرضها ، فلا تعرض امانة العقل على من ليس يعقل ، ولا امانة الشعور على من ليس يشعر ، ولا اية امانة على ما ليس ليحملها ، وهنا «الامانة» معروضة على الكون كله فكائنة كامنة في الكون كله ، المعبر عنه هنا وفي سائر القرآن بـ ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وتخصيص الجبال من زمرة غير العقلاء يعني مثالا لأصلب كائن وأصلده ، كما تخصيص الإنسان من زمرة العقلاء يعني اعقل كائن ، فهذه الامانة من الرحمة الرحمانية بعد الخلق كالهداية العامة ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ومن الهدى لكل شيء هدي التسييح ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وتجمعهما الولاية وكما في رواية.

إذا فليست هي فقط . امانة العقل إذ تخص العقلاء ، ولا امانة الشعور إذ تخص الدواب ، ولا اية امانة تخص كائنا دون سواه ، فهي إذا امانة تعم كل كائن هي مخلوقة معه مفطورة فيه ، خلقت مع الخلق كله وعرضت على الخلق كله فانقسم في هذا العرض العريض الى من ﴿فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ فهي . إذا . الولاية ، شعور التسييح بحمد الله وواقعه.

ولأنها امانة فقد تحملها الكون كله كرها في تكوينه ، إذ لا تسمى امانة وجاه من لم يتقبلها ، ثم ولا موقف لها امانة إلا أداؤها او خيانتها : ﴿فَأَيُّنَ ... وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ بعد تحملها في كره التكوين فحمل الامانة هو خيانتها ، والإنسان هو رأس الزاوية في خيانة الامانة ثم الجن ثم سائر المكلفين ، فهو من هذه الناحية . ككل ومجموعة . في أسفل سافلين ، ومن حيث السابقين والمقربين واصحاب اليمين هو رأس الزاوية في أداء الامانة سليمة فهو في أعلى عليين ، حيث الرسالات الإلهية في الأصل ليست الا في

قبيل الإنسان. ولو ان حمل الامانة يعني . فقط . تحملها ، لم يكن للإباء عنها مجال لأي كائن ، حيث العرض الرباني لها بجمعية الصفات «انا عرضنا» ليس الا لصالح الكائنات ، فالتخلف عن قبولها تخلف عن ارادة الله ، ولو كان بالإمكان لكان من العصيان ، فقبولها طاعة ، فكيف يعلل ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ إذا ب ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ، ومن ثم «ليعذب ..» فهل ان مطاوعة الرب في تقبل الامانة المعروضة ظلم وجهل يستتبعان العذاب؟!

إذا فهي بعد ثان من تكوين كل شيء وكيونته ، لكل حسب مستواه ومستطاعه ووهبته دون زائد ولا ناقص ، فهي لمن يعقل تكليف العقل قدره ، ولمن يشعر تكليف الشعور قدره في حيوان ام نبات ام جماد : ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (١٧ : ٤٤).

ان امانة التكليف بصيغة اخرى هي «الولاية» ^(١) ولاية الله في تسبيح دائب كما لسائر الكون ، وسائر الولايات في درجاتها لكل كتلة كما تناسبها كولاية الرسل لسائر المكلفين وولاية الرسول والأئمة ^(٢) في خاتمة الرسالات

(١) نور الثقلين ٤ : ٣٠٩ ح ٢٥٨ في عيون اخبار الرضا باسناده الى الحسين بن خالد قال : سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ..﴾ فقال : امانة الولاية من ادعاها بغير حق كفر وفي معاني الاخبار ح ٢٦٠ مثله وفي ح ٢٦٧ بصائر الدرجات عن أبي جعفر (عليه السلام) في الآية قال الولاية أبين ان يحملنها كفرا وحملها الإنسان والإنسان الذي حملها ابو فلان أقول حملها كفرا هو خيانتها كما خانتها ابو فلان.

(٢) المصدر ح ٢٦١ في اصول الكافي عن إسحاق بن عمار عن رجل عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : هي ولاية امير المؤمنين (عليه السلام) أقول انه من .

للخلق أجمعين ، والتكليف صفة عامة في الولايات بدرجاتها ومن أهم الأمانات العملية الصلاة^(١).

اجل! انما بوجه يعم ويظم هي امانة التكليف طوعا او كرها حيث كلفها كل وسعه ، وتسبيح الله بحمده واقع لا ريب فيه في كل شيء ، اللهم الا الإنسان وأضرابه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾!

وعرض الأمانة هذه بذلك العرض العريض ليس ليعني عرض التخيير التردد ، بل هو عرضها على كل كائن بفرضها في ذات تكوينه ، عرض يعني عرض الحال للبعد الثاني في كل كائن ، حال واقعة لا مناص عنها في كينونته ، ف ﴿إِنَّا عَرَضْنَا..﴾ ليس إلا عرض واقع الحال للإنسان الظلوم الجهول ، انه المتخلف الوحيد في الكون كله بمن معه من أضرابه الجن آمن ذا ، وكما الأسماء عرضت على الملائكة لبيان حالهم وجاه العلم بها ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ (٢ : ٣١) وكما الصافنات الجياد عرضت على سليمان (٣٨ : ٣١) كما ﴿وَعَرِّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ (١٨ : ٤٨) كعرض الخير على اهله ، وبماثله في اصل العرض الشر لأهله : ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ (١٨ : ١٠٠) ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ (٤٦ : ٤٠) ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ (٤٠ : ٤٦).

. باب الجري والتطبيق على بعض المصاديق قبلها ولاية الرسول وقبلهما ولاية الله ، والاخيرة هي العامة للكون كله.

(١) المصدر ح ٢٦٥ في عوالي اللثالي في الحديث ان عليا (عليه السلام) إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل ويتلون فيقال له مالك يا امير المؤمنين (عليك السلام) فيقول : جاء وقت الصلاة وقت امانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها أقول صلاة كل شيء بحسبه فهي لهذه الثلاث التسبيح كما في آياته.

فكما الجنة والرحمة هما البعد الثاني لاهلهما لزاما لهما عطاء من ربك جزاء وفاقا ، وكما النار هي البعد الثاني لأهلها جزاء حسابا يوم الاخرى ، كذلك الامانة المعروضة على الكون كله هي البعد الثاني في الاولى ، المتبني حياة الاخرى الى سجين ام الى عليين!

«انا» في جمعية الصفات لا الذات وسبحانه «عرضنا» كذلك الأمر «الامانة» : مطلق التكليف لا التكليف المطلق الخاص بذوي العقول ، فسائر الكون مكلف بمعداته ان يعيش سائرا إلى ما خلق لأجله ، امام الخالق مسبحا وامام الخلق عدلا سائرا ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ دون رد وبأداء كما حملن ، فان حمل الامانة مطلقا دون أداء خيانة لها مطلقا ، وفي أداء غير سليم خيانة نسبية ، فأبين ان يخونها وكل يعمل كما حمل ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ خوفا خليطا بتعظيم ، خوفا من الله وتعظيما لجلال الله : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْعُدْوِ وَالْآصَالِ﴾ (١٣ : ١٥) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٢ : ١٨).

فهناك في الكون كله تسبيح وسجود لله والكل مسخر بأمره ﴿... وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧ : ٥٤) ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ (١٦ : ٧٩) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ...﴾ (٢٤ : ٤١). هؤلاء وهؤلاء من حيوان ونبات وجماد ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

أترى بعد ان في حمل الامانة تحملا لها ظلما وجهلا حتى يؤنب قبيل

الإنسان بذلك الحمل ، وفي تحملها وأدائها كما حمل عدل وعلم! فليكن حملها خيانة لها ناشئة عن ظلمه بها وجهله بمن حملها إياه ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (١٤ : ٣٤).

«فقد خاب من ليس من أهلها انها عرضت على السماوات المبنية والأرض المدحوة والجبال ذات الطول المنصوبة فلا أطول ولا اعرض ولا أعلى ولا أعظم منها ولو امتنع شيء بطول او عرض او قوة او عز لامتنع ولكن أشفقن من العقوبة وعقلن ما جهل من هو أضعف منهن وهو الإنسان انه كان ظلوما جهولا»^(١).

انه لا أظلم من الإنسان ولا أجهل وجاه الامانة العامة إلا القليل ممن وفي لرعاية الحق فيها فمؤديها كما حمل ، فهو في احسن تقويم إذا وعى ورعى ، وهو في أسفل سافلين إذا أودع وغوى ، فلا مثيل له في سائر الكون في حمل الامانة خيانة وأدائها صيانة. «انه كان» فيما كان أيا كان وأيان ، في كينونة الخلقة فان النفس لامارة بالسوء ، مهما خلقت له الفطرة والعقل ، ولكنه بالفعل في الاكثرية الساحقة تتغلب هواه عقله وطبعه فطرته.

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ فيما يؤتمن من امانة وما لا يؤتمن ، ظلوما بنفسه وغيره وأمانته ، ظلوما بحقه وكل حق وحقوق الآخرين ... «جهولا»

(١) نهج البلاغة للسيد الشريف الرضي عن الإمام أمير المؤمنين (ع) وأخرجه عنه (ع) في الكافي مثله.

بحق الله وامانة الله ورعاية الحق في خلق الله!

ومن مخلفات حمل الامانة في دركات الخيانة ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ ومن ذلك في عدم تحملها كما حمل قصورا او تقصيرا في أداء الامانة كما يجب : ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ ويبقى الرعيل الأعلى من المقربين ومن ثم اصحاب اليمين الذين أدوها كما حملوها في واجب التحمل والأداء ، هؤلاء لا عذاب لهم إذ لم يحملوها حيث أدوها سليمة ، ولا توبة إذ لم يقصروا فيها ولا هم قاصرون وجاهها.

فالتقسيم الثلاثي هنا راجع الى مقسم حملها خيانة كما في المنافقين والمشركين ، وتقصيرا او قصورا كما في المؤمنين ، دون من لم يحملها على اية حال كالمعصومين.

و «المشركين» هنا يعم الكافرين ، وثنيين وكتابين امن ذا ممن أشرك في توحيد الله او شرعته وامره ، او في طاعته ، فهو يشمل كافة دركات الإشراف بالله في مختلف دركات العذاب ، كما «المؤمنين» يعم كتلة الايمان بدرجاته ، الذين يعيشون حياة الايمان مهما تفلتت عنهم صغيرة او كبيرة حيث تكفر بتوبة او شفاعاة او رجاحة الحسنات او ترك الكبائر أما ذا من معدات التوبة من الله : ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

فيا للإنسان من ظلوم بحق الامانة ما أظلمه وجهول بما ما أجعله وهو اعقل من في

الوجود ، وقد منح ما لم يمنح غيره من معدات التكامل!

سورة سبا مكيّة

وآياتها أربع وخمسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْخَبِيرُ (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ
الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا
يَعُذِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ (٣) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ
سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ (٥) وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي
أُنْزِلَ

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمْرَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (٨) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا يَبْنَئُ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَفُهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنْ نَشَأُ نَخْسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾

آيات سبع من هذه السورة تختص بسببها ، طيا لدورهم الحائر الى كورهم البائر ، في حياة جهنمية كانوا يحسبونها جنة بجنّتهم ، ترمز هذه السبع لدركاتهم السبع ، وتختص بهم اسم السورة فإنهم هم فيها المسرح لنوازل البلاء بعد منازل الترح والخيلاء إذ بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار. جهنم يصلونها وبئس الفرار! موضوعات هذه السورة هي موضوعات العقيدة الرئيسية : الأصول

الثلاثة : المبدأ والمعاد وما بين المبدأ والمعاد ، طالما التركيز الأكثر فيها على المعاد ، تبجيلا بمن يعتقدونها فتوابا ، وتنجيلا بمن ينكرونها فتبابا ، يأخذهم يوم الدنيا قبل الآخرة : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَيِّئٍ فِي مَسْكَهُمْ آيَةٌ...﴾.

يبدأ فيها بالمبدء ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ ..﴾ ويختتم بالمعاد : ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ وفيما بينهما عرض لما بينهما من الوحي والنبوة وصنويهما ومصديقيهما وناكريهما وبمسائرهم ومصائرهم والله من وراء القصد.

وانها رابعة السور المفتحة بالحمد له ، إذ تسبقها الأنعام والكهف والفاحة وتلحقها الملائكة! طالما هي في الفاتحة معللة بخمس : «الله . رب العالمين . الرحمن . الرحيم . مالك يوم الدين» ثم هي في الانعام معللة . فقط . بالرحمة الرحمانية : ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وفي الكهف بالرحيمية ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ وكما في الملائكة رحمانية ورحيمية ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾! وهي هنا تجمع بين رحمة الدنيا والآخرة : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١).

«الحمد» كله ومن كل حامد «الله» لا سواه فانه «الذي له» : ملكا وملكاً ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهي صيغة أخرى عن الكون كله ، وطالما يحمد هنا غير الله مع الله شركا ، ام يلحد في حمده ف . ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ لا سواه ، فلا حامد هناك إلا له ، ف . ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هنا استحقاقا مهما تخلف عن الواقع ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ هناك واقعا دون تخلف حتى ممن كانوا يجحدونه في الدنيا او يشركون به سواه فيتمحض له الحمد في أخراه :

﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٤٠ : ١٦)؟ ثم ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه

تكويننا وتشريعنا «الخبير» بعباده علما ومن سعة علمه بحكمته :

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ

الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ (٢).

﴿... يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ

مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٥٧ : ٤)

فالوالج والخارج ، والنازل والعارج هي صيغة أخرى عن كل حركة هي لزام كل كائن ، محسوسة ملموسة ، ام مغموسة مطروسة فهو خبرة شاملة وعلم كامل بكل شيء ، ولا شيء مخلوقا إلا في حراك دائب ولوجا وخروجا ، ام نزولا وعروجا ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ معية القدرة النافذة ، والحيلة العلمية ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾ بعبادة على أية حال «الغفور» على أية حال ، اللهم إلا إذا كان الغفر ظلما ، فانه ارحم الراحمين في موضع العفو والرحمة وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة!

و «ما» هنا لا يعزب عنها عازب ولا يغرب عنها غارب ، من والج الماء والهواء والبذر والدفناء من حيوان وانسان ومن خارج النبات ام اي خارج ، كما نازل السماء يعم . فيما يعنيه . نازل الماء والملائكة بالوحي ومن كل امر ، والعارج إليها من أرواح واعمال وأبخرة أماهيه!

نقف هنا أمام هذه الصفحة المعروضة العريضة في كلمات قليلة غير طويلة ، فإذا نحن أمام حشد هائل وجمع طائل من أشياء بحركاتها وتحولاتها في كل مجالاتها باحجامها وصورها واشكالها ومعانيها ، لحد لا يصمد لها الخيال ولا يخطر في هيمنتها ببال!

ولو ان العالمين اجمع وقفوا وقفة واحدة لا لإحصاء ما يحصل في لحظة واحدة من بليارات اللحظات والحركات التي تطمها هذه الآية لرجعوا حاسرين.

أترى «الأرض» هنا أرضنا هذه؟ ثم «السما» هي المحيطة بها لا سواها ، والقائل هو خالق السماوات والأرضين!. إنه كل ارض وكل سماء ، فكل والنج وخارج ، وكل نازل وعارج ، من اي ارض فيها والى سماء ومن كل سماء فيها والى كل ارض او سماء ، تشملها هذه الآية دون تحديد.

فكم من حبة تختبي او تحبي في جنبات الأرضين ، ام اية دودة او حشرة ، ام هامة وزاحفة تلج فيهن ، وكم من ذرات غازات واشعاعات كهربائيات تندس في هذه البسيطة ورفاقها ، وكم وكم مما لا نعرفها ولن ... وعين الله يرعاها ساهرة معها! وكم تخرج منها من نبعة فوارة ، ام بركانة ثوارة ، او غازة متصاعدة اماميه ، لم يخلد بخلد؟!!

وكم من نازل من السماوات وعارج فيها من مجاهيل عندنا ، ومهما عرفنا طرفا منها نجعل أقدارها وأعمارها وأسرارها؟!!

فيا لآية قصيرة واحدة من إحاطة لحركات الكائنات في لمسة واحدة تتجلى فيها مملكة الوجود فوق مدّ البصائر والأبصار وحدّ العلوم والأفكار! أفبعد هذه القدرة الجامعة والحيطرة اللامعة يعني ربنا عن إعادتنا نحن الهز الى الصغار الصغار؟ :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا

أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾.

قالة من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالساعة ﴿لَا تَأْتِيْنَا السَّاعَةُ﴾ وحتى لو أنت غيرنا حيث السلب يخصهم فيما قالوا!.

والجواب بصورة ادعاء دون برهان وفي سيرة أقوى برهان «قل بلى» لتأتيكم الساعة كما أتى غيركم «وربي» فلامح التربية الإلهية الخاصة في دليل نبوتي ، وإتيان الساعة اصل من أصولها ، فـ «وربي» هنا كما في قالة المرسلين في يس ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ فلان النبوة المحمدية تفوق النبوات ، محلقة على كافة النبيين ، ففائقة التربية الإلهية فيه ناصعة ، فهو بنفسه دليل للمبدء والمعاد عبر الوحي بواقعه وظاهره.

﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ ومن هو ربي؟ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ والشهادة فكل شيء عنده شهادة ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ...﴾ ولا يغرب .. وقضية الحيطه العلمية هي العلم الشامل بكل ما يحصل من تقوى وطغوى أفبعد علمه وقدرته وحكمته سوف لا يجازي التقاة والطعاة ، وهو جهل ام عجز ام ظلم ، وما الله بظلام للعبيد!

ام لان الأجساد بأرواحها تضل في الأرض فلا يمكن جمعها فلا جمع ولا يوم جمع؟ ﴿وَقَالُوا إِذَا صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ... قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ...﴾ (٣٢ : ١١)! ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ...﴾ مهما عذب عن علمكم ، فلا عذب عن قدرته ولا عن علمه ولا عن حكمته ﴿لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾.

وليس فقط : لا يعزب عن علمه «كبيرة» بل ولا ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

ولان آية المثقال تحلّق على كل كائن أيا كان سوى ذاته تعالى وتقدس إذ ليس مثقالا ولا ذرة ولا هو في السماوات ولا في الأرض ، فليكن لكل كائن مثقال وهو وزن يقتضي حجما من مادة ومادي ، وهو الطاقة المنبثقة عن المادة ، فلا مجرد . إذا . سوى الله! ثم «ذرة» وأصغر منها واكبر ، ليست لتعني . فيما تعنيه . الخارج عن حدود المادة ، حيث المحور في مثلث «ذرة . أصغر منها . واكبر منها» هو المادة ، فلا كائن . إذا . سوى الله إلا في نطاق هذا المثلث دون إبقاء!

ومهما كانت الذرة معروفة قبل ربح من الزمن انها أصغر الأجسام المرئية ، فقد كشفت البشرية عن ذرات هي أصغر منها بكثير ، ومن ثم بعد تحطيم الذرة تعرفت الى أصغر من ذرة وهو جزئياتها الإلكترونية والبروتونية والنيوترونية والبوزيترونية أماهيه ، ولما يصل العلم . ولن . الى المادة الأم ، التي منها الذرات والجزئيات والعناصر كلها . ثم لا اجزاء لنفسها تتجزأ إلا تجزئة عن كونها الى فناء مطلق وانعدام مطبق^(١).

آية الذرة هذه لا نظيرة لها إلا ما في يونس ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦١) وعلمها أكد شمولاً لمكان «من» الضاربة الى اعماق الكائنات بذراتها وأصغر منها دون ان يفلت منها فالت ، كما ول . «ربك» موقعها من ذلك التأكيد الأكيد!.

و ﴿كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أهو القرآن : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾؟

(١) راجع تفسير الآية «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ» في الجزء (٢٦ : ٢٣٧) من الفرقان و «حوار بين الإلهيين والماديين».

(٥ : ١٥) ولكنه البعض من علم ربك الممكن تعليمه لعباده لا كله. ولكن ذلك العلم يختص بكل الكائنات ، لا وحتى الذات المقدسة ، فليكن ذلك دونها : ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦ : ٥٩) حيث الرطب واليابس كناية عن كائنات الممكنات ككل دونما استثناء! : ﴿... يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١١ : ٦).

فالكائنات كلها ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ كتاب العلم المطلق والقدرة المطلقة ، الصادر منه كل رطب ويابس! :

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ﴾ (٥).

ترى ولماذا ﴿بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾؟ «ليجزى ..» قضية العدل ، و ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ ..﴾ «ليجزى» قضية العلم! فالعدل . فقط . لا يكفي لضرورة الجزاء لولا العلم بالصالحين والطالحين ، والعلم . فقط . لا يكفي لولا العدل ، إذا ف . «ليجزى ..» هي حصيلة العلم المطلق والعدل المطبق على كل الكائنات ، فلو لا الجزاء فإما ظلم أم جهل ، أم هما معا فأسوء وأنكى!

ولئن شك الجاهلون المتجاهلون في ذلك الذكر الحكيم ونبيه الرسول الكريم ، فهنالك العالمون يصدقون ويوقنون :

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٦).

أترى ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم . فقط . علماء اهل الكتاب كما يقال؟

فغيرهم حين لا يرون ﴿الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ...﴾ ليس الا قصورا في العلم إذ لم يؤتوا ، فهم - إذا - لا حجة عليهم حين يكفرون ، كما لا حجة لهم حين يؤمنون ، فلا قيمة لایمانهم دون علم ولا سؤال عن كفرهم دون علم!

﴿أَوْتُوا الْعِلْمَ﴾ ليست إلا وسيلة للتفتح الى ذلك الكتاب الخالد المفتوح بمصارعه للاجيال طول الزمان وعرض المكان ، وللعلم درجات عدة يرى صاحبه ﴿الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ حسب درجاته ومحاولاته ، فقد يكون من علماء الكتاب عارفا بالبشارات المودوعة في كتابات الوحي بحق القرآن ونبيه ثم يحدد متجاهلا قاحلا!.

وقد يكون من جهال المشركين ، فلانه يحاول الحصول على الحق المرام يتحراه فيجد بغيته في ذلك الكتاب لأنه مسرح فصيح بليغ فسيح عن تجوال آيات الله البينات ، والله يشهد بكلامه لحقه!

ف . ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم بوجه عام كافة المكلفين غير القصرّ والمجانين ، مهما كان اهل الكتاب وعلمائهم ، وسائر اهل العلم أقوى حجة من غيرهم تدليلا على حق القرآن ، ولكنه لا يمانع اصل التكليف بحجة العلم ، واقله علم الفطرة . مهما كان أصله . ثم العقل ثم علم الكتاب تقليديا ثم باجتهاد وكذا سائر العلوم البشرية ، والجامع بينها كلها معرفة الله ، فالعارف ربه يعرف كلامه قدر ما عرفه.

فما من عاقل يفتح عينه الى هذه الآيات البينات ، ام أذنه وسمعه لسماعها ، متدبرا فيها ، إلا وسوف يحصل على علم : ﴿الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ فانه أفضل الآيات واخلد المعجزات ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ...﴾ مهما كان الأوفر علما هو اوفر ثقلا حيث الحجة عنده اكثر ، فنكرانه لحق القرآن أنكى وأنكر.

هنا لا بد من علم ما يعرف به الحق من الباطل ، ثم وإعماله كما يصح حتى يحصل على الحق المرام ، والعلم المبدئي حاصل لكافة المكلفين ، ثم عليهم حسب درجاتهم ان يدبروا القول ويتفكروا : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ فلا حجة . إذا . للأغفال الكفار ما دامت لهم عقول تعقل ، ثم لا حجة على القصر والمجانين .

فالذين أوتوا العلم من اهل الكتاب عندهم علم الوحي الكتابي بحق هذا القرآن اضافة الى سائر العلم فطريا وعقليا ... (١)

والذين أوتوا العلم من سواهم ، بدراسات علمية لمختلف معلومات الكون ، عندهم علم دون الوحي بحق هذا القرآن والذين أوتوا العلمين ، عندهم علم مضاعف ، حيث العلم أيا كان هو مفتاح للتفتح على حظيرة العلم وخزائنه وإنما يعرف اهل الفضل ذوقه . والذين حرمو العلمين عندهم علم العقل على ضوء الفطرة ، فعندهم وحي الفطرة ومن ثم العقل ، بما يعقلون حق القرآن ، فأين . إذا . اختصاص الحجة بعلماء اهل الكتاب ام اي العلماء؟

ثم ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ هنا يحصر الحق في القرآن كأنه لا حق سواه ، أفلا تكون كتابات الوحي بين يديه حقا يسندون إليها أهلها بحق القرآن؟
أجل! ولكن الحق درجات من أدناها الى أعلاها ، فالقرآن أعلاها ، كما ولثباته درجات والقرآن اثبتها خلودا وأعلاها! ومن ثم هو بين تحرف من المحرفين ، وسليم عن ايدي الدس والتحريف والقرآن سليم في أعلاها .

(١) راجع كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» تجد فيه زهاء ستين بشارة بحق القرآن ورسوله .

إذا فذلك الحق الأخير هو الأعلى في مثلث الكمال والخلود وسلامة الأصل ، طالما الكتب السماوية الأخرى جامعة لسلبية جمعا بين النسخ والتحريف ، وانها دون الكمال القمة! إذا ف . ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ لا سواه كما ﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ : كتاب عزيز حميد : لا يغلب في معتركات الصدامات ، ولا يذم في مذايم بمختلف الجهات ، ثم وهو يهدي الى صراط الله ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾!

هؤلاء هم الذين أوتوا العلم حين يستعملونه في الحصول على الحق ، ولكن الذين كفروا :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مُّزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (٧) أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ (٨).

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا هم المشركون ، دون الكفار من اهل الكتاب ، إذ ينكرون هنا المعاد وهو اصل من الأصول الكتابية ، فهم أولاء الأغفال يقولون مستهزين ، لإخوانهم ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مُّزِقٍ﴾ تمزقا لأرواحكم عن أجسادكم ، وتمزقا لأجسادكم الى رفاتكم ، وتمزقا لرفاتكم ام أجسادكم الى مختلف المكان من أبدان ام أيا كان. «ينبئكم» ... ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بعد مثلث من ذلك التمزق البعيد البعيد؟ وهذا باطل ليس صاحبه إلا أن : ﴿أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ حين ينقله عن الله ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ حين يقوله ، فانه على أية حال محال لا ينسب الى الله ، ولا الى العقل ، خارج عن وحي الأرض والسما ، مارج من فرية وجنون!

ولكنه لا! لا هنالك فرية ولا جنون ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ تغاضيا عن براهينها الظاهرة ، انهم عاثشون ﴿فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾

يوم الدنيا قبل يوم الدين ، ف . «العذاب» هو عذاب التغافل عن احكام الفطرة والعقل ،
 تغاضيا عن ظاهر ادراكاتهم وباطن معرفياتهم ، وذلك هو ﴿الضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ حيث الضلال
 القريب هو المرجو زواله إذ ليس عن عناد ماكن ، واما الذين ﴿جَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا
 أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ فضلا لهم بعيد وحتى يموتوا ضلّالا ، ومن ثم العذاب القريب!
 ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشَأَ خَسَفَ بِهِمُ
 الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (٩).

أترى ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ هو أفق السماء والأرض؟
 وصحيح التعبير عنه «ما تحت أرجلهم من الأرض وما فوقهم من السماء»!
 ام «ما بين أيديهم وما خلفهم» من كل من السماء والأرض أماما وخلفا؟ وتبقى
 الجهتان الأخريان يمينا وشمالا ، حيث الأربع هي الأفق المشهود من السماء والأرض!
 ام لا هذا ولا ذاك ، وانما هي تلميحة لطيفة عميقة الجذور ، بطيئة الظهور لكروية
 الأرض ودورية السماء ، ف . ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من الأرض هو الأفق المشهود الدائري لكل
 شاهد في أكناف الأرض ، ثم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ هو الأفق والآفاق غير المشهودة ، فليس
 «خلفهم» إلا خلف الأرض ، وراء الأفق الظاهر ، إذا فليست الأرض مسطحة ، بل هي
 مدورة مكورة لها من كل جانب منها ظهر وجاه خلف.

ثم و ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من السماء هو الأفق الظاهر منها لكل ناظر إليها في آفاق
 الأرض ، ف . ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ هو الأفق غير الظاهر فليكن

خلف الأرض . أيا كان . أرض وسماء ، أرض تحيط بها السماء من كافة مناكبها ، فهي . إذا .
في السماء معلقة كسائر نجومها ومصاييحها!

وترى كيف استفهام الإنكار التنديد بمن كانوا يعيشون الزمن الذي كانت كروية
الأرض فيه كفرا وخلافا للاحساس والعلم ^(١)؟! ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا ..﴾ أجل لم يروا ، وأنى لهم أن
يروا ، والعلم قاصر ، والجهل قاهر ، والوحي عنهم به منقطع؟! .

عله لان وحي الكتاب كان يشير الى هذه الملحمة العلمية ، ومهما كانوا هم مشركين
ولكنما الاختلاط بالكتابين يجعلهم يعرفون أمثال هذه الملاحم التي تهمهم علميا مهما لا
تهمهم عقائديا ، ثم وهذه تحريضة علمية

(١) في زوايا التاريخ ليست الأرض كروية فقد كان أول تصور للإنسان في شكل الأرض انما بساط عظيم هائل لا
نهاية لعمقه يعتمد عليها قبو السماء كالسقف المرفوع ، ولما تقدم في الملاحة وقطع البحار الواسعة أخذ يتصور ان
الأرض ساجحة في اوقيانوس من الماء لا نهاية له وكان ذلك خطوة لتصور ان الأرض محوطة بدائرة وترتكز على
جذور طويلة مثل الشجرة ، وساد كذلك اعتقاد قديم بان الأرض بساط مستدير يقوم على اثني عشر عمودا ،
ولكن على اي شيء تقوم هذه العمدة؟ فيجيب قساوسة في اوربا في القرون الوسطى بأنها تقوم على الضحايا
البريئة من اهل الفضيلة والتقوى الذين لولا وجودهم هنالك لدكت الأرض وذهبت هباء في الفضاء ، وقد كان
(اناكسيماندر) الاغريقي في القرن السادس قبل الميلاد يرى ان الأرض كالاسطوانة وان قطرها يساوي ثلاثة أميال
ارتفاعها ، وانها ساجحة في مركز القبو السماوي وانه لم يسكن منها إلا وجهها الأعلى ، وتوجد اوربا في النصف
الشمالي وليبيا او افريقيا وآسيا الجنوبي ، ثم جاء من بعده بقليل الفيلسوف أفلاطون وقال : ان الأرض مكعبة ،
لأنه كان يعتقد ان المكعب أكمل الاشكال الهندسية فيجب ان يكون موطننا لافضل الكائنات وهو الإنسان ،
وانه قبل ان يقول علماء الغرب بكروية الأرض سبقهم الى ذلك من عهد بعيد علماء الشرق حيث تخيلوا ان
الأرض كروية وتنتهي شمالا وجنوبا ببحال عظيمة الارتفاع ، ومنذ ١٥٠٠ سادت في الغرب نظرية تقول : ان
الأرض بيضاوية وانها ساجحة في الأثير .

للأجيال ان يروا رؤية عينية او علمية ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾
فمثلها كمثله قوله تعالى :

﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠ : ١٠١).

ثم وكان لهم قبل وحيه او اكتشافه علميا ان يروه تاملا وتعملا للضرورة الملموسة لهم
أن الأرض ليست مسطحة دون خلف كظهرها ، لاختلاف الافاق ليلا ونهارا!
وهناك آيات اخرى تؤشر الى دوران الأرض وكرويتها ناتي على تفسيراتها بطياتها ،
وآيتنا هذه ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا...﴾ هي الوحيدة بين رفاقها تدليلا كالصريح على كروية الأرض وقد
تزاملتها آية التكوير^(١).

وقال الادريسي وهو احد الجغرافيين من العرب في القرن الحادي عشر للميلاد : ان
نصف هذه الأرض البيضاوية مغمور في الماء وذلك ليحل مشكلة النصف المجهول ، وكان
بطلميوس في القرن الثاني للميلاد وهو من أشهر الفلكيين يرى ان الأرض مثل كرة مفرطحة
من جانبيها كحبة القوطة ، وجاء (ايبانوس) في ١٥٢٠ فقال : انها تشبه القلب ، وصادفت
نظريته ميلا في قلوب قساوسة الدين في اوروبا فأيدوه قائلين انها قلب الله ، وان هذه الكرة
القلبية تشبه ارض المكتشف العظيم (كولمبوس) حيث تصوروا مثل الكمثرى ، فالنصف
الكروي هو الشرقي والنصف المستطيل هو الغربي ، والتمدد الذي أوجده فيه هو (العلم
الجديد) الذي اكتشفه ، واما (دانت) فقد تصوروا قبل ذلك بقرن في مثل هذا الشكل
جاعلا هذا التمدد لحجمه الذي صورته فكانت جبال المطهر تحت خط

(١) وهي «يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ...» راجع (٣٩ : ٥).

الاستواء بثلاثين درجة ، بينما جعل (أورشليم) او (ريون) في الجهة المقابلة ليحفظ التوازن.

وظهر في ١٨١٩ في (سنت لويز) بالولايات المتحدة القبطان (جون كليفر سيمس) بنظرية عجيبة تعرف باسمه او بنظرية الكرات المتداخلة وهي أن الأرض او اي كوكب يتكون من عدة من الكرات المتلاصقة والمشاركة في مركز واحد وبين كل كرة والتي تليها فاصل مملوء بالهواء ، وعند القطبين فتحة كبيرة في جميع هذه الكرات ، ويرى ان الأرض تتركب من خمس طبقات او كرات متداخلة وان فيها فتحتين كبيرتين عند القطبين يبلغ قطر الشمالية اربعة آلاف ميل وقطر الجنوبية ستة آلاف ميل وان سطحي كل كرة او طبقة مسكونان فتوجد سكان في الأرض على السطوح المحدوبة والسطوح المقعرة ، وطلب الى المجلس النيابي بالولايات المتحدة ان يجهزه بسفينتين ليسافر إلى احد القطبين ويدخل من الفتحة الموجودة هنالك ليدخل الى سكان السطح المقعر الذي نعيش فوقه ، وطبع المارشال (جاردنر) في ١٩١٣ م كتابا في الولايات المتحدة عنوانه : سياحة الى داخل الأرض . ذهب فيه الى ان الأرض مجوفة ويبلغ سمك طبقتها التي نعيش عليها ثمانمائة ميل وانها مفتوحة عند القطبين ويوجد في داخلها شمس ويبلغ قطر كل فتحة قطبية ألفا واربعمئة ميل.

وقال (مورية) في كتابه (علم الفلك اليوم) إن الأرض على شكل هرم ، وهو يرى ان نظريته تبين اختلاف أنصاف أقطارها وتحل كثيرا من النقاط المعضلة في هذا الصدد التي لا يمكن ان تفسرها اية نظرية اخرى ، وهذه النظرية التي نشرها (تيوفيل موريه) العالم الطبيعي الفرنسي إن هي إلا شرح وتأيد لنظرية (لوثيان جرين) العالم الانكليزي التي كانت مشارا لجدال كبير في سنة ١٨٧٥ وهو يذهب الى ان الأرض هرمية الشكل ، وان

البحار تشغل بطونا في سطوحه الاربعة بينما اركان هذا الهرم عبارة عن القارات الخمس ، وقد بعث (موريه) هذه النظرية الهرمية للوجود بعد رفضها في ذاك العهد ليحللها العلماء من جديد في نور ما استكشف من العلم الحديث ، والجدال قائم الآن في كل مكان على قدم وساق .. (تفسير الجواهر ١٦ : ١٣٧ - ١٤٠).

وبعد ان يروا ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ، لهم بطبيعة الحال ان تأخذهم روعة من خسف الأرض ام سقوط السماء ، حيث الأرض المعلقة في جو السماء غير مأمونة من أية حادثة هائلة ، خسفا في نفسها ، ام سقوطا لها في اعماق السماء ، ام سقوط السماء كسفا عليها لولا المسكة الإلهية الرحيمة و ﴿... إِنَّ نَشْأَ نَحْسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ في نفسها ام عن مكانها ﴿أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾!

ولقد سبق على مدار الزمن هذه التجربة المرة ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا...﴾ (٢٩ : ٤٠) ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٦ : ٤٥) ﴿أَأَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (٦٧ : ١٦)؟! سبحان الخلاق العظيم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَآلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنْ اغْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا

صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَلَسْلَيْمَانَ الرِّيحُ غَدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمَنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَرْغَبْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَمَتَائِلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَهَمَهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

مسرح من مسارح النبيين الملكين داود وسليمان (عليهما السلام) بما آتاها من فضل يحرق العادة الجارية في الكون هنا لداود ﴿مِنَّا فَضْلًا﴾ تخصه بفضل له خاص ، فالفضل كله منه وبكفيه : ﴿آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ ولكن «منا» تصطفي له خاص الفضل ، وعله هنا النبوة والملك وتأويب الجبال والطير معه وتليين الحديد ، ويا له من فضل جامع عقيم النظير اللهم الا للأخصين من السابقين وهم اهل بيت الرسالة المحمدية ، ثم

الاربعة الآخرون من اولى العزم الذين دارت عليهم الرحى ، وقد تشهد لمثلث الفضل هذا :
﴿وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ .. وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ...﴾ (٢١ : ٨٠).

فقد بلغ فضل الله لداود مبلغا من التجرد والشفافية في تسايحه أن انزاحت الحجب بينه وبين الجبال والطير وحدة الحديد ، فداود الأبواب تجاوبه في أوبته الجبال والطير ، ويلان له الحديد ، وهكذا الله يعبد الطريق للأوابين!

هنا «معه» في ﴿أَوْبِي مَعَهُ﴾ لحظة لامعة انما تؤوب في عالمها ولا تسمع أحدا من العالمين ، ثم «معه» تجعله يسمع أوبة الجبال والطير.

والأوبة ضرب من الرجوع. وهنا المقصود صوت الأوبة وصيغتها ، إضافة الى حقيقتها ، فواقع الأوبة لا محالة حاصل للكائنات كلها : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (١٧ : ٤٤) ولكن داود المفضل على من سواه فقه تسبيحهم مع تسبيحه وعلى ضوئه كما تشير «معه» وكما في آخر له ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ .. وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٨ : ١٩) فهي معية المصاحبة المتابعة ، وقد تعم علمه بتسبيحهم واصلته فيه حيث كان يؤم في محراب الأوبة ومصرحها جماعة الطيور والجبال في ترنيمة المرجع الرائع كما يؤم سائر المؤمنين في زمنه!

الآتب هو الراجع وقد ينكث ، ولكنما الأواب من التأويب الترجيع كثرة في عدّة الرجوع وعدّته ، حيث يعيش الاوبة الرجعة الى الله دون نكثة ولا نكسة.

ومن التأويب الترجيع الصوت في التأويب وفيه تليين القلب وترجيعة ، فان للصوت الرائع الجميل موقعا فائقا في القارئ والمستمع ،

وكما عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): تغنوا بالقرآن فانه من لم يتغن بالقرآن فليس منا!»!

فلان كلام الله جميل فليكن بصوت جميل كما صيته جميل ولفظه جميل ومعناه جميل ، والله تعالى جميل يحب الجمال!

تذكر الروايات ان داود (عليه السلام) أوتي صوتا جميلا خارقة العادة في الجمال ، كان يرتل به مزاميره وهي تسايح دينية رائعة من زبوره في العهد العتيق» .

فحينما كان ينطلق صوته في ترتيل المزامير تمجيدا لربه ، كانت ترجع معه الجبال والطير ، مرددة تلك الترانيم السارية السارة ^(١) لحظات فائقة التصور لا يتذوقها إلا كل أبواب حفيظ : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٢١ : ٧٩) ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ. وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَهُ أَوَابٌ﴾ (٣٨ : ١٩)

ثم و ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ خطاب تكوين وتسخير يضرب الى عمق الكائن دون مكنة التخلف كما في اصل التسبيح ، وكما في : ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢١ : ٦٩) واضرابها من خطاب التسخير التكوين.

أترى ذلك الجبال ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ فما بال الطير وموقعه في تعريفها ونصبها ، فعطفها الى «جبال» يقتضي «وطير» كما «جبال» قضية ضرورة الوفاق في العطف بين الرفاق أدبيا كما هو معنويا؟

(١) في كمال الدين باسناده الى هشام بن سالم عن الصادق (عليه السلام) في حديث يذكر فيه قصة داود (عليه السلام) قال : إنه خرج يقرأ الزبور وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر إلا أجابه.

قد تكون «والطير» عطفًا بحساب المعنى من محل المعطوف عليه ، فـ «أوي» تعني «وسخرناها» كما في آيتي التسخير ، فـ «والطير» تعني ذلك التسخير ، فقد يفسر نصب الطير امر الجبال انه تسخير وليس امر التشريع! كما و «يسجن» هناك تفسر هنا «أوي» أنه التسبيح الترجيع!

هذا مسرح من مسارح تليين الجبال والطير في مصارع التسبيح ، ثم الى تليين الحديد : ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾؟ أترأه . فقط . تليينا لحده وصلابته بعد الحصول عليه من معدنه؟ وهذا أصعب منه واحدًا! ام وتليين معدنه ومصدره ، والمقام مقام الفضل الرباني لعبد رباني وأفضله ذلك الجمع الرائع المكين من التليين! ولأن إلانة الحديد لا تحملها في القرآن كله إلا هذه اليتيمة المنقطعة النظير فلننظر فيها نظرة الناقد البصير .

يروى عن امير المؤمنين علي (عليه السلام) انه قال : اوحى الله الى داود انك نعم العبد لولا انك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك قال : فبكى داود (عليه السلام) أربعين صباحا فأوحى الله عز وجل الى الحديد ان لن لعبدي داود (عليه السلام) ..^(١) . «ألنا له» كما «يسجن معه . اوي معه» تختص إلانة الحديد بدادو!

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٤٤ عن الكافي باسناده عن احمد بن أبي عبد الله عن شريف ابن سابق عن الفضل بن أبي قرعة عن أبي عبد الله (عليه السلام) ان امير المؤمنين صلوات الله عليه قال : ... فألن الله عز وجل له الحديد فكان يعمل كل يوم درعا فيبيعهها بألف درهم فعمل ثلاثمائة وستين درعا فباعها بثلاثمائة وستين ألفا واستغنى عن بيت المال .

ألقوة خارقة أوتيها من فضل الله؟ وتعبيره الصحيح الفصيح «قومناه»! ام إلانة لما يحتاجه من حديد لصناعة لبوس؟ وهذا هو ظاهر الإلانة ، وقد تضمن إلانة العلم كما تعني إلانة الحدة : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ (٢١ : ٨٠) فلو لا ذلك التعليم لم تكن كثير فائدة في هذا التليين ، فانما هو كذريعة لصناعة لبوس ، لا . فقط . نفس التليين . وهنا أيضا ﴿أَنْ اَعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ تفسير لمدى ذلك التليين ، فلا تعني إلانة الحديد . فقط . عمل السابغات ، إلا أن تعني إلانة ذلك العمل بعد إلانة الحديد! إذا فهناك مثلث من تليين الحديد ، صدورا من معدنه ، وتليينه عمليا ومن ثم تليينه لصناعة لبوس عليهما! فلم يكن التليين . إذا . بالتسخين ، فانه لكل من يسخنه وهو هنا «له» باختصاص ، بل هو خارقة للعادة تليينا بلا تسخين ولا أية وسيلة مألوفة اخرى ، فجو السياق وظلاله بكل تلميح وتصريح يعني هنا خارقة للعادة! من :

﴿وَأَلَّنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ ولا كمجرد آية خارقة تدل على وحى الرسالة ، بل و : ﴿أَنْ اَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١).

السابغات هي الدروع الواسعات ، والسرد هو نسجها ، وتقديره لها هو ان يعمل كلا على قدره السائغ للسابغ وقد يروى انها كانت تعمل قبل داود صفائح الدرع صفيحة واحدة فكانت تصلب الجسم وتثقله فاهم الله داود ان يصنعها رقائق متداخلة متموجة لينة يسهل تشكيلها وتحريكها بحركة الجسم وامر بتضييق تداخل هذه الرقائق لتكون محكمة لا تنفذ منها الريح ، وهو التقدير في السرد! هذا ولتكون السابغات سائغات

لائقات ، ومن ثم ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ في عمل الدروع واستعمالها في سبيل الله واي عمل من اي عامل في فسيح الكون ، ك . ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من صنع ومن استعمال لمصنوع «خير»!

وعَلَّ في «اعمل» بديل «اصنع» تلميح لما تلمحنه انه ثالث ثلاثة من أضلاع ﴿وَأَلَّنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ وكما في أخرى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٢١ : ٨٠) إذا ف . ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ شكرا لما أنعمت ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾!.

فاللبوس مبالغة من اللباس ، حيث السابغة الدرع تبالغ في الإحصان عن بأس الحرب ، فقد كان ذلك خارقة إلهية تتخطى عائدة اثبات الرسالة وتحصيل المال للرسول ، الى ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾ عائدة ثالثة لصالحكم ، حيث الحروب آنذاك كانت تتطلب صنعة سريعة لللبوس السابغة.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٢).

«و» فضلا «لسليمان» كما فضلا لداود ، كلاً حسبه وبحسابه ، وفقا في سيرة الخارقة مهما اختلفت الصورة ، فقد آتينا ﴿لسلیمان الرِّيح﴾ كما ﴿آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا...﴾ فضلا كفضل!.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ﴾ لا كما هي لسواه كعادة جارية المفعول في فاعلياتها ، وانما تسخيرا له يتخطى العادة : ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٣٨ : ٣٦)!

فلقد كانت له الريح . بما سخرها الله . مركبة فضائية ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ

وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ . **﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءٌ﴾** كل يوم مسيرة شهرين **﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾** من هذه المعمورة ام سواها بأجواءها!.

وترى انها ربح كسائر الرياح ، ام هي سائر الرياح دون اختصاص ، كلاً! فالنص «الريح» دون «الرياح» فلتكن خاصة معروفة لديه ، مجهولة لدى غيره ، ام وإذا كانت معلومة لغيره فغير مسخرة إلا له ، وانها كانت ريحا عاصفة وكما في آية الثالثة : **﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾** (٢١ : ٨١).
ثم «غدوها» هو الغداة لحد الزوال ام هو ادنى ، والروح هو الوقت الذي يراح فيه الإنسان من نصف النهار الى الغروب او هو ادنى ، فلم يك سليمان يغدو ويروح في يوم واحد دون مكثه في **﴿الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾** فليكن الغدو ردحا مما بين طلوع الشمس وزوالها ، وكذلك الرواح ردحا بين زوالها وغروبها ، مهما كانت السفرة في يوم واحد ، ام بمكثه يوم أو أيام ^(١).

مركبة فضائية ما اغداها واروحها ، واريحها في غدوها ورواحها ، حيث **﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءٌ حَيْثُ أَصَابَ﴾** الى **﴿الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ﴾** ام سواها ، مهما كانت هي الأصل في سفراته ، ولذلك خصت بالذكر في آية الأنبياء.

وقد تكاثرت الروايات حول تسخير الريح لسليمان ، تبدو ظلال الاسرائيليات المختلفات والمختلفات فيها واضحة ، فالتغاضي عنها الى بينات الآيات أخرى ، وترك الخوض فيها احجى! فانما هي ربح عاصفة مسخرة لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر .!...

(١) في تفسير القمي في آية الريح قال : كانت الريح تحمل كرسي سليمان فتسير به في الغداة سيره شهر وبالعشي مسيرة شهر.

﴿... وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ لا نجد القطر إلا هنا عينا سائلة وفي الكهف مفرغا بحامية النار على زبر الحديد بين الصدفين (١٨ : ٩٦) وهو الرصاص ، و ﴿عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ في أصلها غير سائلة ولا تسمى عينا إلا معدنا ، فبإسالتها بخارقة إلهية خرجت عن أصلاتها الجامدة الى عين سائلة يستثمرها سليمان كما يشاء في محاويجه ومحاويج شعبه دون سغب ولا تعب ، وكما ألان الله الحديد لأبيه داود (عليه السلام)!

﴿... وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أهم . فقط . شياطين الجن : ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ (٢١ : ٨٢)؟ ﴿وَمِنَ الْجِنَّ﴾ «دون» الشياطين ، تعميم دون اختصاص! ثم ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (٢٧ : ١٨) قد تحيل الاختصاص ، حيث الجن المؤمنون أخرى ان يكونوا من جنوده ، وتجنيد الشياطين ليس الا تذليلا لهم وقضاء على شيطنتهم لردح الخدمة ، و ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنَّ أَنَا آتِيَكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ﴾ (٢٧ : ٣٩) هي كالنص انه كان من مؤمني الجن واتقاهم فأقواهم على هذه الخارقة الإلهية!.

إذا ف . «من الجن» يعم قبيلي المؤمنين منهم والشياطين ، وكما جنوده الإنس دون اختصاص.

و ﴿يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تعني في سلطته وعلى رعايته ، لا في حضرته فحسب ، إذ كان شياطين الجن يغوصون له وهو بعيد عن حضرته مهما كان في سلطته.

﴿... يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ تسخيرا لهم لأمره ، حيث الجن لا يسخرون دون ذلك ، إلا سخرية لمن يسخرهم دون ذلك! ومن خلفيات ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ :

﴿... وَمَنْ يَنْزِعْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ وليس «أمرنا» إلا عملاً لسليمان بين يديه بإذن ربه ، فقد كان الاذن . إذا . اذن الأمر ، لا . فقط . اذن السماح ، حيث السماح لخدمة سليمان النبي حاصل بطبيعة الحال لكل بالغ مبلغ التكليف!

وترى ان ﴿عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ هنا خاص بالأخرى؟ وهو كذلك فانها هي دار الجزاء دون الاولى! ولم يأت السعير في القرآن فيما أنت (١٨) مرة إلا للأخرى! فلا يختص . إذا . بالأولى ، وقد يعمها على هامشها دون تحتم فإن الآخرة هي دار الجزاء دون الاولى ، اللهم إلا لمن تخطى حد الطغوى ، وقد تلمح «نذقه» دون «ندخله» لشموله عذاب الاولى ، فكل عذاب في الدنيا او البرزخ يعبر عنه بذوق العذاب وليس هو العذاب! وقد يدل عليه ﴿وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٣٨ : ٣٨).

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (١٣).

أعمال اربعة هنا تذكر كنماذج هامة مما يشاءه سليمان من الجن ، ف «محارِب» جمع محراب من أماكن العبادة الخاصة بالمعروف المتداول عندنا ، و «تماثيل» هي الصور المجسمة من شجر وسواها ، وعموم اللفظ يشمل تماثيل ذوات الأرواح أيا كانوا ، وكما النباتات وسواها ، ولكننا المتعود طول التاريخ منها هي ذوات الأرواح ^(١) ولان سليمان النبي كان

(١) وسائل الشيعة ١٢ : ٢١٩ في الصحيح عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل : يعملون له ما يشاء من محارِب وتماثيل .. فقال : والله ما هي تماثيل الرجال والنساء ولكنها تماثيل الشجر وشبهه والصحيح عن محمد بن مسلم قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن تماثيل الشجر والشمس والقمر فقال : لا بأس ما لم يكن .

يشاءها من الجن فهو إذا من المسموحات لا الممنوعات ، وما دام لم يرد نص في القرآن لنسخه ليس الحديث لينسخه حيث القرآن لا ينسخ إلا بالقرآن لا سواه ، إذا فعمل الصور المجسمة لا محظور فيه ، بل وعله محبور حيث يشاء سليمان.

اجل ان التماثيل المعبودة ، المعمولة لعكوف العبادة ، هي محرمة بنص القرآن وضرورة الأديان : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (٢١ : ٥٢).

وعلى غرارها التماثيل التي تصنع لأجل تخليد أصحابها بعد موتهم احتراماً زائدا عما يرام ، فانها مكروهة على أشرف الحرم ، ولكن التماثيل ككل تماثل ليست محرمة ، ولأن أصل الحرم في اتخاذها ليس إلا شائبة

. شيئا من الحيوان وعن الصادق عن آبائه (عليه السلام) في حديث المناهي قال : نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن التصاوير وقال : من صور صورة كلفه الله تعالى يوم القيامة ان ينفخ فيها وليس بنافخ .. ونهى ان ينقش شيء من الحيوان على الخاتم وعنه (عليه السلام) ثلاثة يعذبون يوم القيامة من صور صورة من الحيوان يعذب حتى ينفخ فيها وليس بنافخ .. ورواه ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مثله الا «من الحيوان» وعن موسى بن جعفر (عليه السلام) عن التماثيل هل يصلح ان يلعب بها قال : لا وفي تحف العقول وصنعة صنوف لتصاوير ما لم يكن فيه مثال الروحاني فحلال تعلمه وتعليمه ...» هذه ولكن التماثل لغويا هو الصورة المصورة او ما تصنعه وتصوره مشبها بخلق الله من ذوات الروح والصورة ، ولو كان المعنى من «تماثيل» في الآية غير ذوات الأرواح لكان حق التعبير الصحيح والفصيح «نقوش» ولم يكن من المتعود ان يعمل الصور المجسمة من غير ذوات الأرواح إلا حديثا ، فالآية ظاهرة كالنص في جواز عمل التماثيل لذوي الأرواح ، وليس الحديث لينسخ القرآن أيا كان ، فالأحرى ما فصلناه في المتن من تفصيل لراجع منه ومرجوح ومحرم والله اعلم.

العبادة ام آتبتها ، فحكمها واحد عبر الشرائع دوفا تناسخ فانه لزام التوحيد ، وسليمان كان من أكمل الموحدين فكيف يبغى محرما او مكروها في حظيرة التوحيد وبحضرة ربه الكريم المجيد!

فحين تتخذ تماثيل من الطغاة عن حالتهم البئيسة التي قضت عليهم إنذارا للأخلاف ، ام تتخذ تماثيل من التقاة عن حالتهم العزيزة تبشيرا لهم ، فما هي . إذا . إلا تماثيل التبشير والإنذار ، دون عكوف لها كاصنام.

ام حين تتخذ تماثيل للعبة الأطفال ، بلا عكوف ولا تبشير او إنذار ، فما هي محرمة محظورة ، مهما لم تكن محبورة.

وهنا أحاديث تروى بحق تحريم عمل الصور المجسمة والتماثيل ذوات الأرواح خاصة نخصصها بموارد المحذور لظاهر كالنص من آية التماثيل (١).

ثم ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ هي الجفان العظيمة كالحياض حيث الجابية هي حوض يرد فيه الماء فهي وان عظيمة للأطعمة ، ومن اين تملأ؟ ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ ضخمة في ثقلها وسعتها ، راسية ثابتة في محلها لصعوبة حملها.

﴿.. اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾.

﴿اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ لا . فقط . ان تقولوا شكرا ، فالشكر في أصله من مقولة الأعمال ، وليست الأقوال إلا حاكية عنها ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ عملا ، في الكثير من القلة المؤمنة الشاكرة قولا ، والشكور مبالغة الشاكر فلتكن بالغ الشكر. ثم وهنا «الشكور» وليس «شكور» حيث التعريف يعني شكرا عمليا ، ف «الشكور» هنا مبتدأ مؤخر لتعريفه

(١) مضت هذه الأحاديث.

و «قليل» خير مقدم لتذكيره ، إذا ف . «الشكور» عملاً ﴿قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ﴾ .
 أم ان «الشكور» كمطلق الشكر وحتى قولاً ﴿قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ﴾ ثم من هذه القلة
 «الشكور» كشكر مطلق يعم العمل ﴿قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ﴾ فهم . إذا . قلة من قلة فمهما كان
 الشكور قولياً ثلة أمام هذه القلة ، ولكنهم قلة أمام «عبادي» الثلة ، فأين قلة من قلة وثلة
 من ثلة؟! (١).

ثم «الشكور» أيا كان تلمح لكثيره عدة وعدة ، ولحد يبلغ الشاكر شكراً بكل أبعاده
 في حياته! ومن ثم نرى ذلك العظيم العظيم ، الكريم الكريم ، القويم القويم ، سليمان النبي
 الملك ، الذي سخر له الانس والجن وصلب الكون ولكنه على عظمه وملكه الذي لا ينبغي
 لأحد (٣٨ : ٣٥) :

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٢٩ . قال داود (عليه السلام) يا رب هل بات احد من خلقك الليلة أطول ذكرا لك مني؟
 فأوحى الله اليه نعم الضفدع وانزل الله تعالى على داود (عليه السلام): ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ
 الشَّكُورُ﴾ فقال داود (عليه السلام) : يا رب كيف أطيق شكرك وأنت الذي تنعم علي ثم ترزقني على النعمة
 الشكر فالنعمة منك والشكر منك فكيف أطيق شكرك؟ قال : يا داود الآن عرفتني حق معرفتي وفيه اخرج ابن
 المنذر عن عطاء بن يسار قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يخطب الناس على المنبر وقرأ هذه
 الآية قال : ثلاث من أوتيها فقد أوتي ما أوتي آل داود قيل : وما هن يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
 قال : رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى وذكر الله في السر
 والعلانية وفيه عن ابراهيم التيمي قال قال رجل عند عمر : اللهم اجعلني من القليل فقال عمر : ما هذا الدعاء
 الذي تدعو به؟ قال : اني سمعت الله يقول : وقليل من عبادي الشكور فانا ادعوا الله ان يجعلني من ذلك القليل
 فقال عمر : كل الناس اعلم من عمر!

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَهَمُهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبِ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (١٤).

وتلك من هيبة سليمان وهيمته ان لم يجرأ أحد من جنوده من الجن والإنس ان يدنوه فيسألوه ما ذلك المكث الطائل ، الذي تمضي فيه أوقات صلوات ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ فوق الموت ﴿مَا دَهَمُهُمْ عَلَى مَوْتِهِ﴾ سؤال خاطر ام اي خاطر سائل ﴿إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ تلك الصغيرة الهزيلة التي تأكل الأخشاب ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ التي كان متكئا عليها وترى كيف المنسأة . فقط . تجعله واقعا قائما كما هو ، وليست مسكتها إلا جانبية وعلى شرط المسكة من صاحبها ، حيث يمسكها سنادا فتمسكه عمادا؟.

علّه لأنه كان جالسا على عرشه ، متكئا على منسأته ، مخفوف بما يسنده من جوانبه ، فلما أكلت منسأته وارتخت . بطبيعة الحال . خر أمامه ، إذ فقد سناده أمامه ! داية الأرض . هنا . هي الأرضة التي تتغذى بالأخشاب ، وهي تلتهم سقوف المنازل الخشبية وأبوابها وقوائمها بشراة وشراسة خطيفة ، فلا تبقي عليها قائمة ولا تذر .

﴿.. فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبِ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ إذا فالجن لا هم أبناء الله حتى يعبدوا حيث سخروا لسليمان ، ولا هم يعلمون الغيب حتى يستعملوه ، قصة تقص عنهم ما خيل الى أوليائهم .

وترى ذلك العمل بين يدي سليمان كان عذابا مهينا وهو خدمة تقدم

للنبي الملك؟ اجل كان عذابا مهينا لشياطين الجن جزاء بما كانوا يشيطنون ، ذوقا قليلا من عذاب السعير ، واما مؤمنوا الجن والانس المستخدمين فلم يكونوا ليكلفوا لديه تلك الأعمال الشاقة المبرهة ، إلا قدر المستطاع ، فلم يكن العذاب المهين الا لشياطينهم.

ثم ﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ تلمح بطول مكوث سليمان ميتا متكئا على منسأته ، فليست قضية سويغات ، لا سيما وان ارضه الأرض لا تسطع ان تأكل المنسأة ليوم واحد ، إلا أياما طائلة ، ام سنة كما يروى وان كانت بعيدة ^(١)

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٣٠ . اخرج جماعة عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : كان سليمان (عليه السلام) إذا صلى رأى شجرة ثابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول : كذا وكذا ، فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء نبتت فصلى ذات يوم فإذا شجرة ثابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت :: الخرنوب ، قال : لاي شيء أنت قال لخراب هذا البيت فقال سليمان اللهم عم عن الجن موتي حتى يعلم الإنس ان الجن لا يعلمون الغيب فأخذ عصا فتوكأ عليها وقبضه الله وهو متكئ فمكث حيناً ميتاً والجن تعمل فأكلتها الأرضة فسقطت فعلموا عند ذلك بموته فتبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين أقول تبين الانس انما حصل بما رأوا الجن طول هذه المدة في العذاب المهين فلم يكونوا ليعلموا الغيب.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَيِّ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ
 بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبِّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ
 ذَوَاتِي أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سَدْرِ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا
 الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا
 فِيهَا لِبَالٍ وَآيَماً آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ
 وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ
 فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ

مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾

آيات سبع تعرض سبأ في مسرح من حياة الفرح والترح ، إعراضا عن الرب الغفور وطيبة البلدة ، فابتلاء بسيل العرم ، عرامة بعرامة ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾.

و «سبأ» اسم رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة .. (١) فهم آباء قوم كانوا يسكنون جنوبي اليمن بأرض خصبة وبلدة طيبة ما تزال الى اليوم. منها بقية ، وقد ارتقوا في سلم الحضارة ونضارة الحياة المادية. لحد لا قبل له ، وقد تحكموا في مياه الأمطار الغزيرة التي كانت تأتيهم من البحر في الجنوب والشرق ، فأقاموا خزانا طبيعيا يتالف جانباه من جبلين ، وجعلوا على فم الوادي بينهما سدا ، فاخترنوا كميات هائلة من الماء وراء السد ، سدا لحاجاتهم المرحية ، وقد عرف باسم «سد مأرب»

و ﴿جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ قد تغيان ذلك الخصب والوفرة جانبي ذلك السد ، وهما آية من آيات النعمة الربانية كأنها خارقة العادة بين القرى المجاورة لها ، او منقطعة النظير! ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ﴾ حيث رزقكم إياه ﴿وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾ قالا وحالا واعمالا ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي . ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ في وفر النعم ﴿وَرَبِّ غَفُورٌ﴾. بوفر الغفر والكرم ، على ما أنتم عليه من تقصير.

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٣١ . اخرج جماعة عن فروة بن مسيك المرادي قال أتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال رجل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ... فقال رجل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ...

«فاعرضوا» عن رهم وشكره حيث اخذتهم العزة بالإثم ، وبدلوا نعمة الله كفرا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ عرما بعزم! يجرف ويعرم في طريقه كل صغيرة وكبيرة ، وكل حجارة صخرة صلبة ، فحطّم سدهم وانساحت مياههم سيلا على سيل فلم يعد الماء يخزن حيث جفت كما جفوا ، واحتترقت الجنتان كما أحرقوا ، فتبدلت جناثم ويلات ، صحراء قاحلة تتناثر فيها الأشجار الخشنة البرية :

﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ (١٦)! فالجنتان التي كانت تأتيهم بكل نعمة غزيرة اشكالا وألوانا ، أصبحت لا تأتيهم إلا خمطا : شجر الأراك ام كل ذي شوك ، وأثلا يشبه الطرفاء ، وشيئا قليلا من سدر ، فليأكلوا شائكا ، وطرفاء لا ثمر لها ، وسدرا قليلا!.

فتلك اصابة لهم في مآكلهم ومن هنا الى مسكنهم الطريف :

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورَىٰ ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيًّ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ (١٨).

«.. قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضهم الى بعض ، وانهار جارية واموال ظاهرة فكفروا بأنعم الله عز وجل ، وغيروا ما بأنفسهم من عافية الله ، فغير الله ما بهم من نعمة والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فأرسل الله عليهم سيل العرم فغرق قراهم وخرب ديارهم وذهب

. وسلم) وما سبا؟ ارض او امرأة . قال (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيا من منهم ستة وتشاءم منهم اربعة فاما الذين تشاءموا فلخم وجذم وغسان وعاملة واما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومدحج وأنمار فقال رجل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أنمار؟ قال : الذين منهم خنعم وبجيلة.

بأموالهم وابدلهم مكان جنتيهم ..» (١)

﴿الْقَرْىَ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ هي القرى الشامية ، و ﴿قَرْىَ ظَاهِرَةً﴾ هي الباهرة في مرهم ، الزاهرة ببركاتها ، قرية المنازل ، متقاربة المحطات ، مقدرة السير ، محدودة المسافات ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ تقديرا متناسبا متناسقا لا يخرج المسافر من قرية الا ويدخل في اخرى مثلها ، فلا تختص امنة السير فيها بالنهار ، بل ﴿سَيِّرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ! وما ألفتها مسافات في تلکم السفرات السافرات ، قراها الظاهرة هي لصق بعض ، لا يخلد بخلد المسافر انه ناء عن منزله الا نزهة ولذة.

ويبدو انها كانت لهم نعمة سابعة لاحقة للسابقة ، وكان الله أبدلهم إياها بجنتيهم امتحان الامتحان فكفروا ثانية :

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (١٩).

فقد غلبت عليهم الشقوة ولم ينتفعوا من النذارة الاولى ، فانما دعوا الله دعوة حمقاء ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ كأنهم يرفضون النعمة بعد النعمة ، ام يستاءون من رحمة بعد رحمة ، فما دائهم وما دوائهم إلا اجابة الدعوة ﴿وُظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ في هذه الدعوة ﴿وُظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ قبل هذه الدعوة بما بغوا وطغوا ، فاستجيب دعوتهم البتراء الخواء إذ كانت بطراء حمقاء ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يتحدث عنهم في كل ناد كامثولات لكل حق في عمق كيف يدعى الرب لازالة النعمة الى نقمة؟ ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾

(١) في الكافي باسناده عن سدير قال سأل رجل أبا عبد الله (عليه السلام) عن الآية ...

عن كل رباط وملصق فلم يبق لهم وصل إلا الى فصل ، في أوطانهم وأسفارهم ، حيث بطروا النعمة ولم يصبروا على المحنة.

لقد فرق سبأ ومزق ايادي سبا في أنحاء الجزيرة مبددي الشمل ، وعادوا أحاديث الهزء على الألسنة بعد ان كانوا امة حضارية غالية المصدر ، عالية المورد ، ذات وجود في الحياة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ صبرا في البأساء وشكرا في النعماء ، بل وصبرا في النعماء والبأساء وشكرا في النعماء والبأساء!.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ﴾ (٢١).

«لقد» تأكيدان اثنان أن ﴿صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ في أبعاد بعاد ، حيث أراهم ظنه صادق اليقين ، ام وجده صادقا عليهم كأنهم لا يشكون في صدقه فيعاملونه عمل اليقين ، بما صدق قالته عند الله : ﴿فَعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٣٨ : ٨٣) وقالته الاخرى ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ حيث المتبوع خير من التابع ، ومن التابعين من هو اكفر من إبليس! فقد وقع العباد في مربع من فخ إبليس دون نجاة الا بصادق الايمان! وهم في «عليهم» كل العباد لمكان الاستثناء إذ لم يكن في سبأ فريق من المؤمنين ، مهما كان المحور لذلك التصديق هم سبأ واضراهم فإنهم التجواله العليا لرحلات الشيطان ، ثم و «عليهم» تدلنا على ان مربع التصديق كان «عليهم». ومن ثم لم ينج المؤمنون كلهم ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهم صادقوا الايمان ، واما البسطاء ، واما اتباع الشهوات ، فهم سيقاة الشيطان مهما كانوا مؤمنين : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ فالقلة القليلة من المؤمنين مخلصين ومخلصين هم الذين لا يتبعون إبليس في أحلك الظروف وأهلكها ، وليس

ذلك التصديق الكاذب اللعين بسلطان له عليهم : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ وكما يصدقه هو إذ قضى الأمر : ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٤ : ٢٢).

انه لا سلطان له على اي انس او جان ، لا حجة تقبلها العقول ، ولا قوة تسير ذوي العقول ، وانما مكرًا وخداعًا وكذبًا ، ولماذا الله جعل له سلطان المكر والخداع؟ ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ...﴾

و «نعلم» هذا كما في أشباهه هو من العلم العلامة السمة ، لا العلم المعرفة ، فلكي يسم الله ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ﴾ بسمة الايمان ، ويعم ﴿مَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ بوصمة الللايمان ، لم يكن الله ليصد عنهم سبيل الشيطان.

هذا! ولكي يقضى على فوضى الادعاءات الجوفاء ، ويقف ويوقف كل مدّع عند عمله في تجربة من سلطان الشيطان! ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ لا يفوت منه فائت ولا يفلت منه فالت ، فليس اتباع الشيطان فلتة خارجة عن حيطه الحفيظ ، فان حرите في تصديق ظنه حفيظ على صدق المؤمنين وكذب الكافرين ، حفيظ على كافة الموازين في كل تقوى وطغوى!

وانما يختص من بين شعب الايمان واللايمان هنا الآخرة ، لان الايمان بها هو الرادع الأصيل عن اتباع الشيطان ، فرب مؤمن بالله وبرسله لا يؤمن بالآخرة لا يردعه ذلك الايمان كما تردعه الآخرة!

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣) قُلِ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) قُلِ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦) قُلِ أَزُوبِي الَّذِينَ أَحَقَّتْ بِهِ شُرَكَاءُ كَلًّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

لا يَعْلَمُونَ (٢٨) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾

﴿قُلِ ادْعُوا ..﴾ امر تعجيز بصيغته ، ناحية منحى ابلغ نهي وأكده ، وهو بالنسبة للعاكفين على دروب الضلالة ، المصرين فيها ﴿قُلِ ادْعُوا ..﴾ ما لكم نفس او نفس ، ولسوف تعلمون انهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ من تحويل او تحويل في ملك الله كآلهة ، إذ ﴿مَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ﴾ في شيء منهما ، ثم ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ يعاون الله في قضمير! فلا هم شركاء الله ، ولا هم معاونوه! فالله ظهير لمن سواه على اية حال ، اللهم إلا في ظلمهم ، و ﴿مَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾! ثم الشفاعة فيما تجوز ﴿لَا تَنْفَعُ﴾ مهما حاولوها ﴿إِلَّا لِمَنْ أَدْنَى لَهُ﴾ بشروطها للشافعين والمشفع لهم.

وعلى الشفاعة المنفية هنا هي ليوم الدنيا حيث هم ناكرون يوم الدين فضلا عن شفاعته ، ثم وهي في تكوين وتشريع هنا كما يدعوها ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ شفاعة التقريب الى الله زلفى : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا

إِلَى اللَّهِ زُلْفَى وليست الا باذنه ولم يأذن لهم ، واما شفاعة التشريع فلا اذن فيها حتى لا فضل النبيين ، وقد تشمل الشفاعة لما بعد الموت ، حيث المتكلم عنها هنا هو الله ذوهم .

ثم و **فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ** دون «فزعت قلوبهم» دليل زوال الفرع عن قلوبهم بعد واقعه ، وإذا كان «هم» هنا هم الشافعون باذنه ففيما . إذا . الفرع حتى يفزع؟ .

علّهم لأهم قبل اذنه تعالى فزعون حيث يترصدون أمره ، فان في انتظار الأمر فزع الدهشة لموقف المأمور ولما يؤمر ، وفزع الخوف حيث **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** (١٦ : ٥٠) والفرع هو التأثير والانقباض من الخوف **حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ** حين يأذن لهم بشفاعة في تكوين حيث هم عمال رب العالمين ، ثم يفعلون ما يؤمرون ، فهناك **فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ** لواقع الأمر وتطبيقه ، وكما هم فيما بينهم يتساءلون مستبشرين **قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** !

ذلك! ولا نحتمل ان «هم» هم المشركون ، حيث لا يفزع عن قلوبهم على أية حال ، وهم فزعون في ضيق قلوبهم ويوم القيامة هم من المفضوحين .

فالشافعون بحق ، الراصدون اذن ربهم ، هم فزعون ، فكيف إذا لم يؤذن لهم أم لم يكونوا بحق؟ ، فأين . إذا . **هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ** واين هم من «يقربونا **إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**» وليس لهم من الأمر شيء؟

ثم وبوجه عام كان ملائكة الوحي عمالا وغير عمال فزعين من انقطاع الوحي في الفترة بين المسيح (عليه السلام) ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ناظرين وحي الشرعة بما سبقت لهم بشارة بذلك الوحي

الأصيل ، ولم تكن لهم شفاعة وتدخّل فيها ، فصبروا طويلا ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ حين بزغ وحي القرآن على قلب نبي القرآن ، فاستغرقوا فرحا مستبشرين متسائلين بعضهم البعض : ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ وبعد ذلك الردح العظيم ، فما وحي العمالة عندنا امام وحي القرآن بشيء ﴿قَالُوا الْحَقُّ﴾ الذي لا حول عنه ولا تحويل ولا تبديل ولا تدجيل ، حق ثابت لا حول عنه ، ولا تحريف ولا نسخ ولا تبديل ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾! .! ام ان ذلك هو طبيعة الوحي وماهيته ، حيث يفزع قبل حصوله انتظارا له ، ويفزع حين حصوله قرعا على اهله ، ثم يزول الفزع بعد استقرار .. (١).

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ دون ان يعلى عليه ويستكبر ، فهو الله لا سواه ، وهو الرب ليس الا إياه ، وهو الرزاق ذو القوة المتين دون شفاعة شفيع إلا

(١) البرهان ٣ : ٣٥١ القمي في رواية أبي الجارود في الآية «وذلك ان اهل السماوات لم يسمعوا وحيا فيما بين عيسى بن مريم (عليه السلام) الى ان بعث الله جبرئيل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسمع اهل السماوات صوت وحي القرآن كوقع الحديد على الصفا فصفق اهل السماوات فلما فرغ من الوحي انحدر جبرئيل كلما مر باهل السماوات فزع عن قلوبهم يقول : كشف عن قلوبهم ، فقال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير.

وفي الدر المنثور ٥ : ٢٣٦ . اخرج جماعة عن النّوّاس بن سمعان قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا أراد الله ان يوحى بأمر تكلم بالوحي فإذا تكلم بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله تعالى فإذا سمع بذلك اهل السماوات صعقوا وخرّوا سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبرئيل (عليه السلام) الى ان بعث الله فيكلمه الله من وحيه بما أراد فيمضي به جبرئيل على الملائكة (عليهم السلام) كلما مرّ بسماء سماء سألها ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبرئيل فيقول : قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبرئيل (عليه السلام) فينتهي جبرئيل بالوحي حيث امره الله من السماء والأرض.

من اذن له ، إذا فهو هو الشفيع والشافعون عمال لتحقيق الشفاعة حيث الدار دار الأسباب :

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٤).

«قل ... قل .. قل ..» ضربات كأنها مطارق تدفع بالحجة ، وتوضح المحجة ، في جولات تلو بعض حول قضية الشرك والتوحيد ، جولات تطوف بالقلوب في مختلف مجالات الوجود ، بمواقف مرهوبة ترجف فيها الأوصال ، وتتغير الأحوال بغير الأحوال ، كل ذلك في ايقاعات قوية وادبية تصدع بقاطع البرهان في قوة وسلطان!

«قل» لمن يدعون من دون الله شفعاء وآلهة ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؟ روحيا او ماديا «قل الله» حيث يصدقون الله كإله الأصل وانما الاختلاف في الشبكات ، فلانه رسول الله وهو لسان الناس عن فطرة وعقلية اصيلة فليكن هو المجيب «قل الله». ثم وفي نطاق الخلاف بينك وبينهم في اصول وفروع عقائدية وطقوس دينية فمعاملة في الحوار بإظهار الحق اليقين بمسرح الشك ، ولكي تجذبهم من الشك الى اليقين دون مفاجئة بصراح القول الحق : «نحن على هدى وأنتم في ضلال مبين» بل ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ :

لا تخلوا من بيننا هدى وضلال مبين ، وعلى الشاك في ضلاله وهداه أن يحاول الخروج عن ضلال الشك الى هدى اليقين! وانها غاية النصفة والاعتدال في ادب الجدل ان ينبري رسول الحق بلا تحتم لضلالهم ولا هداه ليشير فيهم التفكير في هدوء دون إذلال لهم في طرح القول : انهم هم في ضلال ، حيث الجدل بذلك الأسلوب المهذب الموحي الشهي أقرب الى لمس القلوب المقلوبة ، لو ان لها منفذا الى النور!

ومن ثم الى حلقة ثانية للحوار اعمق ادبيا وأغرق في اجتثاث جذور التعنت والاستكبار :

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢٥).

حيث يسايرهم في تهمة الإجرام انه ومن معه كأئهم المجرمون ، فلستم أنتم . إذا . مسئولون ، وانما المجرمون هم أنفسهم مسئولون ، ثم لما ياتي دورهم في نسبة الاجرام لا يفصح عنه بما أفصح لنفسه ، وانما ﴿وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ اجراما وسواه ، ف ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ﴿وَلَا تَرَىٰ وَاِزْرَةً وِزْرًا أُخْرَىٰ﴾ .

وبهذه اللمسة اللامعة يخطئهم في خرافة الطائر ، ولكي يفكر كل في نفسه لنفسه ، دون محاولة لتخطئة الآخرين ، ومن حال الخاطئين تلطيخ المصلحين ليجعلوهم كما هم فيستريحوا منهم! .

والى حلقة ثالثة لو اننا عيينا عن ان نفتح بيننا بالحق :

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ (٢٦) ﴿فَذَلِكَ الْجَمْعُ لِيَوْمِ

الجمع ضرورة لا محيد عنها ، ولأقل تقدير فتحا بيننا بالحق ، حيث العلم المحيط والعدالة والحكمة تقتضي ذلك الفضل الحكيم من ﴿الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾! : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ؟ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (٣٢ : ٢٩) .

ان الإقرار بوجود الله العلي القدير ، الفتاح العليم ، لزامه تقرير يوم للفتح بين المتخالفين في توحيد الله والإشراك به ، فإذا لم يفتح هنا فلا بد من فتح في الأخرى وهي هي يوم الحساب! فليس الفتاح العليم ليترك الأمور مختلطة إلا إلى حين ، ثم وهو لا يجمع بين المحقين والمبطلين إلا ريثما يقوم الحق بدعوته ويبدل طاقته ويجرب تجربته ثم يمضي امره ويفصل

فصله ويفتح فتحه ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾!

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّنَّكُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٧).

«اروني» هؤلاء الشركاء الملحقين المقحمين ، الذين هما مادة الخلاف . الاصيل . بيننا ، لكي نقدم فتحا هنا بيننا قبل الأخرى ، «اروني» من ربوبياتهم مثقال ذرة ، بل هم المربوبون كسائر الخلق أجمعين ﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ على ﴿الَّذِينَ أَحَقُّنَّكُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ . «الحكيم» في ربوبيته دون حاجة الى شركاء مقحمين!

فعزته تعالى وحكمته هما حجتان قاطعتان كل شركة في ألوهيته ، دامتان كل شريك له ، ولو ان عزته وحكمته غير كافية فباخرى شركائه الفروع هم أذل واوهى! ﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ (١) ﴿الْحَكِيمُ﴾!

«اروني» إياهم رأى البصر والبصيرة ، لزي هل فيهم من ميزات الربوبية شيء ، فأصنامهم ميتة ، وطواغيهم طاغية من حزب الشيطان ، وكرمائهم كالملائكة والنبين هم ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْخَرُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ فأين الربوبية في سواه؟ ﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾!

وفي «أروني» لمحات من استنكارات واستخفافات : أرونيهم ما هم؟ من هم اين مكانهم ومكانتهم؟ وكيف استحقوا ذلك الإلحاق ، وإذا هم آلهة كما الله فكيف ما ألحقهم هو بنفسه ، ام ما لحقوا هم أنفسهم اليه ، حتى كنتم أنتم عبدتهم تلحقونهم بالله؟ ﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾!

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨).

آية منقطعة النظير بحق البشير النذير ، عن رسالته الكافة للناس ، دلالة صارمة على ان رسالته خاتمة الرسالات حيث تكف الناس كل الناس

عما يجب كفهم عنه من مختلف المحظورات والمحذورات.

فذلك الرسول هو كافة للناس مبالغة مبالغة في الكف والكفاف ، مهما كانت الرسائل السابقة كفا دون كفاف ، فإنما كانت رسائل تحضيرية تعبد الطريق لهذه الكافة للناس.

والكافة من الكفّ العضو حيث يكف ، ومن الكف مصدرا ، وهما المعنيان مبالغة فيهما هنا ، فهو كف فيه الكفاية ليكف كل الناس عن كل المحاذير ، فقد تشمل الدعوة كل الناس ولكنها لا تكفهم ، وقد تكفهم كلهم ولكنها لا تشملهم ، وهذه الدعوة الكافة تشملهم كلهم ^(١) في كف واحدة وتكفهم ، فيا ايها الناس ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ (٢) : (٢٠٨) دخولا لكل وكفا عن خطوات الشيطان بوحدة جامعة!.

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٣٧ . اخرج ابن المنذر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي بعثت الى الناس كافة الى كل ابيض واحمر ... وي تفسير البرهان ٣ : ٣٥١ القمي باسناده الى حفص الكناسي قال سمعت عبد الله بن بكر الدجاني قال : قال لي الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) اخبرني عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أرسل عامة للناس؟ أليس قد قال الله في محكم كتابه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ لأهل المشرق والمغرب وأهل السماء والأرض من الجن والأنس هل بلغ رسالته إليهم كلهم؟ قلت : لا ادري قال يا بن بكير ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يخرج من المدينة فكيف ابلغ اهل المشرق والمغرب؟ قلت : لا ادري ، قال : ان الله تعالى امر جبرئيل فاقتلع الأرض بريشة من جناحه ونصبها لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكانت بين يديه مثل راحة في كفه ينظر الى اهل المشرق والمغرب ويخاطب كل قوم بألسنتهم ويدعوهم الى الله والى نبوته بنفسه فما بقيت قرية ولا مدينة الا ودعاهم النبي بنفسه.

أقول «مثل راحة في كفه» استفادة لطيفة من «كَافَّةً لِّلنَّاسِ» ولكن الكافة لا تستلزم .

انه ﴿كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ ككل «ولو كان لربك شريك لأنتك رسله» وإذا لشريكه او شركائه رسل فارونهم ، فإذا لا رسل لمن ألحقتم به شركاء فأين الربوبية؟.

انه ﴿كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ في رسالته المبشرة المندرة ، وحين يحصل الكف للناس كل الناس ، عن كافة المخطورات طول الزمان وعرض المكان فليكيف عن إرسال رسول بعده ، فما ذا بعد الكافة إلا تحصيلاً لحاصل ام تضييعاً؟ فهذه الآيات من آيات رسالته العالمية ، الخاتمية ، فلا يرسل بعده من رسول ، كما لم يرسل معه ، والذين أتوا قبله كانوا رسلا لتعبيد الطريق لرسالته السامية الخالدة.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ رسالته وكافته وبشارته ونذارته ، او «لا يعلمون» الرباط العريق بين رسالته الوحيدة والربوبية الوحيدة. كما «لا يعلمون» ان الرسالة الكافة لا تسمح لرسالة اخرى معها او بعدها عن الله الواحد فضلا عن ﴿أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾!.

و «لا يعلمون» انه وهو رسول ليس له من الأمر شيء إلا ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ فهم يتطلبون إليه آيات إلهية خارقة العادة كأنه مخول فيها ، ام موكل عليها ، كما ويقترحون عليه علم الساعة :

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٩) ترى وما هي الرباط

. الدعوة بنفسه ، فان لزم فهل دعاهم بعد موته؟ ايضا . بنفسه ، ولو انه دعى كلا بلغته كانت فيها الكفاية عن الكتب التي بعث الى الملوك والرؤساء ، وكفاهم حجة قبل ان يسمعوها الى قرآنه ويروا سائر برهانه ، وأظن تنمة الحديث من مقححات الوضعاء! . ثم المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تعارضه الآيات الدالة على عمومية الرسالة لاوى العزم ورواياتها ، إلا ان تعني الكفاية في طول الزمن الى يوم القيامة مع المشاركة في عرض المكان لروح من الزمن.

بين حق الوعد والعلم بمتاه؟ وحتى لو أخبرهم بمتاه وهم ناكروه في أصله فما هي . إذا . الفائدة ، إلا نكرانا على نكران؟.

أترى أحدهم حين يسئل متى تموت وهو لا يدريه ، هل له أو لك نكران موته وكل يعلم موته؟

ام حين يسأل متى ولدت وهو لا يدري؟ هل يحصل هنا شك في انه ولد لوقت مّا؟
ذلك السؤال ، المتعنت الجاهل مكرور مدور على ألسنة الناكرين ليوم الدين ، معتبرين جهله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمتاه ويجهل أصله في مداه ، ولا رباط عقيدا وعلميا بين مداه ومتاه؟!.

سؤال ساقط ممن ينكر يوم الدين ام يقر ، وليس الا تعنتا وزورا وغرورا من سائل ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ ثم الجواب الحاسم المكبت :

﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٣٠).

ان وعد الله واقع لا ريب فيه ، علمتموه ام لم تعلموا متاه ﴿لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ موتا ، او هلاكا ، ام جمعا ﴿يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ . ﴿لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً﴾ لرغبة عنه ﴿وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ عنه ساعة لرغبة فيه ، فليس وعد الميعاد فوضى جزاف ، يؤخر لرغبة ، او يقدم لأخرى ، فكل شيء مسير ومصير بقدر ، وكل امر منه متصل بالآخر بحكمة مستورة لدى العزيز الحكيم.

(٣٠) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى
الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ
عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ
مَكُرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ
وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي
قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣٤)

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ هُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْمُولَاءُ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١)

فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢) وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٣) وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى... ﴿٣١﴾.

قوله جاهلة فاحلة من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في استحالة الايمان بالقرآن وما

بين يديه من كتاب! فحتى لو تاكدوا . فعلا . من بطلانه لكانت الاستحالة باطلة ، حيث الحال لا تحكم على الاستقبال ، فرب حال ترى انها من المحال لقصور في العلم او القدرة ، ثم يتحول في الاستقبال من راجحة الأحوال .

اجل في الضروريات العقلية الثابتة لدى كل عاقل قد يصح القول الصامد «لن . او . حتما» مستحيلا ام واجبا ، واما غير الضروريات البدائية ، فضلا عما تدل بنفسها على حقها كما القرآن ، فكيف يصح القول ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ اللهم إلا ان يخبروا بمدى لئامتهم وعنادهم للحق ، دون قصور في القرآن ، ولكنهم على عنادهم قد يتحولون الى حالة اخرى!

ف . «لن» في مثل القرآن ليست لتصدق او تصدق على أية حال ، وهم يرفضون بها حاضر الايمان ومستقبله بالقرآن ، عنادا .

فالقرآن بنفسه شاهد صدق يفرض على من يتدبره الايمان به ، ويرجح لمن لم يتدبر ، واما إحالة الايمان فليست إلا من إغلاق باب العقل والفطرة لحدّ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤١ : ٢٦)!

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا هم المشركون واضرابهم من غير الكتابيين مهما كانوا موحدين ، و ﴿بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ صيغة دائبة في سائر القرآن عن سائر كتابات السماء ، إلا فيما تقرن بقرينة تدل على الحياة الاخرى ﴿.. ثُمَّ لَا تَنفَعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ..﴾ فانها الحياة الأخرى بعد مستقبل الاولى ، ولكن ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تخصه بضميرها المفرد ولا تخصه الاخرى ، اضافة الى قرن ﴿بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ . ﴿بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ فما بين

يديه قرآن غير هذا من التورات والإنجيل ، مهما كان اطلاق القرآن منصرفا الى هذا القرآن!
ولما وصل الحوار إلى هذه الحال من التعنت النكراء ، فلا تفيد بعدئذ مواصلة الحوار ،
من هنا يستعرض حوار اهل النار ، كجواب لهم عما هنا :

﴿... وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (٣١).

ترى كيف ﴿لَوْ تَرَى ..﴾ و «لو» تحيل مدخولها؟ علّها الرؤية يوم الدنيا ، ف . «لو»
تلوي للترجي : يا ليت ترى في الحال حوارهم البائس في الاستقبال؟ وكما في ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ
وُفِّقُوا عَلَى النَّارِ ..﴾ (٦ : ٢٧) ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ وُفِّقُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ (٦ : ٣٠) ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ
الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ (٦ : ٩٣) ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ (٨ :
٥٠).

ثم لما يحضر واقع المسرح للأخرى كأنه الحال ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي
الْأَصْفَادِ﴾ (١٤ : ٤٩) ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ (١٨ : ٤٧) ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ (١٨ : ٤٩).

﴿.. إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ في العقائد الرئيسية كالذين ذكروا ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ زجا في
سجنه وقفة الحائرين الذعرين نظرة الحكم من رب العالمين ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾
الظالم المستضعف الى الظالم المستكبر وعكسا ، حيث يلوم بعضهم بعضا ، ويؤنب بعضهم
بعضا ، إلقاء لتبعة ما هم فيه على بعض ، و «القول» هو ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾
مقصرين لا قاصرين للذين استكبروا «مقصرين لولا أنتم لكنا مؤمنين»! وليست

التبعية إلا عليكم ، إذ كنا نحن قاصرين ، ولو خيلنا وأنفسنا لكنا مؤمنين .

قولة جاهرة اليوم وقد سقطت القيم الزائفة وواجهوا واقع العذاب ، وهم قبل اليوم لم يكن يخلد بخلدهم ان يقولوها ، حيث التخاذل ، والضعف القاصد ، والاستسلام المصلحي ، وبيع الحرية والكرامة بالأركس الأدنى ، كانت تحول دون هذه القولة الجاهرة ، وهنا الجواب الحاسم من الذين استكبروا .

﴿أَنَحْنُ صَدَدُنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ (٣٢) والهدى تحل محلها من قلوب صافية ضافية ، فليست لتصد بعد إذ جاءت ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ قبل ان نصدكم ، فقد أجرتم ثمرة الحياة تغاضيا عن فطركم وعقولكم ، وتحكيما لحاضر شهواتكم ، ثم نحن واصلنا في إضلالكم : ظلمات بعضها فوق بعض ، فنحن وإياكم صادون عن الهدى على سواء ، فان كنا نحن مجرمين مستكبرين ، فقد كنتم أنتم مجرمين مستضعفين ، وكل إناء بما فيه يريش ! ثم يرجع المستضعفون بما يخفف عنهم في زعمهم عذابهم ، ويثقل على المستكبرين : ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا...﴾ (٣٣) .

لو اننا بقينا على جرمنا دون مكر وأمر منكم لحف الوطاء عنا وكنا اقل منكم عذابا ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ من ناحية ونحن ضعاف العقول ، و ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا...﴾ من اخرى وأنتم أقوياء ، ولكن الذي جائته الهدى على بينة كيف يمكر ، ام الذي يؤمن بها كيف يكفر حين يؤمر؟ والكفر والايمان من الأمور القلبية لا إكراه فيها ...

هناك يدرك الفريقان من الظالمين ان ليس الحوار ليثمر تخفيفا عن عذاب أم تأجيلا ، فلكلّ جريمته وإثمه ما هو ظالم قدره ، ثم على المستكبرين تبعة زائدة لإضلال الآخرين ، والمستضعفون عليهم وزرهم باتباعهم مقصرين ، لا يعفيهم انهم كانوا مستضعفين ، كما لا يعفي المستكبرين ان هؤلاء كانوا مجرمين.

فهناك تختم الحوار برؤية العذاب وحيث لا تفيد الحوار :

﴿... وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ كل من المستضعفين والمستكبرين ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهي في الحق تلكم الأغلال التي غلوا بها أنفسهم ، غل الاستضعاف وغل الاستكبار ، واين غل من غل؟ واين عذاب من عذاب؟ ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ غلا بغل : و ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾!

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٤).

فلان ماهية الرسائل الإلهية وطبيعتها هي الحفاظ على العدل بين الناس ، والقضاء على تطاولات المستكبرين والطغاة والمترفين في اللذات والحيوانات ، لذلك كانت تعارض منذ بزوغها من قبل المترفين فلم تكن . إذا . خلاف ما يزعم . بجانب الرأسمالية وتخديرا للمستضعفين (١) ف .

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٣٨ . اخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي حاتم عن ابن زيد قال كان رجلان شريكان خرج أحدهما الى الساحل وبقي الآخر فلما بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كتب الى صاحبه يسأله ما فعل فكتب اليه انه لم يتبعه أحد من قريش الا رذالة الناس ومساكينهم فترك تجارته وأتى صاحبه فقال له دلني عليه وكان .

﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ دون تأمل وتحليل ، وتغاضيا عن كل دليل ، هي كلمة المترفين على مر الزمن الرسالية ، معادة مكرورة في كل قرية ، حيث الترف يغلظ القلوب ويفقدها كل حساسية عقلية ولمسة فطرية ، لحد يحسبونهم هم الموضوع الرئيسي والمحور الأساسي في الحياة ، وان أموالهم وأولادهم هي مانعهم من العذاب في الأخرى كما تمنعهم في الأولى ! :

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٣٥) ولو كان هنالك عذاب فانما هو للمستضعفين فلنا الترف في كل طرف من أطراف الحياة : ﴿وَلَئِنْ أَدْقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ صَرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَطُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْخُسْنَىٰ﴾ (٤١ : ٥٠). وي! كأنما الأموال والأولاد هي التي تقرهم الى الله زلفى فلا يعذبون ، وليست هي من حسن اعمالهم ، ولا انها منهم حتى ولو كانت حسنة لهم :

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦).

إنهم يحسبونهم ان بأيديهم بسط الرزق وقدره ، وهم يرون كثيرا ممن يسعى مجدا فلا يجد سعة إلا قدرا ، وآخرين لا يسعون كثيرا . ام . ولا قليلا ولهم بسط في الرزق ، وهذا لا ينافي الضابطة المطردة : ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ فانما بسط الرزق وقدره في أكثرية ساحقة خارجان عن مدى السعي والبطالة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حيث يزعمون

. يقرأ الكتب فأتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : إلى م تدعو قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : إلى كذا وكذا قال : اشهد انك رسول الله قال ما علمك بذلك قال : انه لم يبعث نبي الا اتباعه رذالة الناس ومساكينهم فنزلت هذه الآيات .. فأرسل اليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الله قد انزل تصديق ما قلت.

بسطه بما هم ييسطون وقدره بما هم يقدرّون ويقدرّون! فمسألة بسط الرزق وقدره هي من أهم ما تحيك في صدور كثيرة ، فحين تتفتح الدنيا بزخارفها على المبطلين ، ويحرم بجنبهم الآخرون ، يخيّل الى الجهال ان الله ليس ليغدق على احد إلا وله عنده زلفى ، ولا يغلق على أحد إلا البعيدين عنها ، وذلك حين ما تحتل الموازين والقيم ، وتختلط القيم الروحية والمادية فتخلف فوضويات من الظنون الرديئة ، ولكن :

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ هُم جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ (٣٨).

ف . ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (١٨ : ٤٦).

فانما تقربكم الى الله زلفى ، ﴿الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ الايمان وعمل الصالحات ، فالأموال والأولاد التي تستخدم لمرضات الله هي خير عند ربك ثوابا وخير املا ﴿فَأُولَٰئِكَ هُم جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ عملا مضاعفا فاصل الايمان وعمل الصالحات عمل ، والأموال والأولاد التي تستعملهم في صالحات عمل ثان ^(١) فما بقيت صالحة خيرة فلك منها ثواب ، وكما على الذين يعملون طالحات ، ويستعملون أموالهم وأولادهم في طالحات ،

(١) القمي ذكر رجل عند أبي عبد الله (عليه السلام) الأغنياء ووقع فيهم فقال (عليه السلام) اسكت فان الغني إذا كان وصولا لرحمة بارا باخوانه أضعف الله له الأجر ضعفين لان الله يقول ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ ... إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ هُم جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ...﴾.

أولئك لهم ضعف العذاب ، فانما الجزاء خيرا وشرا على قياس العمل ضخامة ووخامة :
﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ مستعملين أموالهم وأولادهم في سعيهم الفاسد الكاسد
﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ وكما كانوا في بواعث العذاب محضرين ، حضورا بحضور ، بل
هو هو نفس الحضور ف . ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ
يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٣٩).

﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ في سبيل الله أموالا وأولادا ، واعمالا وأقوالا وأحوالا ، ﴿فَهُوَ
يُخْلِفُهُ﴾ : إبدالا بالحسنى وهو خير الرازقين في الاولى وفي الاخرى ، وليس بسط الرزق لأهل
الطغوى إلا امتحان الامتهان ﴿.. إِنَّمَا تُمْلِي هُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ وَعَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٣) :
.(١٧٨)!

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا
سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ (٤١).

خطأ في خطأ لمن كانوا يزعمونهم يعبدون الملائكة ، ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾
ويحسبونهم ملائكة حيث أروهم أنفسهم ملائكة ولكي يعبدوا ، وليس الملائكة ليروا أنفسهم
للموحدين ، فضلا عن المشركين الذين ييغونهم ان يكونوا لهم عابدين. ام ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ
الْجِنَّ﴾ حيث امروهم ان يعبدونا ، فالمعبود الأصل لهم هم الجن دوننا ، إذ لم تكن هناك صلة
بيننا وبينهم حتى يعبدونا دون وسيط.

وعلى أية حال «سبحانك» ان يعبد من دونك ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ تلي كل
أمرنا ، وتعلم ما نخفي وما نعلن ، فتعلم اننا ما كنا نرضى هذه العبادة بوسيط ودون وسيط
، فقد كانت عبادتهم الحمقاء هباء على هباء

ونحن . كما تعلم . منها براء! فانها عبادة فاضية فوضاء.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ
الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (٤٢).

«لا يملك» نفي استغراق في ذلك اليوم ، فالنفع والضرر مسلوبان لكل احد عن كل
احد عابدا ومعبودا إلا الله ثم ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ذوق العذاب ف . ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ
عَظِيمٌ﴾! وهنا تحتم الجولة في قضية المبدأ والمعاد ، والى جولة لما بين المبدء والمعاد :
﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ﴾ (٤٣).

آيات بينات هي في دعواهم افك مفترى وسحر مبين ، مقابلة الحق المبين برواسب
غامضة من آثار مضت وتقاليد غيرت دون قوام متماسك على اي أساس!
فآبائنا هم الأصلاء في هذا المسرح وسواه ، و ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا
كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾ وكفاه كذبا ، ف «ما هذا إلا كذب مفترى» على الله إذ لا يرضى ان
نترك آباءنا ..

ومن ثم في مواجهة عامة لآيات الله البينات ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ
هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

فثالث القولة الفاتكة «ما هذا . ما هذا . ان هذا» تتبنى اصالة تقاليد الآباء لا لشيء
إلا أنهم آباء! أو لم يكن الآباء الموحدون الإبراهيميون هم من آبائهم؟ فليشكوا على أقل
تقدير في دعوة التوحيد فيتحرروا ويتخذوا الأخرى في عقولهم!
وليتهم أوتوا من قبل كتبنا يدرسونها ام أرسل إليهم من قبلك من نذير ،

حتى يرتكنوا في هذه السلبيات على ما أوتوا! ولكن :

﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِيعَشارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥)﴾

فلقد عاشوا فترة انقطاع الوحي والرسالة ، فلا كتب يتعاهدون ولا رسل ، فان يكذبون هؤلاء فقد ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وهم أولاء ﴿مَا بَلَغُوا مِيعَشارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ هؤلاء الغابرين من علم ومال وقوة ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ي عليهم على قوتهم من إهلاك وتدمير ، فما أنتم بشيء تذكرون وجاههم!

وقد كانت قريش تعرف بعض هذه المصارع الغابرة ، وهنا التهديد بتلك الغابرة ، ولكي تنبيه الأجيال الحاضرة ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؟

كذلك ﴿وَمَا بَلَغُوا﴾ ما أرسلنا من نذير من قبلك . ﴿مِيعَشارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ الحاضرين في مسرح الرسالة المحمدية (صلى الله عليه وآله وسلم) فانه اوتى ما أوتوا وزيادات خالداً (١).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفَةٍ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ

(١) البرهان ٣ : ٣٥٣ . القمي في الآية قال : كذب الذين من قبلهم رسلهم وما بلغ ما آتينا رسلهم معشار ما آتينا محمدا وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي
 إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَآمَ الْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ
 جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِنْ صَلَلْتُ فَأِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ
 اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠) وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ
 مَكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ
 قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ
 مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفَةٍ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٤٦).

«انما» دليل الحصر «أعظكم ب موعظة «واحدة» واحدة تتمثل في قومة واحدة متضمنة الأصول الثلاثة ، تحللاً عن أسر الآصار التقليدية للآباء القدامى وآثارها البئسة التي تجعلكم كأنكم لا شيء وهم أولاء كل شيء. كما وهم كانوا يقتفون آثار آبائهم فتسلسلا للآشياء! فالى قومة صارمة تحللكم عن الكونية الجوفاء والنفسية الفارغة الخواء ، وتجعلكم تفكرون وتديرون أموركم بأنفسكم ، خروجاً عن الحياة الهامشية كالماشية!

«قل» للناكرين أولاً وللمصدقين ، فان التصديق بحاجة الى تقدّم على ضوء القيام الدائب والتفكير ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾!

«انما» ليس إلا كلمة واحدة ونصيحة واحدة ، تضم كافة الكلمات ، وتحلق على كافة الوحدات والكمات.

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ قياماً فطرياً . عقلياً . فكرياً . علمياً . فردياً . جماعياً ، قياماً عن نومتكم وموتتكم المأسورة المحصورة في التقاليد الجاهلة العمياء ، بعيداً عن الأهواء والمصلحيات والملايسات الأرضية ، وعن المواقف والدوافع والعواطف التقليدية ، التي تتشجر في القلب فتشجره وتفجره ، بعيداً عن التيارات السائدة في البيئة الجاهلة القاحلة.

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ في الله والى الله بما منحكم الله من فطرة سليمة وعقلية عليمه ، وكل موهبة إلهية حكيمة! ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٢ : ٢٣٨) فان الحياة الانسانية وعلى ضوء شرعة الله هي حياة القيام لله!.

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفَةٍ﴾ : اثنين اثنين متعاونين . و «فرداً فرداً ، فما ضم الثاني في ذلك القيام إلا ضمنا لقيام الى قيام. ولكي يكمل

السير الى الله بازدواجية القيام ، فإذا لم يحصل الانضمام ، أم اضرّ بالقيام ف «فرادى» متحللين عن كافة موانع القيام ، عن ثنويات وثنائيات التقاليد الجاهلة العمياء!.

ف ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ هي فريضة لكل فرد فرد ، قومة في قرارات النفوس ، وقومة عن نومة الفطر والعقول في كافة الحقول ، فليس «مثنى» الا ليراجع أحدهما الآخر فيأخذ كل ما عند الآخر ، فتصبح اخذة رابية شورى ، ثم تعاوننا في تطبيق ، دون تأثر بعقلية الجماهير الخاطئة ، ام الأكثرية التي تتملى منها العيون الظاهرة ، فإذا اضررتكم «مثنى» فقوموا. إذا. «فرادى».

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ فانه في الأصل قيام فكرى على ضوء العقل والفطرة ، والفكر حركة من المبادئ ومن مبادئ الى المراد ف «تتفكروا» في ذلك القيام ، إنما تتبنى آيات انفسية واخرى آفاقية ، مستخدمين لها للوصول الى الحق المرام. فطالما يرمى «صاحبكم» بالجنون ، والرامون كثيرون مترفون ، فلا تغرنكم هذه الكثرة المتركة ، بل :

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ : الذي بصاحبكم من جنة تدعى ، فما هي؟ وما هي آثارها وتبعاتها؟ وقد صاحبكم ردحا بعيدا دون جنة ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠ : ١٦).

أفلا تكفى تلك المصاحبة منذ الولادة حتى الأربعين ان ليست به جنة؟ وأنتم تعتبرونه في هذه الفترة اعقل العقلاء؟ ثم إذا ما دعاكم الى ما تقبله الفطر والفكر أصبح ذا جنة!.
﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ ليس بصاحبكم من جنة ، ذاتية ام خارجية ، فلئن تغاضيتهم عن انه اعقل العقلاء ، فلأقل تقدير ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ يصدر عن عقل ويرد الى عقل فتفكروا ...

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ عذاب بين يديكم إذ يستقبلكم ويأتيكم ، وكل آت قريب حاضر ، والحائطة في النذارة عقلية حائطة ، وحتى عن نذارة مجنون ، فكيف بعقل فضلا عن أعقل العقلاء!.

وكيف بمن يملك من بينات آيات الله ما يبين انه رسول من الله ، وما اوتي الرسل قبله معشار ما أوتيته!

«ايها الناس أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ الله ورسوله اعلم! انما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا يأتيهم فبعثوا رجلا يتراءى لهم فيبينما هو كذلك أبصر العدو فأقبل لينذرهم وخشي ان يدركه العدو قبل ان ينذر قومه فأهوى بثوبه ايها الناس أتيتم! ايها الناس أتيتم! ايها الناس أتيتم!»^(١).

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤٧).

لقد سبق انه (صلى الله عليه وآله وسلم) سألكم المودة في قرباه بصيغة الأجر ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (٤٢ : ٢٣) فخيّل الى بعض انه يسأل عليه من اجر ، وهنا يوضح انه «لكم» حيث المودة في قربى الرسول تحركم من أبوابهم الى مدينة علمه ، ثم الى الله ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (٣٥ : ٥٧) فكانوا هم السبيل إليك والمسلك الى رضوانك.

فلست أسألكم أنتم من اجر ، مهما كان صيغة الأجر ف ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٢).

(١) مسند احمد بن حنبل حدثنا ابو نعيم بشير ابن المهاجر ، حدثني عبد الله بن بريرة عن أبيه قال : خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوما فنادى ثلاث مرات ايها الناس ...

(٢) راجع آية الشورى في سؤال الأجر تجد تفصيل البحث في قول فصل.

خذوا أنتم الأجر الذي سألتكم إياه ، واجعلوه زادا لتعرف أكثر الى المبدء والمعاد ،
وصاحبكم الذي هو بين المبدء والمعاد ، نذيرا لكم بين يدي عذاب شديد.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ﴾ (٤٨).

﴿إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾! ﴿يَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (٢١ : ١٨) فليس الباطل يقذف الحق ، ﴿إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ لأنه ﴿عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ والحق يحمل الغيوب والباطل لا يملك حتى الشهود ،
ف ﴿مَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾؟

وكذلك ﴿إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ في قلوب اهليه وهم الذين يتحرون عنه وهم به
مؤمنون! ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (٤٩).

لقد جاء حق تلو حق منذ بزوغ الرسالات ، ولكن الحق كل الحق إنما جاء جديدا
صارما عتيدا مهيمنا على سائر الحق ، خالدا على مر الزمن بمر الحق!
﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾؟ إظهارا لأمر بدائي بديع لم يسبق؟ كلا «ما يبدئ» : وليس
ليبدئ!

﴿وَمَا يُعِيدُ﴾؟ من غابر الباطل الدفين ليدحض به الحق ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ : ليس بمعيد
شيئا! ^(١).

فحين لم يجيء كل الحق ما كان الباطل يبدئ شيئا او يعيد ، فكيف إذا ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾
(كله). ف ﴿مَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾؟! ثم ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ في الأولى ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾
في الاخرى ، فانه زاهق في الأولى وفي الاخرى!

(١) ف. «ما» هنا استفهامية ونافية ، تعنيهما مع بعض وتلو بعض وما أفصحه وأبلغه!

أتقولون بعد اني ضللت وأنتم المهتدون؟

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ (٥٠).

أترى حين يصح ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ فأين تذهب تبعة أتباع الضال وهو ظاهر بمظهر داعية الهدى؟

﴿عَلَى نَفْسِي﴾ هنا لها واجهتان اثنتان : ان رأس الزاوية في الضلال هو الضال مهما ضل به غيره ، ومن ثم حين يتجرد الضال عن الدعوة الى ما هو فيه مسaire في الحوار ، فهو هو المختص بضلالة ، ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ ويا له أدبا بارعا في الاعتراف بضلاله لولا هدي الوحي من ربه.

فلو كانت بي جنة فمن نفسي وعليها ، وان اهتديت دون زلة ولا ضلالة ﴿فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ انه سميع» دعوة الداعين «قريب» إليهم ، وقد تعني ضلال التوحيد دون ضلال في سائر جنبات الرسالة ان لو كنت ضالا في دعوة التوحيد رغم بيناته فلا ضير لكم ان تعبدوا إلهها واحدا.

وان اهتديت فهنا الضير كل الضير في تكديبي فإنه تكذيب لربي! فلا عليكم . إذا . إن ضللت ، ولكم إن اهتديت فلان آثار الهدى في باهرة فعليكم . إذا . اتباعي!

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٥١).

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ : ليتك ترى الآن «إذ فرغوا» هؤلاء المشركون بأثلاث الافزع : فزع الرجعة والموت و «الفزع» الأكبر» (٢١ : ١٠٣) وهو المحور وهو الآخر!.

ثم ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ تشملها كلها ، وحتى البعيد في قياسهم البعيد البعيد ، هو في تلك الأخذة الشاملة قريب : ﴿وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٥٠ : ٤١).

وكيف لا يكون قريباً وربك الآخذ منهم قريب قريب ، وعلمه قريب وقدرته قريبة وما ذلك من الله ببعيد غريب! وحين الرجعة عند قيام القائم بالحق يؤخذ المشركون أحياء وأمواتا من مكان قريب ، فكما حيهم في هذه الأخذة قريب ، كذلك ميتهم وما ذلك على الله بعزير^(١).

(١) في تفسير القمي في الآية حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن منصور بن يونس عن أبي خالد الكابلي قال قال ابو جعفر (عليه السلام) والله لكأني انظر الى القائم (عليه السلام) وقد أسند ظهره الى الحجر ثم ينشد الله حقه ثم يقول : يا ايها الناس من يحاجني في الله فانا اولى بالله ، ايها الناس من يحاجني بآدم فانا اولى بآدم ، ايها الناس من يحاجني في نوح فانا اولى بنوح ايها الناس من يحاجني بإبراهيم فانا اولى بإبراهيم ايها الناس من يحاجني بعبسى فأنا اولى بعبسى ، ايها الناس من يحاجني بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فانا اولى بمحمد ، ايها الناس من يحاجني بكتاب الله فانا اولى بكتاب الله .

ثم ينتهي الى المقام فيصلي ركعتين وينشد الله حقه ، ثم قال ابو جعفر (عليه السلام) هو والله المضطر في كتاب الله في قوله : أَمَنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرُ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ .

فيكون أول من يبايعه جبرئيل ثم الثلاث مائة والثلاثة عشر ، فمن كان ابتلي بالمسير وافي ، ومن لم يبتل بالمسير فقد عن فراشه وهو قول امير المؤمنين (عليه السلام) هم المفقودون عن فرشهم وذلك قول الله : فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا . قال : الخيرات الولاية ، وقال في موضع آخر : ولئن أخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة . وهم اصحاب القائم (عليه السلام) يجمعون اليه في ساعة واحدة . فإذا جاء الى البيداء يخرج اليه جيش السفيناني فيأمر الله عز وجل الأرض فيأخذ بأقدامهم وهو قوله عز وجل : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ .

وانه لا فوت في هذه الأخذة القريبة الغريبة ولات حين مناص ، إذ فات زمن الخلاص!.

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَافُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٢).

هم في الأخرى ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ إلينا ، ثم لا تناوش لهم ولا تناول للأولى ، وقد بعدوا بهذه الأخذة القريبة عنهما ، ف ﴿أَنَّى لَهُمُ التَّنَافُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ هو دار الجزاء ، لاستحالة النقلة الى دار العمل!.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٣).

أنى لهم ﴿آمَنَّا بِهِ ... وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ و ﴿أَنَّى لَهُمُ التَّنَافُشُ .. وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾؟! حال «ويقذفون» من قبل «بالغيب» قذف الإبطال والاستنكار ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ هو الأولى عن الأخرى ، وهو بعد العلم فيها عنها ، والآخر غيب عن الدنيا ، وهم غيب عنها فكيف ﴿يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾

. ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ [يعني بالقائم من آل محمد (عليهم السلام)] ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَافُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ... وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني ان لا يعذبوا ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ يعني من كان قبلهم من المكذبين هلكوا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ إِنْهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ.

والروايات مستفيضة من طرقنا وطرق إخواننا كما في الدر المنثور بطرق عدة عن ابن عباس وابن مسعود وحذيفة وأبي هريرة وعمر وابن شعيب وام سلمة وصفية وعائشة وحفصة ونفيرة امرأة القعقاع وسعيد بن جبير عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن ألفاظه ما أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني عن ام سلمة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يبايع الرجل من امتي بين الركن والمقام كعدة اهل بدر فيأتيه عصب العراق وأبدال الشام فيأتيهم جيش من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم ثم يسير اليه رجل من قريش أخواله كلب فيهزمهم الله ...».

مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ!؟.

انهم يقولون ما لا يعلمون ولا يتحققون ، كالرامي غرضاً وبينه وبينه مسافات متباعدة ، فلا يكون سهمه ابداً إلا قاصراً عن الغرض عادلاً عن السدد.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ (٥٤).

وعلى هنا «من قبل» يصدق الشمول ليوم الموت والرجعة ، فان فيهما (من قبل ومن بعد) واما الآخرة فهو يوم الجمع ﴿وَكُلُّ أُنثَىٰ دَاخِرِينَ﴾ ثم «من قبل» في موقف القيامة على «قبل» ربي ، أم إن الحيلولة هي في موقف الحساب والعقاب وله من قبل ومن بعد ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾!

وعلى أية حال فال محور الرئيسي هنا هو الآخرة ، والأوليان تلحقانها من باب الجري كما استفاضت به الرواية.

و «ما يشتهون» هنا تعم شهوة الضلالة التي كانوا يعيشونها ، فحيل بينهم وبينها ، والهدى التي هنا يرجونها ف «انهم طلبوا الهدى من حيث لا ينال وقد كان لهم مبدولاً من حيث ينال» ^(١) وهما في الأولى ، كما ﴿حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ ألا يعذبوا في الاخرى : ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٣٥)!

الا وكل «ما يشتهون» عنهم منفية ، وكل ما يكرهون لهم مقضية ، فهم عائشون هناك الحيلولة بينهم وما يشتهون ، كما عاشوا هنا وما

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٥٥ . القمي بسند عن أبي حمزة قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قوله : وأنى لهم التناوش من مكان بعيد قال : انهم ..

يشتبهون ، جزاء بما كانوا يعملون ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّريبٍ﴾ يريب الضعفاء كأنهم على بينة من شكهم فهم بذلك الشك المريب يتشككون!.

سورة فاطر مكيّة

وآياتها خمس وأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مثنى وثلاث ورباعٍ يُرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣) وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ

شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

سورة تتسمى باسم من اسماء الله «الفاطر» فانها كسائر السور من «الفاطر» وهنا تبدأ ب ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

ثم واسم لها آخر «سورة الملائكة» قضية البداية بها بعد الفاطر ، فهي اسم لها بعد الفاطر ، كما وانهم بعد الفاطر.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

هنا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مبرهنا بالربوبية المطلقة رحمانية : ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تعبيراً عن الكون كله ، ورحيمية : ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ...﴾ ونجد الرحمتين مع ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في خمسة اخرى بغير يسير في صيغة التعبير ^(١).

(١) «قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» (٦ : ١٤) «فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (١٢ : ١٠١) «قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ .

ولأن الفطر هو الشق ، إذا فالسماوات والأرض مشتقتان عن مادة مخلوقة قبلهما ، المعبر عنها في هود ب «الماء» وكما فصلت فيها وفي آيات من فصلت والأنبياء^(١).

﴿... جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا...﴾ وتذكر الملائكة بمختلف صيغها (٨٨) في القرآن كله

، مما يدلنا على مدى أهميتهم في رسالاتهم الروحية وسواها في ميزان الله.

وقد وصفهم امير المؤمنين وقائد الغر المحجلين (عليه السلام) بقوله : «خلقتهم وأسكنتهم سماواتك ، ليس فيهم فترة ، ولا عندهم غفلة ، ولا فيهم معصية ، اعلم خلقك بك ، وأخوف خلقك منك ، واقرب خلقك إليك ، وأعملهم بطاعتك ، لا يغشيه نوم العيون ، ولا سهو القلوب ، ولا فترة الأبدان ، لم يسكنوا الأضلاب ، ولم تتضمنهم الأرحام ، ولم تخلقهم من ماء مهين ، أنشأهم إنشاء فأسكنتهم سماواتك ، وأكرمتهم بجوارك ، وائتمنتهم على وحيك ، وجنبتهم الآفات ، ووقيتهم البليات ، وطهرتهم من الذنوب ، ولولا قوتك لم يقووا ، ولولا تثبيتك لم يثبتوا ، ولولا رحمتك لم يطيعوا ، ولولا أنت لم يكونوا.

أما إنهم على مكاناتهم منك ، وطاعتهم إياك ، ومنزلتهم عندك ، وقلة غفلتهم عن أمرك ، لو عاينوا ما خفي عنهم لاحتقروا اعمالهم ، ولأزرأوا

. فاطر السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ...» (١٤ : ١٠) «قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» (٣٩ : ٤٦) «فاطرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا...» (٤٢ : ١١).

(١) الآيات ٩ - ١٢ من فصلت و ٢٩ من الأنبياء.

على أنفسهم ، ولعلموا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك ، سبحانك خالقاً ومعبوداً ما أحسن بلائك عند خلقك!»^(١).

وهنا «لو عاينوا» إحالة لمعاينتهم هذه ، وتلميحاً انه (عليه السلام) عاين ما لن يعاينوه ، وعلم ما لم يعلموه!.

«جاعل» بالنسبة للملائكة بعد «فاطر» لسائر الكون ، تغاض عن لحظة خلقهم كيف هو ومم هو؟ فانما جعل الرسالة الملائكية ، وقد يلوح لأنهم انما أنشئوا إنشاء من المادة الأم أماهيم ، دون تطور بتطوير ، وكما أشار اليه الامام (عليه السلام) : ثم و ﴿أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ ..﴾ بيان لكيف هم بعد خلقهم؟ أن لهم اجنحة هي على الأكثر ﴿مُثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ وقد يقل فيهم ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ خلقاً لأجنحة لهم زائدة على «رباع» ام لسائر الخلق ، وكما ﴿السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ : نظرية التوسعة.

فلا وقفة في اصل الخلق وطوره وكوره ، مشيئة مطلقة واسعة شاسعة ، في اصل الخلق وفرعه! .. ولان «الملائكة» جمع محلى باللام ، مما يفيد استغراق العام ، فهم - إذا - كلهم دونما استثناء ، من ملائكة الوحي الى النبيين ، والعمال في سائر التكوين ، من رسل الإمامة : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (٦ : ٦١) والكرام الكاتبين والمصورين في الأرحام والمهلكين : «ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكو اهل هذه القرية (٣٠ : ٣١) وسائر عمال رب العالمين.

والأجنحة جمع الجناح آلة الطيران أيا كان ، ريشا وسواه كأجنحة

(١) تفسير البرهان عن القمي وقال امير المؤمنين (٣ : ٣٥٧).

الطائرات فلا تختص بريش وزغب ، بل هي كما تناسب كيانهم ، إن نورانيين أماهيه فأجنحة نورانية أماهيه؟.

وعلى أية حال فهم . على كونهم ملائكة . صنوف في أجنحتهم ووظائفهم ودرجاتهم وكما يقول سيد الساجدين وزين العابدين^(١) : ولا

(١) في الصحيفة السجادية وكان من دعائه على حملة العرش وكل ملك مقرب : اللهم وحمة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك ، ولا يسأمون من تقديسك ، ولا يستحسرون عن عبادتك ، ولا يؤثرون التقصير على الجد في أمرك ، ولا يغفلون عن الوله إليك ، وإسرافيل صاحب الصور الشاخص ، الذي ينتظر منك الإذن وحلول الأمر ، فينبئه بالنفخة صرعى رهائن القبور ، وميكائيل ذو الجاه عندك والمكان الرفيع من طاعتك ، وجبريل الأمين على وحيك ، المطاع في سماواتك ، المكين لديك ، المقرب عندك ، والروح الذي هو على ملائكة الحجب والروح الذي هو من أمرك .

اللهم فصل عليهم وعلى الملائكة الذين من دوحهم من سكان سماواتك ، واهل الامانة على رسالاتك ، والذين لا يدخلهم سامة من دؤوب ، ولا إعياء من لغوب ولا فتور ، ولا تشغلهم عن تسبيحك الشهوات ، ولا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات ، الخشع الأبصار فلا يرومون النظر إليك ، النواكس الأذقان الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك . المستهترون بذكر آلائك ، والمتواضعون دون عظمتك وجلال كبريائك ، والذين يقولون إذا نظروا الى جهنم تزفر على اهل معصيتك : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك! . فصل عليهم وعلى الروحانيين من ملائكتك ، واهل الزلفة عندك ، وحمال الغيب الى رسلك ، والمؤمنين على وحيك ، وقبائل الملائكة الذين اختصصتهم لنفسك ، وأغنيتهم عن الطعام والشراب بتقديسك ، وأسكنتهم بطون سماواتك ، والذين هم على أرجائها إذ انزل الأمر بتمام وعدك .

وخزان المطر وزواجر السحاب ، والذي بصوت زجرة يسمع زجل الرعود ، وإذا سبحت به حفيضة السحاب التمتعت صواعق البروق ، ومشيعي الثلج والبرد ، والهابطين مع قطر المطر إذا نزل ، والقوام على خزائن الرياح ، والموكلين بالجبال فلا تزول ، والذين .

نجد في القرآن مذكورا باسمه إلا جبريل وميكال ام والروح ان كان من الملائكة ، اللهم إلا بشغله كالكرام الكاتبين : ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (٣٧ : ١٦٤) مقاما في كيانه ومقاما في عمله.

ومهما يكن من شيء في كونهم فليسوا إلا انبثاقا لطيفا من المادة الام كسائر المواد ، مهما كانوا من أطفها ، كما تدل على ذلك آيات خلق الكون ككل.

ومهما يكن من أمرهم ، فهم بأجنحتهم عمال امر الله ، دون استقلال لهم بجنب الله ، او استغلال من امر الله ، بل هم اداة لتحقيق امر الله ، لا الحاجة له إليها ، بل لان الكون مسرح الأسباب ، وهو تعالى مسبب الأسباب.

انهم - بأمر الله - يجمعون كافة الخطوط بخيوطها في نظم بارع ونضد رائع ، في قبضها وبسطها ، وشدها وإرخائها ، اللهم إلا ما لكائن فيه اختيار ، ولكنه - أيا كان - ليس اختيار تفويض كما لا إجبار.

- عرفتهم مثاقيل المياه ، وكيل ما يحويه لواعج الأمطار وعواجلها ، ورسلك من الملائكة الى اهل الأرض بمكروه من ينزل من البلاء ، ومحبوب الرخاء . والسفرة الكرام البررة ، والحفظة الكرام الكاتبين ، وملك الموت وأعوانه ، ومنكر ونكير ، ومبشر وبشير ، ورؤمان فتان القبور ، والطائفين بالبيت المعمور ، ومالك والخزنة ، ورضوان وسدنة الجنان ، والذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، والذين يقولون : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، والزبانية الذين إذا قيل لهم : خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه . ابتدروا سراعا ولم ينظروه ، ومن ألهمنا ذكره ولم نعلم مكانه منك ، وبأي امر وكلته ، وسكان الهواء والأرض والماء ، ومن منهم على الخلق . فصل عليهم يوم تأتي كل نفس معها سائق وشهيد ، وصلّ عليهم صلاة تزيدهم كرامة على كرامتهم وطهارة على طهارتهم ...

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢).

ان الله تعالى . بملائكته العمال . هو الفاتح لرحمة ، وهو الممسك لها لا سواء ، فلا تجعلوا لله الأبدال الأمثال ! وليست خزائن رحمته إلا ملكه في ملكه : ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ (١٧ : ١٠٠) ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ (٣٨ : ٩) إذا فلا فاتح لها إلا هو ، ولا ممسك لها بعد فتحها ام قبله إلا هو !

و «من رحمة» تستغرق كل رحمة مادية وروحية ، تدفقا على من يشاء ، أو إغاضة عمن يشاء ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في فتحها وإمساكها ، إذ لا ممسك لها ولا مرسل «من بعده» إرسالاً وإمساكاً «الحكيم» فيهما ، فتحا بحكمة وإمساكاً بحكمة دونما فوزى جزاف ! هنالك تنقطع عن شبهة كل حول وكل قوة إلا بالله ، حيث تغلق كل الأبواب إلا باب الله ، فلا تدق من الأبواب إلا باب الله .

فكل نعمة يمسكها الله تنقلب نقمة ، وكل نقمة تحفها رحمة الله تنقلب نعمة ، فقد تنام على شوك برحمة الله فإذا هو مهاد ، او تنام على حرير وقد أمسكت عنك رحمته فإذا هو شوك القتاد !

ترى يوسف في غياهب السجن هو في رحمة الله حيث يبتعد هناك عن سخط الله : ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ وهناك العزيز وامراته في نعمة البلاط وهما في نقمة الله ، وكما ظهرت لهما بعد ربح من الزمن . هنالك رحمت والطاف خفية إلهية لا يدركها إلا أهلؤها ، خليطة باشواك ، ظاهرة بمظهر الهلاك ، ولكنها باطنها فيها الرحمة وظاهرها من قبلها العذاب !

ليست هنالك . وفي دار المحنة وتناسل الذرية . رحمة خالصة دون تعب وشغب ، فحين تعيش مع الله ، راضيا بمرضاة الله ، ملتزما طاعة الله ، فلا عليك أن يضيق سائر الرزق ، وتحشن سائر الحياة ، ويشوك المضجع ، فانه حياة الرحمة والراحة ، حيث تعيش أصل الرحمة . وحين يعكس الأمر حيث تفقد الزلفى الى الله ، فكل رحمة سواه نقمة وزحمة ، إذ ليست فيها طمأنينة : ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾!

من الخليفة من يعيش الرحمتين : ظاهرة وباطنة ، ومنهم من يجرهما فوا ويلاه! ومنهم من يعيش الروحية ويحرم الظاهرية ، ومنهم عكسها ، وقد يفضل الثالثة على الأولى حيث الأجر على قدر المشقة ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ وكما نرى السابقين الأقربين من عباد الله محرومين . في الأكثر . عن النعم الظاهرية ، وقليل من هم ، المجموعة لهم ظاهرها الى باطنها ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾!

وإذ لا رحمة إلا من الله فتحا وإمساكا ، فمن ذا نرجو إلا الله؟ ومن ذا نخاف إلا الله ، «ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء»! ثم ﴿فَلَا تُمَسِّكْهَا﴾ كما ﴿فَلَا تُرْسِلْ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ تعني من دون الله ، وحين ان الرحمت كلها هي من الله وإرسالا وإمساكا ، فباحرى ان تكون رحمة الهداية بشرعة سواها ، منحصرة في الله ، منحصرة عمن سوى الله! فما يفتح من هدى فلا ممسك لها إلا هو ، وما يمسك فلا مرسل له الا هو ، وقد أرسل رحمة الشرعة الاخيرة دون إمساك فهي باقية حتى القيامة الكبرى ويا لها من آية وحيدة ترسم للحياة صورة جديدة يسيرة مديدة ، لو استقرت في قلب الإنسان لصمد للأحداث كالطود الوطيد وتضاءلت امامه الأشخاص

حيث تبيد ، اللهم إلا من يهدونا الى الله زلفى باذنه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾!
وهكذا تصنع آية من القرآن العظيم من يتعاملون مع الحقيقة التي يمثلها ، دون إخلاد
الى جمال الألفاظ . فقط . ام كمال المعاني فحسب ، طالما يتذرعون هذه وتلك الى تمثيل
القرآن في واقع الحياة بكل جمال وكمال!

وهذه الآية . ومعها سائر القرآن . هي بنفسها تكفي رحمة لا تبقي على رحمة حيث
تسكب في القلب رحيقها بحقيقتها المجردة ، فها هي نموذج من رحمة الله لا ممسك لها ، ألا
عمن اتخذوا هذا القرآن مهجورا ، إذا فهو فيهم وليس فيهم ، يموتون عطاشا وهم يعيشون
شاطئ بجره ، وخضم قعره ، و «رب تال للقرآن والقرآن يلعه»! ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
ويا ليتنا نذكر نعمة الله المتواصلة ، ورحمته المتأصلة غير المتعاضلة دون غفوة عنها ولا
غفلة بوضمة عين ونبضة قلب :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ (٣).

«الناس» هنا كل الناس من ناس ونسناح حسب مختلف الدرجات والدركات
«اذكروا» لا بلفظة لسان ، بل بالأعمال والجنان ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ومنها انه منحنا
بخطابه الكريم ، وقرآنه العظيم ، وفطرنا على توحيده ، ورزقنا من آيات آفاقية وانفسية رحيّة
نديّة ، نتذكر بها نعمة الله : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾؟ فان معرفة الخالق بالوحدانية أعظم
نعمات الله ورحماته!

ف «هل» سؤال من قرارات النفوس : عن فطرة ساذجة وعقلية

ناضجة غير مازجة ولا مازجة ، فهنا الجواب : كلا يا الله!

﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ و «من» هنا لها موقعها المكين ، والقول إنها زائدة قوله زائدة مايدة ، حيث تبحث هنا كون اي خالق إلا الله ، حتى من قد يسمى خالقا في كلام الله : ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ فان «اذني» يخرجها عن حق الخالقية وحاقها ، فانما هو خلق «بإذني» وليس دونه خلق حتى كهئية الطير دون روح!

ومن شؤون الخالق ان يرزق الخليقة ، ف ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ ..﴾ وإذ ليس غيره خالق ، ولا غيره رازق ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ صرفا الى غير الخالق الرازق وهو مخلوق مثلكم مرزوق؟!.

... ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ رزقا للأرواح والأجساد ، فمن سماوات الوحي ترزق أرواحكم ، ومن الأرض وسمااء الأرض ترزق أبدانكم!

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ خالقا ورازقا ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون كذبا وخداعا ، الى من لا يملك خلقا وهو يخلق ، ومن لا يملك رزقا وهو يرزق؟! ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾! ﴿وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٤) :

لا تأسف على تكذبيهم ، فقد كذبوا رفاقك من قبل ، وما أنت إلا رسول ، : ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٦ : ٣٤)!

ثم ﴿وَالِلّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ تصديقا وتكذيبا وجزاء وفاقا ، دونك والذين من قبلك!
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ
 الْغُرُورُ﴾ (٥).

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ ليوم الحساب ، والجزاء الوفاق «حق» ثابت لا حول عنه ولا تبديل ، الا
 عجزا او نسيانا ، ام ظلما وعدوانا ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَئْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾!
 وذلك الوعد الحق لا بد لكم ان تعيشوا ذكره في حياة النسيان ، وحذار حذار ﴿فَلَا
 تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن الوعد الحق ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ﴾ في توحيد ووعده الحق «الغرور»
 الذي يعيش غرورا وتلبيسا ، والشيطان هو رأس زاوية الغرور بذريعة الحياة الدنيا «الغرور»
 والنفس الأمارة بالسوء «الغرور» فحذار حذار من ثلوث الغرور ، الحائر محور الحياة الدنيا ،
 فانها هي دار الغرور ومجاله الغرور : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٣ : ١٨٥) و
 ﴿... مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٥٧ : ٢٠) و ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ (٨٧ : ٢٠). ويا له من
 ثلوث منحوس يثلث ذكره في الذكر الحكيم (٣١ : ٣٣ و ٥٧ : ١٤) وانها لمسة وجدانية
 صادقة حين يستحضر الإنسان صورة المعركة الصاخبة الدائبة بينه وبين عدوه الشيطان :
 ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ
 السَّعِيرِ﴾ (٦).

فحين ذكره يتحفز بكل قواه للدفاع عن نفسه ونفيسه ، دفعا عن كل غواية وإغراء ،
 مستيقظا مداخل الشيطان الى نفسه ، متوجسا من كل حادثة

وهاجسة ليعرضها على حجة الله ، فعلّها خدعة مستسرة من عدوه القديم. استعدادا
دائبا لخوض هذه المعركة المصيرية ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾!
أمن العقل ان يتخذ العدو صديقا ، اغترارا متواصلا متأصلا بغروره ، وقد غر من قبل
أبوينا الأولين ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾! ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ كما أعلن منذ البداية ، ووعد
مواصلة العداء حتى النهاية : ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ إذا ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ مبدئيا لا
طارئا قد يصادق بعد ما يعادي «إنما» ليس إلّا ﴿يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ وهم كل من ينغر بغروره
﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

فهناك حزبان : حزب الله وحزب الشيطان ، وبينهما عوان مذبذب هو ايضا من
حزب الشيطان ، حيث الذبذبة دعوته وكيانه ، ماهيته وبيانه ، اللهم الا من يعيش حياة
الايمان فهو من حزب الرحمن مهما نال منه الشيطان إذ لا يخلو منه انس ولا جان ، إلّا
المخلصين من عباد الله فليس له عليهم من سلطان ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ :
﴿الَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
كَبِيرٌ﴾ (٧)

قاعدة مطردة عادلة صارمة للذين كفروا وماتوا كافرين ، والذين آمنوا وماتوا مؤمنين ،
إلّا أن العذاب الشديد لا يربو شد الكفر ، أو قد ينقص ، ومغفرة واجر كبير يربو شد
الايمان ، قضية العدل هناك والفضل هنا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾! ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ
عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ
حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٨).

أترى من ذا الذي يزين سوء العمل ليرى حسنا وهو إضلال؟ ام لا يزين فهو هدى؟
﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ .. وَيَهْدِي ..﴾! وذلك التزيين إضلال هو في الأصل من الشيطان حين يرى
له ظرفا قابلا من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ واضرابهم : ﴿.. وَزَيْنَ هُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (٢٩ : ٣٨).

ثم الله لا يهديهم في هذه المعركة لأنهم هم السبب فيها مستبصرين ، فيذرهم في غيهم
يتيهون جزاء بما كانوا يعملون.

إذا فالتزيين هنا نسبتان ، نسبة الى الشيطان تعاملًا مع الذين كفروا ، ونسبة الى
الرحمن حيث لا يحول دونه وإياهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا هُمْ أَعْمَاهُمْ﴾ (٢٧ :
٤).

فلكل من الخيرات والشرور نسبة الى الله عدلا او فضلا ، مهما تنسب الى فاعليها
خيرا أو شرا ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.
ولعمر الله ان ذلك مفتاح الشر كله ان يزين للإنسان سوء عمله فيراه حسنا ، معجبا
بنفسه وكل صادر منه ووارد له ، فلانه واثق من عمله فلا يفتش عنه ولا عن مصدره ومورده
، فهو من الأخسرين أعمالا ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
صُنْعًا﴾.

وانه باب فسيح للشر كله ، ونافذة السوء كله ، ومفتاح الضلالة كلها ، نموذج الضال
الهالك ، البائر المائر ، السائر الصائر الى شر مصير ﴿جَهَنَّمُ يَصْلَوُهَا فَيَنْسِفُ الْمَصِيرُ﴾.
ورغم ان من كمال الإنسان التدرج الى كمال وأكمل ، وليس ذلك إلا ان يعيش نقدا
بكل يقظة في أموره ، فالذي يرى كل اعماله

حسنة ، ليس ليخلد الى خلدته نقص وخطأ ، فهو مكبّ على وجهه ، مخلد إلى نفسه ،
واقف لحده السيء البئيس ، وهو يراه الحسن النفيس!

فيا ويلاه حيث يهبط الإنسان الى ذلك الدرك المهين والضلال المبين ، وذلك بما
قدمت يده وان الله ليس بظلام للعبيد!.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيُسْقِنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأُحْيِينَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ
الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ (١٠) وَاللَّهُ
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا
يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١) وَمَا يَسْتَوِي
الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلٍ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ

فِيهِ مَوَازِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)

جولات متتابعة في مسارح من الكون هي مصارح تعرض للبصائر بالأبصار ، تدليلاً لتوحيد المبدء ، وتوطيد المعاد.

ففي مشهد الحياة النابضة بعد الموت ، الناهضة المتواترة المتقاطرة على ذوات الميئات الارضية حجة. :

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فُسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (٩).

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٧) : (٥٧). ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَافاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا

أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُخِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٠ : ٥٠).

هنا «أرسل» ماضيا ، ضاربة الى اعماق الماضي منذ خلقت الأرض والسماء وعمرتا ، وقبل خلق الإنسان فهو الآن أخرى ، وفي الروم والأعراف «يرسل» تدليلا لاستمرار ما مضى ما هما عامرتان ، فذلك إرسال في مثلث الزمان!.

ثم الرياح منها مغيرة آية العذاب كريح صرصر في ايام نحسات سببا لموتات نحسات ، ومنها مثيرة تثير السحاب ﴿إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ و ﴿لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ حياة وحياة! فالرياح المغيرة ترسل الى بلد حي للإغارة والموت ، والمثيرة ﴿إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ لإثارة الحياة ، ف «الى» هنا تهدف صالح البلد كما تلمح له «البلد» في الأعراف.

والسحاب هو المسحوب من البحرة المياه الأرضية ، تسحب الى جو السماء ، ثم الرياح الساخنة تثيرها ، ثم الباردة تقلبها سحابا ثقلا حيث تثقلها وتكتفها ، ثم بالتيارات الجوية في مختلف طبقاتها تساق لبلد ميت اليه ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾!

دليل واقعي مكرور امام الأعين غير منكور ، فكيف ينكر هؤلاء حياة النشور؟! فكما الله يعلم ميت البلاد فيحييها ، كذلك يعلم ميت العباد فيحييهم وأخرى ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ فالعلم هو العلم والقدرة هي القدرة وإذا كان إحياء البلاد هنا فضلا يجوز تركه ، فإحياء العباد عدل لا يجوز تركه ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾!.

هذا! والى نقلة من حياة الجسم الى حياة الروح وهي أنبل وأحرى ^(١) :

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ
وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ﴾ (١٠).

الحياة الدنيا بزهراتها وشهواتها هي حياة الغرور الممر الهزة ، والحياة العليا الزاهرة هي
حياة المقر العزة ، فخذوا من ممركم لمقركم ، ومن هزتكُم لعزتكُم!

فالعزة بحق المعني من الكلمة هي لله جميعا ، إلا من يعتز بالله فعزيز بالله على قدره :
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

و ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ في اعماق الزمان والمكان أيا كان وأيان ، فان «كان»
تستأصل كل أصله وحاصله ومستقبله ، فارادة العزة أينما حصلت طول الزمان وعرض
المكان ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ فلتطلب منه العزة لا سواه ، فالعقيدة الوثنية المتحللة عن التوحيد
، المهلهلة ، ليست لتحصل على أية عزة.

(١) الدر المنثور بسند عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف يحیی الله الموتی؟ قال اما مررت بأرض مجدبة ثم مررت بها مخضبة تهتز خضراء؟ قال : بلى قال : كذلك یحیی الله الموتی وكذلك النشور والقمی فی ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إذا أراد الله ان يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحا فاجتمعت الأوصال ونبئت اللحوم.

وارادة العزة قد تعني ارادتها لنفس العزيز ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ إذ يعز من اعتز به! وأخرى تحرّجها لمن يعبد عزيزا ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ فله العبودية والطاعة جميعا! وأما إرادة العزة الإلهية ان تحصل للعبد كما هي لله فمستحيلة ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ لا تعطى لسواه!.

فان ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ لا سواه ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ لا سواه ، فالعزة جميعا هي لله لا سواه! والكلم اسم جنس جمعيّ يذكر مرة ويؤنث أخرى ، وهكذا يكون كل جمع لا يختلف عن واحده إلّا بالتاء. ولان الله تعالى ليس له مكان عل فلا يعني صعود الكلم الطيب اليه أمّا هو ، صعودا من سفال الى عل في المكان ، فانما هي المكانة العالية له على كل من سواه وفي ذاته المقدسة ، فكل شيء لديه سفلى وهو . فقط . العال . إذا فصعود الكلم الطيب اليه هو صعود في المكانة سماع القبول ، انه يبلغ رضاه على مداه وينال زلفاه دون ضياع ولا إهمال ولا ذرة مثقال.

صعودا إليه يوم الدنيا هكذا ، مهما يملك فيه سواه ما يملكه ، وصعودا إليه في الأخرى إذ لا يملك الحكم فيه إلّا الله! فعبثا يحاولون من يعبدون إلّا الله في كلماتهم واعمالهم ونواياهم ، زعم انها واصله الى معبوديهم لأنهم لديهم فيهم : ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (١٤)! إذا ف ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ دون سواه ، فعلينا ألا ندعو إلّا إياه ولا نرجو إلّا إياه :

هنا كلم ونية ومعرفة وتصديق وعمل وتعامل مع الواقع ، هي لزام بعض البعض في تبني الطيب ، فما هو . إذا . الكلم الطيب؟ الطيب هو ما يستطاب في ميزان الحق ، فالكلم المستطاب لله ، وهو طبعا مستطاب لقائليه وسامعيه الطيبين ، انه في مثلث من الطيب وهو كماله وتمامه ، مهما

كان رأس الزاوية . وهو تمام الزوايا . هو الله . ولا يستطاب الكلم في الحق تماما ، إلا بنية صادقة ، ومعرفة فائقة ، وتصديق لائق وعمل مصدق ، وتعامل مع الواقع ، وآخر المطاف في طيب الكلم هو العمل وفقه .

صحيح ان الكلم الطيب دون العمل تخطى منازلها إلا العمل ، ولكن الذي يرفعه هو العمل الصالح : ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ وفاعل الرفع للكلم الطيب هو العمل الصالح ، ومهما كان حق الفاعل هو الله ، فلا يرفعه الله إلا بالعمل الصالح .

فالكلم ما لم يزود بزاده هو خبيث مهما اختلفت دركات خبثه حسب الدرجات ، فان العمل الصالح هو الذي يرفعه فالعمل الطالح يضعه ^(١) والحالة العوان ، لا إليه ولا الى ضده عوان بين رفعه ووضعه . وكلما زاد صلاح العمل زاد الكلم ارتفاعا ، كما كلما زاد طيب الكلم زاد صلوحا للارتفاع : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ .. (٥٨ : ١١) .

ومن طبع الكلمة الطيبة ان ترتفع ثابتة دون زوال ، حتى يتلوها العمل الصالح فارفعها فوق ارتفاع : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (١٤ : ٢٤) . وكلما كان الكلم الطيب أسعد ، فهو بطبيعة الحال اصعد ثم ارفع ،

(١) في تفسير القمي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان لكل قول مصداقا من عمل يصدقه او يكذبه فإذا قال ابن آدم وصدق قوله بعمله رفع قوله بعمله الى الله وإذا قال وخالف عمله قوله رد قوله على عمله الخبيث وهوى به الى النار .

فالكلم الطيب الذي يطيب الجماهير المحتشدة ، دون اختصاص بمكلمه ، صعودها وارتفاعها هما بميزانية آثارها قضية الجزاء الوفاق وعند الله مزيد.

ورأس الزاوية في ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ هو ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١) ثم يتلوها ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ ومن ثم تنتمى الولاية التوحيدية وهي الزاوية الثالثة ولاية علي (عليه السلام) والأئمة من ولده الطاهرين (عليهم السلام)^(٢)

فالكلم الطيب هو «الولاية» بصورة مطلقة ، الشاملة لهذه الثلاث ، وكل كلم طيب يتبنى التوحيد كأصل ، ومن ثم المعاد وهو لزام التوحيد ، كما النبوة ، ثم الولاية الرسالية المتمثلة فيمن يحملونها كما هي. إذا فالكلمة

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٥٨ . الطبرسي في الاحتجاج عن الأصبع بن نباتة عن امير المؤمنين (عليه السلام) وقد سأله ابن الكوا قال : يا امير المؤمنين كم بين موضع قدمك الى عرش ربك؟ قال : ثكلتك أمك يا ابن الكوا اسأل متعلما ولا تسأل متعتنا ، من موضع قدمي الى عرش ربي ان يقول قائل مخلصا ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾! قال : يا امير المؤمنين (عليه السلام) فما ثواب من قال : لا اله الا الله؟ قال : من قال : لا اله الا الله مخلصا طمست ذنوبه كما يطمس الحرف الأسود من الرق الأبيض ، فإذا قال ثانية : لا اله الا الله مخلصا خرق أبواب السماوات وصفوف الملائكة حتى تقول الملائكة بعضها لبعض : اخشعوا لعظمة الله ، فإذا قال ثالثة مخلصا لم تنته دون العرش فيقول الجليل اسكني وعزتي وجلالي لأغفرن لقائلك بما كان فيه ثم تلا هذه الآية ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يعني إذا كان عمله خالصا ارتفع قوله وكلامه.

(٢) المصدر عن الكافي بسند عن الامام الرضا (عليه السلام) في الآية قال : الكلم الطيب هو قول المؤمن لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله وخليفته حقا وخلفاءه خلفاء الله والعمل الصالح يرفعه فهو دليله وعمله واعتقاده الذي في قلبه بان الكلام صحيح كما قلته بلساني.

الطيبة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ هي الكلم ، حيث تجمع في حقها وحقها كل الكلم الطيب .
 ف ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ فهذا هي في الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، عزة
 الحظوة المعنوية ، وعزة الزلفى الى مبدء العزة ومنشئها .
 والعرش بمكانه ومكانته هو مصعد الكلم الطيب كما هو مصعد الملائكة : «ولو لا
 إقرارهن له بالربوبية وإذعانهن له بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه ولا مسكنا لملائكته ولا
 مصعدا للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه»^(١) .
 فليست العزة عنادا جامحا على الحق ، جانحا غارقا في انانية الشهوات ، ضاربا في كل
 عتو وتجبر واستكبار ، فانها تنازلات عن صراط الانسانية الى حمأة الحيوانية النكراء!
 انما العزة هي الاتصال بمعدن العزة غير المحدودة ، بالتقرب اليه والزلفى لديه ، في
 سلب مطلق «لا اله» سلبا لكل عبادة وخشوع وخنوع آفاقية وأنفسية ، ثم إيجاب مطلق
 «الا لله» فلا يعبد إلا إياه ، ولا يطيع الا إياه ، هنالك ترتفع الجباه صامدة في سجودها لله
 ، متعالية عن الخنوع لغير الله!

هذه هي العزة وهؤلاء هم الاعزة! لكن :

﴿... وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (١٠).

(١) في نهج البلاغة عن الامام علي (عليه السلام) وضمير الجمع في إقرارهن راجع الى السماوات.

هنا ﴿يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ وهناك ﴿يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ دون مكر ، وهنالك حسنات هي . بطبيعة الحال . خالية عن كل مكر ، حيث المرائي في حسنات ليست حسناته حسنات.

﴿يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ ابتغاء العزة منها وهي . في الحق . من اسباب الذلة ، و ﴿يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ إراءة للضعفاء والمستضعفين انها هي اسباب العزة ، ذلك المكر الماكر يجعل من سيئاتهم عقبات متعديات ان يضل بها من لا يعقلون ، ويغتر بها من لا يشعرون وهنالك الطامة الكبرى!

لفاعل السيئات غفران ام عذاب غير شديد ، ولكن ماكر السيئات له عذاب شديد ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ بائر غير سائر إلا ردحا من زمن الامتحان ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾!

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١١).

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ هل تعني خلق الإنسان الاوّل وزوجه فاننا خلقنا بخلقهما و ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ تعني خلق سائر الإنسان إلا أبونا الأولين؟ وقد يعبده ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ حيث الزوجة ابتدأت منذ الأولين المخلوقين من تراب! او تعني «خلقكم» كل الخلق أولا وأخيرا ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ إلا الأولين ، ولكن ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ توخر الزواج عن الخلق من نطفة ، فتخرج الزواج الاوّل!

﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ بعد ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ تختص الزواج بغير الأولين كما النطفة ، ولكنهما لا تخصصان ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بالأولين ، حيث

النطفة ايضا مخلوقة من تراب ، مهما اختلف تراب عن تراب ، وتؤيده آيات خلق الإنسان .
ككل . من تراب او طين ^(١) :

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ عنصر ميت في أصله ، حي في نسله منذ النطفة حتى الجنين
حيث تتم الحياة الانسانية ، فمن اين أتت هذه الحياة وكيف وأنى ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ﴾!

فالنقلة من حياة الى حياة ارقى هي قريبة ، ولكنها من موت الى حياة بعيدة غريبة ،
إلا أننا نعيشها على مر الزمن ، ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾!
ثم هذه النطفة في صورتها الوحيدة ، وهيدة لانقسامها الى ذكر وأنثى ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ
أَزْوَاجًا﴾ . سبحان الخلاق العظيم! ومن ثم حمل الأزواج بكمه وكيفه ليس إلا بعلمه ﴿وَمَا
تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ والنص في إطلاقه العام يتخطى أنثى الناس الى كل أنثى
، و «من» هنا تأكيد مستغرق للنفي وهو العام المستغرق لكل أنثى :

من حيوان البر والبحر والجو ، ومن الزواحف والحشرات ما تلد وما تبيض ، فالبيضة
حمل من نوع خاص إذ لا يتم نموه داخل الجسم ، بل ينزل بيضة ثم يتابع نموه خارج جسم
الام بحضانتها ام حضانة صناعية اما هيه؟ حتى يصبح جنينا كاملا ثم قفسا ومتابعة لسائر
نموه الحيوي! فكل حمل وكل وضع هو بعلمه كما هو بقدرته ثم :

(١). «أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا» (١٨ : ٣٧)؟ «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ
ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ» (٣٠ : ٢٠) «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ..» (٤٠ : ٦٧)
«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ..» (٢٢ : ٥)

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ...﴾ وهو اللوح المحفوظ ، دون كتاب الحو والإثبات ، حيث الآية تنحو منحى العلم الثابت ، ان يعمر معمر عمره حتى الأجل المحتوم ، او ينقص من عمره لأجل معلق ، و «عمره» هو المحتوم لا يزيد عليه وقد ينقص.

«ان ذلك» البعيد البعيد ، العسير العسير هو ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وأنتم تعيشونه طول الحياة وعرضها ، فباحرى «ان ذلك» الرجوع في الاخرى ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ بل هو أهون عليه.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ حَمَماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢).

كما البحران مختلفان في الصورة ، متفقان في سيرة الرحمة النافعة المترعة اليافعة ، فهما معنيان لوحدة الفائدة ، كذلك الموت والحياة ، ففي كلّ عائدة ، مهما كانت بعد الموت زائدة خلاف ما يزعم من صورته.

فالبحر العذب : المستطاب ، الفرات : الذي يروى العطشى بساهل انحداره في الحلوق ، وبارد طبعه وعذوبته ، والبحر المالح : غير المستطاب للشراب ، الأجاج الحارق الحلوق للوحتة المرة ، هما على حالتهم المتضادة . مع بعض . من نعم الله حيث يلتقيان بتسخير المنان في خدمة الإنسان : ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ حَمَماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٦ : ١٤).

والبحران قد يعنيان . ضمن ما يعنيان . مثل المؤمن والكافر ، حيث العناية في بقاء الكافر رغم كفره قد تكون لما يخرج منه المؤمن ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ و ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ إذ يخرج الله الاحياء من الأموات كما اخرج الأموات من الاحياء!

ارادة التنويع في خلق الماء بواقعها ظاهرة ، ووراءها حكمة ظاهرة في العذب الفرات ،
باطنة في الملح الأجاج ، فمهما كان العذب الفرات سائغا شرابه ، ولكن الملح الأجاج سائغ
فائق لحمه وحليه ، وان كان ﴿مِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ حَمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا﴾ واين
حلية من حلية ولحم من لحم؟

و ﴿حَمًا طَرِيًّا﴾ هو الأسماك المحللة دون لحوم البحر كلها حتى الكلاب والخنازير ،
فانما حرمت بالسنة القطعية ، و ﴿حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ
يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ﴾
(٥٥ : ٢٢)^(١).

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ﴾ . ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ﴾ (١٦ : ١٧) والمواجر هي
المشاق حيث الفلك تشق البحر وكأنها أصبحت «فيه مواجر فيه» حيث الأمواج الهائجة
تجعل الفلك في خضمها وهي غائبة غارقة فيها ، وكل ذلك ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ﴾.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣).
«يولج» ايلاجا واقعا حيث يلج من أفق الليل في أفق النهار شتويا ، وعكسه صيفيا ،
وآخر في المنظر حيث يلتقيان فجرا ومغربا ، ففي مشهد

(١). راجع تفسير «الرحمن» في الفرقان ٢٧ : ٢٨ ، تجد فيه تفصيل خروجهما من البحرين باختلاف الكم
والكيف ، وان البحرين يشتركان في وجود اللؤلؤ والمرجان فيهما كما ويصدق العلم الباحث عنه الكاشف له.

ولوح الليل في النهار وعكسه وكأنما هناك عراك بين عسكر الليل والنهار ، والفتح والفلح لعسكر الليل أحيانا ولعسكر النهار أخرى.

وفي الولوجين منظرا وواقعا آية لكروية الأرض ، وإلا فليكن ليلا كله او نهارا كله!

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ادارة لهما وسيرا كما سخر لادارة الكون قدر ما قدر.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رُبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ دون من تدعون ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ

مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ وهو اثر على رأس النواة ، مثلا للصغر.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ

بِشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (١٤).

لا سماع لدعاء ممن لا سمع له كالأوثان ، والذي يسمع كالطواغيت ليس ليسمع اجابة

، ولو سمع ليس بإمكانه اجابة ، ثم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ «و» هنا «لا ينبيئك»

بهذه الحقيقة المرة «مثل» القرآن ونبيه «خبير» بواقع الأمور وعواقبها.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ

بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٨) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥)

ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥)

تعريف الخير «الفقراء» هنا يعني كونه معروفا فلا يخبر به إلا للتنبيه ، ومن ثم القصر كأنهم هم الفقراء لا سواهم كما ﴿اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ يحصر الغنى في الله . بيان ناصح ناصع لكيان الناس وهم في احسن تقويم . إذا . فما هو كيان من دونه في سائر التقويم؟ فهو حجة قارعة لفقر الكون كله ، وليس إلا الى الله الغني الحميد ، تقريرا لكلمة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ نفيا لاي غنى عن سائر الكون ، ثم اثباتا لكل غني لخالق الكون!

وترى لماذا الحصر ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ كأن سواكم من الخلق أغنياء ، ام ليسوا بفقراء الى الله؟ علّه لما كان المشركون يزعمونهم أغنياء في أنفسهم بأهتهم ، والله هو الفقير إليهم إذ يدعوهم إلى عبادته : ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ...﴾ (٣) : (١٨١) ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (٥ : ٦٤)!

لذلك يرد عليهم بمعاكسة ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ لا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾! فأنتم محصورون في الفقر لا ان الفقر محصور فيكم . ثم ذلك الفقر الفافر ضارب الى الأعماق لحد كأن ليس كيان الإنسان إلا فقرا : ﴿الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ لا ان هناك انسان ام أيا كان له الفقر الى الله ، بل هو بذاته الفقر الى الله بذاته الغني ، دون امكانية التحول من

ذاتية الفقر الى ذاتية الغنى وبأحرى المعاكسة ، فانما ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾!

والفقر والغنى وصفان للكائن ، فلا يقال للمعدوم المطلق فقير ، وآية الفقر تقرر اصل الفقر للإنسان ، وتعلقه في فقره بالله وإلى الله ، فالفقير الذات وفي الأفعال والصفات بحاجة ضرورية الى غنى في كافة الجهات والحشيات ، فلولا ان هناك كائنا غني الذات ، لما كان للفقير كون ، ام لو لم يكن حميدا لم يكن للفقير ما يكفيه به ويغنيه ، ولولا انه حميد لم يقرر مصير الحساب يوم الحساب ، فهو غني حميد في غناه في النشأتين. إذا ففي فقر الكائنات من حيث الذات دليل لا مرد له على وجود كائن غني الذات ، وإلا فأين وجودات الممكنات ، حيث الافتقار في اصل الذات وحاقها دليل الحدوث ، فمن ذا الذي أحدثها إلا ازلي الذات وغنيها؟.

وتجد في آية الذاريات (٤٩) اعمق البراهين للفقر الذاتي في الكائنات كلها ، حيث الزوجية هي كيان كل كائن سوى الله : ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(١).

ومهما كان في الكون غنى نسبية لكائن امام الآخر ، فهما في الفقر الى الله سواء ، كما وهما في اصل الفقر سواء ، فأنت الغني في المال بحاجة الى فقير العمال كما الفقير المال بحاجة إليك في المال ، فلكل فقر من جهة وغنى نسبية من اخرى ، وهما في غناهما فقيران الى الله الذي اغناهما!

أنت ساكن فقير صغير من سكان هذه الأرض ، وهي تابعة صغيرة من

(١). راجع الفرقان لتفسير الآية بقول فصل كاعمق البراهين لاثبات وجود الله.

توابع الشمس ، وهي نجم صغير من مليارات الشمس والنجوم في مليارات المجرات والجزائر السماوية ، أفأنت الغني والله فقير؟!

أتزعم ان في بعث الرسل إليك ، وتواترهم في دعوتك بكتابات السماء ، ان في تلك الدعاية الفخمة المتواصلة ، والدعاية الفخمة الدائبة ، حاجة من الله إليك ، فحين تستجيب الدعاية فله فيها حظوة وعزة ، وحين ترددها فعلى الله هزّه وذلة؟

لا! يا أيتها الحشرة الصغيرة الهزيلة ، بل ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾. غني إذ يدرّ عليكم رحمة دون ضنّة ، حميد إذ لا يحملكم على إنفاقه ، ما يعود بنفعه اليه ، فالكل عائد إليك في تقواك ، وما يد عليك في طغواك. أنت الفقير ان يهديك الله اليه ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ إذ لا يذكرك في ضلالك ، ولا يهدرك في كلالك.

سبحانك يا رب ، فانا الفقير في غناي إليك فكيف لا أكون فقيرا في فقري إليك! انا الفقر كله ، انا اللاشيء كله ، وأنت الغنى كلها ، وأنت مشيئ الأشياء كلها ، لا حاجة منك إليها فهي المحتاجة إليك :

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (١٤ : ٢٠) ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ (٤ : ١٣٣) ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ (٦ : ١٣٣) ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾!

أفتزعمون انكم أنتم . فقط . الخلق العزيز ، والله لا يسطع ان يخلق بعدكم عزيزا ، فان ذهبتُم او أذهبكم فلا بديل عنكم؟ كلا ايها الاغفال ، وقد اذهب قبلكم قرونا مضت ، قبل آدم الاول حيث انقضوا ثم استخلفكم من بعدهم.

﴿وَلَا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ^(١) وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلَنَّ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٨).

«ولا تزر» نفس «وازره وزر» نفس «اخرى» فان ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ضابطة لا تستثنى لفردية التبعات ﴿وَكُلٌّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ..﴾ لا سواه. «لا تزر ..» حتى إذا وعدت ، ولا يسمح لها بالوفاء حتى إذا أرادت ﴿وَأِنْ تَدْعُ﴾ نفس «مثقلة» مثقلة اخرى ام اية نفس اخرى ﴿إِلَىٰ جَمِلِهَا﴾ لتحملها عنها ﴿لَا يَحْمِلَنَّ مِنْهُ﴾ من ثقله «شيء».

فلا ان نفسا وازره تزر وزر اخرى ، ولا انها إذا دعيت الى حملها يحمل منه شيء حتى ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ضابطة صارمة في «لا تزر» فردية التبعة ، وعدت ام سئلت واصرت! حيث القربات هناك ليست لتتفع شيئا ، فانه ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرَأٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ وانه ﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ فلا ينفعهم هناك اي وصل : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

(١) تجد البحث الفصل حول آية الوزرة في النجم فراجع الفرقان ج ٢٦ . ٢٧ .

فالنفس المثقلة من اعباء الذنوب والأوزار تستغيث ولا تغاث ، طلبا في تلك الحالة البئسة ممن يشاطرها في حملها ، فلا تهم كل نفس إلا نفسها ، ولا تعنيها إلا أمرها بامرها ولا تعين أحدا كما لا تعان مهما عنت ، وعانت من حملها ، ولو كانت أولى الناس بأمرها وأقربهم التباطا به وارتباطا برفاقه ، وانتباطا بنسبه! قافلة غافلة تمضي هناك حتى تقف اما الوزن والميزان ، اللهم إلا اهل التقوى فلهم هنالك الشفاعة الكبرى ، وليست هي حملا لوزر ، بل سماحا عنه بمؤهلاته المسرودة في الذكر الحكيم.

أنت يا رسول الهدى لست منذرا لمن لا يخشون ربهم بالغيب وهم معاندون ، إذ لا يؤثر فيهم إنذارك مهما كان إنذارك واجبا فيه اعدارك ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ مؤثرا فائقا ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ يخشونه بالغيب عن المشاهد ، ويخشونه وهو غيب عن المشاهد ، وخشية غيب قلوبهم ، الظاهرة الزاهرة في المشاهد! ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ..﴾ كأظهر المظاهر من ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾.

﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ ف : ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ..﴾ (١٧ : ١٥) ﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ لأهل التقوى والطغوى «وهو احكم الحاكمين».

ثم الكفر والايمان لا يستويان في اي ميزان كما الأعمى والبصير ، والظلمات والنور ، والظل والحرور ، والأحياء والأموات :

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ (٢٢).

وحين ﴿مَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ عن بصره «والبصير» فباحرى لا يستوي الأعمى في قلبه عن البصير!

وحين لا يستوي ظلمات الجو والنور فباحرى ظلمات القلب ونوره ، وكذلك الظل والحرور والاحياء والأموات ومثلث «لا» بين الثلاث الاخرى هي تأكيدات النفي باولية قطعية ، فالظلمات لا تستوي في أقسامها ولا النور في اقسامه ، فهل تستوي الظلمات والنور ، والظل لا يستوي في اقسامه ولا الحرور فهل يستوي الظل والحرور ، والاحياء لا تستوي في أقسامها ولا الأموات ، فهل تستوي الاحياء والأموات.

ولماذا تركت «لا» بين الأعمى والبصير؟ لأن الاعمين على سواء انهم لا يبصرون مهما البصرون ليسوا على سواء!

فالبصير يبصر الحق المقبل اليه فيقبل ، ومن في الظلمات لا يبصر الحق فلا يقبل ، والميت لا يسمع صوت الحق فيقبل!

﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ حقه بحقه دونما فوضى جزاف ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ من قبور الشهوات والحيونات وسائر الإننيات!

لست أنت مسمعا وهاديا من أحببت : ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنَّ تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٢٧ : ٨١)

ان الإيمان بصر وبصيرة وظل ونور وحياة ، والكفر عمى وظلمات وحرور وموت ، فهل يستويان؟ بصر يرى الحقيقة ناصعة صادقة دون اية هزاة ولا خلخلة ، وظل عن حرور الشهوات ، ورياضة للنفس ورياحة للقلب ، وظل عن هاجرة الشك وحاضرة التيه في الظلام ، وحياة في المشاعر والقلوب دون خمود ولا ركود ولا جمود ، فهل يستويان مثلا الحمد لله رب العالمين؟.

لست أنت يا رسول الهدى مسمعا وهاديا لمن في قبور الظلمات والعمايات والمينات:

﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٢٤).

﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ وهذا قصر دون حصر بالنسبة لمن في القبور ، ثم هو للعالمين بشير ونذير ، حيث البشارة لا تأتي إلا بعد النذارة لمن يتأثر بالإنذار وبينهما عموم مطلق ^(١) ، ثم ولست . فقط . أنت النذير .:

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٢٤).

وتراها في هذه النذارة العامة لكل امة ، تتنافى وسلبها ككل عن كل قرية : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ (٢٥ : ٥١) ؟ ..

كلّا فان ﴿كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ هي أعم من كل امة ، فرب امة تسكن في قرى عدّة ، والنذير مبعوث في أمها : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾ (٢٨ : ٥٩) وكلما كانت الرسالة أعم وأتم ، فالأم التي يبعث فيها رسولها أهم وأطم! وكما ام القرى مكة المكرمة هي أهم عاصمة من عواصم الرسالات الإلهية.

فلا تخلو امة من العالمين من الجنة والناس أجمعين وسائر المكلفين ، لا تخلو من نذير ، إما بشخصه العائش فيهم ، ام بدعوته الواصلة إليهم بمن حملوا رسالاتهم ، فان حملوها وبلغوها فحجة بالغة ، وان قصروا في حملها ام لم يبلغوها فتقصير من الحملة عن الرسل دون المرسلين ، وقصور للمستضعفين.

وهل ان «نذير هو كل منذر عن الله ، برسالة او سواها؟ وليس

(١) فكل من يبشر فقد انذر قبلها ، وليس كل من ينذر يبشر بعدها حيث البشارة تخص المؤمنين.

في نذارة دون رسالة حجة بالغة إلا تبينا ومناصرة لحجة الرسالة كما ﴿جَاءَ مِنْ أَفْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ...﴾ والظاهر من ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ هو نذارة الرسالة بالوحي ، دون النذير الوسيط! ولم يأت النذير في سائر القرآن إلا للرسل ، بل وقد يسلب عن سائر النذر : ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٣٢) : (٣) وقد كان في الفترة الرسالية بين المسيح (عليه السلام) ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نذر من غير الرسل!.

ثم و ﴿إِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾ دون كل شخص ، تنفي ضرورة النذارة الواصلة الى كل احد ، إلا حاصلة فيهم كاملة ، واصله الى اشخاص وغير واصله!

ومن جهة اخرى ﴿إِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾ توسيع لساحة الرسالات طول المكان وعرض الزمان ، فما أنت بدعا من الرسل! ليطمئن خاطره الشريف وينبه مكذبيه انه نذير من النذر الاولى. ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؟ (٢٦).

تسلية لخاطر النبي الأقدس ان التكذيب من قبل المكذبين سائد في تاريخ الرسالات ، وكذلك أخذ ربك للمكذبين ، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾!

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ
 بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ
 كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ
 وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ
 وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا
 لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
 فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ

بِالْحَيَرَاتِ يَإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
 مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا
 لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا
 لُغُوبٌ (٣٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا
 كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا
 نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧)
 إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

تعدد لعديد من النعم البارزة لكل عين ناظرة وبصيرة حاضرة من سماوية وارضية ،
قراءة يراعة في كتابي التكوين والتدوين ، ابتداء بكتاب التكوين ، ثم ما يصدقه من كتاب
التدوين ، لتعم القراءة كل كتاب نازل من العزيز الحكيم :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ
بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (٢٧).

«انزل» بمضيها تضرب الى اعماق الماضي حين كانت الأرض محترقة عطشانة فرواها
ريها من ماء السماء ، وكما تشمل مستقبل الإنزال ، حيث الغني الحميد ليس ليقطع رحمة
شاملة تحتاجها الاحياء في عالم الحياة.

ثم «انزل» مفردا لفردية الذات والنعمة المنزلة ، واما «فأخرجنا» فهي لمحة الى جمعية
الصفات في إخراج مختلف الثمرات ، فالإخراج قاصد دون فوضى ، فالماء الواحد والأرض
الواحدة لا يخرجان . لولا مختلف التصميم . إلا ثمرة واحدة كما المكائن الخاصة!
ومن ﴿ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ ثمرة واحدة في ألوان ، كما الكثرة في ألوان ، ألوان الطعوم
والاشكال وألوان الألوان : سبحان العزيز المنان!

وليست الثمرات . فقط . ألوان ، بل ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ﴾ ايضا مختلف الألوان : ﴿جُدَدٌ
بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ في بياضها واحمرارها ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾.

والجدد هي الطرائق والشعاب ، بيضا وحمرًا وغرابيب سود : حالكة شديدة السواد.
فما تراه من مختلف الألوان في الثمرة تراه في الصخرة ، مما يزيدك تدليلا على ارادة
قاصدة ، وانها لفتة راصدة تهز القلوب ، وتوقظ حاسة

الدوق وخاصته في نظرة ناضرة تجريدية الى جمال الكون ، فالى جمال المكون حيث يبرز كونه الوحيد من مصارع في مسارع صفاته.

ثم نتخطى الثمرات والجبال الى مختلف الناس والدواب والأنعام :

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢٨).

اختلاف سائد في كمّ الكائنات وكيفها في مختلف ألوانها. ولئن قلت : إن ذلك الاختلاف هو قضية اختلاف العناصر وخصوصيات التأليف ، تجد الاجابة في المادة الأم الساذجة المركبة . فقط . من زوجين اثنين ، فلا بد . إذا . من تصميم قاصد في كل فصل ووصل ، متفرع عن هذا الأصل : ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ، فَبَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَمِنْ ... كَذَلِكَ﴾ الذي ذكرناه من مختلف الألوان ، وفي ذلك المسرح الجميل ، باختلاف الألوان ، من ألوان الذرات والجزئيات والعناصر وسائر المخلفات المخلفات هذه الاختلافات.

في ذلك المسرح ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فالعلم بالله عبر آيات الله هو سبب الخشية ، والجهل بالله نتيجة الغفلة والتجاهل عن آيات الله ، هو سبب الغفوة الباغية. ليس الجهل بالأسباب الكونية هو الموجب للاعتقاد بسبب غائب كما يهرفه الماديون ، وانما العلم بالأسباب هو الذي يدلنا الى سبب الأسباب! ^(١).

(١) راجع كتابنا «حوار بين الإلهيين والمادييين» ص ٢٠ : ٣٠ . العلم والعلماء في فكرة الإله.

لذلك نرى القرآن يحرض العالمين الى توسع العلم والتعقل في الكون ، ولكي **يَخْشَى** الله من عباده العلماء. ﴿١﴾

فالقصد من «العلماء» هنا هم العلماء بالله ، الذين يستخدمون فلسفاتهم العقلية وكشفهم العلمية لمعرفة الله ، فكلما زادوا معرفة بالله زادوا خشية من الله ، انقلابا في قلوبهم الى الله ، وانقلابا عما يصرفهم عن الله!.

أترى «انما» حين تحصر خشية الله في «العلماء» فما ذنب الجهال إذ لم يؤتوا من العلم ما يخشون به الله؟ العلم هنا ليس ليعني . فقط . علم الصلاحيات في بحوث فلسفية ام تجريبية إنما هي ، مهما تساعد على المعرفة ان حفظت فيها امانة التدليل على وجود خالق المدلول والدليل.

بل هو علم الايمان مهما كان صاحبه أميا لم يدرس اية صلاحات ، كما القرآن يربط الخشية أحيانا بالايمان : ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٩ : ١٣) واخرى بعمل الايمان : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٢٤ : ٥٢).

لذلك ترى ان الآيات هنا وهناك هي الآفاقية والانفسية لكل ذي بصر وبصيرة ، لا تكلف دراسات عقلية او علمية ، مهما كانت تساعد قضية المعرفة مع الحفاظ على الأمانة. فرب عالم قتله جهله ، علما بالصلاحات وتجاهلا عن التبصر بها في المعرفيات والعلم هنا هو الحجاب الأكبر! ..

ورب جاهل أحياه علمه ، حيث يستخدم كافة الوسائل بمختلف الاساليب لمزيد المعرفة

الإلهية ، والعلم هنا يزيل الحجاب الأكبر!.

فيا ويلاه من جهل على جهل ، ظلمات بعضها فوق بعض ، ويا علياه من علم على علم نور على نور؟.

﴿... كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ «عزيز» يخشى

«غفور» لمن لا يخشى مغبة ان يخشى!.

والخشية . وهي خوف يشوبه تعظيم عن علم بما يخشى منه . لزامها العلم قدرها ، وهي حالة في القلب تجعل الخاشي خاشعا لربه خاضعا ، في رقابة دائبة على أقواله وأفعاله وأحواله قدر معرفته بربه . يخشاه لعدله تعالى على ظلمه هو وعظمه تعالى .

فمن لا يخشى الله ليس من العلماء مهما كان أعلمهم في الصلوات ، حتى الإلهية عقلية وعلمية ، ومن يخشى الله فهو من العلماء مهما كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، فميزانية العلم هي حسب ميزانية الخشية في ميزان الله! وكما يروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «العلم علمان علم في القلب فذاك العلم النافع وعلم على اللسان فتلك حجة الله على خلقه»^(١) حيث يحتج به على عالمه وعلى من يسمعه من عالمه!

اما علمتم ان الله عبادا أسكنتهم خشيته من غير عي ولا بكم ، انهم لهم الفصحاء النطقاء النبلاء العلماء بأيام الله غير انهم إذا ذكروا عظمة الله طاشت عقولهم من ذلك ، وانكسرت قلوبهم ، وانقطعت ألسنتهم ، حتى إذا استقاموا من ذلك سارعوا الى الله بالأعمال الزاكية ، فأين أنتم منهم؟ ..»^(٢).

(١) الدر المنثور ٥ : ١٥٠ . اخرج ابن أبي شيبة والترمذي والحاكم عن الحسن قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ..

(٢) الدر المنثور ٥ : ١٥٠ . اخرج الخطيب في المتفق والمفترق عن وهب بن منبه قال : أقبلت مع عكرمة اقود ابن عباس بعد ما ذهب بصره حتى دخل المسجد الحرام فإذا قوم يمترون في حلقة لهم عند باب بني شيبة فقال : أمل بي الى حلقة المراء فانطلقت به حتى أتاهم فسلم عليهم فأرادوه على الجلوس فأبى عليهم وقال انتسبوا اليّ أعرفكم .

وقد سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن العالم والعابد فقال : فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم تلا هذه الآية ^(١) فليتزود المؤمن على ضوء فطرته وعقله وشرعته بسائر العلم ، تذرعا الى معرفة أكثر بالله.

اجل «وما العلم بالله والعمل الا إلفان مؤتلفان فمن عرف الله خافه وحته الخوف على العمل بطاعة الله. وان ارباب العلم واتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا اليه ..»^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٠).

هؤلاء هم من العلماء بالله الذين يخشون الله ، دون الجهال الاغفال الذين لا يتلون كتاب الله ، مهما أقاموا الصلاة وأنفقوا ، ودون من لا

. فانتسبوا اليه فقال : اما علمتم ...». أقول لعله رواية عن رسول الله لم يذكر اخا عنه (صلى الله عليه وآله وسلم).
 (١) المصدر اخرج عبد بن حميد عن مكحول قال سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ... ثم قال : ان الله وملائكته واهل السماء واهل الأرض والنون في البحر ليصلون على معلمي الخير.
 وفي المجمع في الآية روي عن الصادق (عليه السلام) انه قال : يعني بالعلماء من صدق قوله فعله ومن ثم يصدق فعله قوله فليس بعالم ، وفي الحديث : أعلمكم بالله أخوفكم لله.
 (٢) تفسير البرهان عن الكافي بسند عن أبي حمزة الثمالي عن زين العابدين (عليه السلام) قال : ... قال الله : انما يخشى الله من عباده العلماء.

يصلون ولا ينفقون مهما تلوا كتاب الله ، فانما هو الايمان وعمل الصالحات عن علم الكتاب تفصيلا باجتهاد ، ام اجمالا بتقليد عن اجتهاد.

والتلاوة في حق المعني منها هي المتابعة : ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا﴾ (٩١ : ٢) فهي أعم من متابعة القراءة والاستماع ، فالتدبر ، فالتصديق والايمان ، فالتطبيق بعمل الايمان ، إذا ف ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا...﴾ هي من خلفيات التلاوة حقها ، أفردت بالذكر لأنها هي القاعدة الاصلية التي تتبناها التلاوة ، وإلا فرب تال القرآن والقرآن يلعبه! ثم الإنفاق هو الإفناء ألا يطالبوا به تجارة تبور ، فيطلبوا به جزاء أو شكورا ، فانما ﴿تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ افناء في ظاهر الحال وإبقاء بزيادة في باطن الحال : ﴿لِيُؤْفِقَهُمُ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

و ﴿مَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يعم كافة الأرزاق ولا سيما الروحية ، من علم وأخلاق اما هي : «سرا» عن الناس «وعلانية» فان لكل مجالا يناسبه : ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهُا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (٢ : ٢٧١).

«فنعما هي» في نفسه حيث يقتدى به فهو . إذا . من شعائر الله ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا... فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أنفسكم ابتغاء عن رثاء وسمعة.

.. ﴿إِنْ تُبْدُوا... فَنِعِمَّا هِيَ﴾ في نفسه حيث يقتدى به فهو . إذا . من شعائر الله ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا...﴾ أنفسكم ابتعادا عن رثاء وسمعة. ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ لهؤلاء الأكارم ، أي لم طارئ في سبيل الله.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٣١).

«هو الحق» كله ، ثابتا ما بقي الدهر دون نسخ ولا تحريف ، مهما كان ما بين يديه حقا لردح من الزمن ، ولكنه بطل أولا بتحريف ومن ثم بنسخ ، فهو الترجمة الصحيحة النهائية لحقيقة الكون ، والصحيفة المقررة من كتاب الكون وهو الصفحة الصامتة!

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا .. مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من وحي ، دون خليطه بغير وحي ، ف ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ انهم بحاجة الى حق لا ينسخ ولا يحرف ، وانهم حرفوا كتابات السماء من قبل ، لذلك اوحى إليك «الحق» كله هدى للناس.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٣٢).

«الكتاب» هنا هو القرآن لسابق ذكره ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾ «ف» «ثم» بعد ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ﴿أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ..﴾.

فمن هو الوارث للكتاب القرآن بعد من اوحى اليه؟ أهم كل المسلمين وكما في بني إسرائيل ﴿لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٤٠ : ٥٤) وقد تشمل الوارث الشاك! : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (٤٢ : ١٤) كما يشمل حملة وحي الكتاب الآخرين : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّائِيُّونَ

وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴿٥ : ٤٤﴾.

وهنا ﴿أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ دون من هو في شك مريب ، ولا المتوسطين في الايمان ، بل المصطفين ، فميراث الكتاب هنا ميراث خاص لمن يحمله كما حمّله من انزل عليه ، وهناك عام يعم كل من حمّله! . صحيح ان «عبادنا» هنا يعم كافة المسلمين من اهل الجنة كما تشهد التالية : ﴿جَنَّتْ عَدْنٍ...﴾ (٢٣) مقابلة لهم باهل النار : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ .

ولكن وارث الكتاب هنا ليس «عبادنا» ليعم المسلمين ، بل ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ إذا فهم المصطفون من المسلمين منذ ايراثه الى يوم الدين ، لا كلهم. ولان الاصطفاء في مصطلح القرآن ليس إلا للمعصومين ، أنبياء وسواهم من المخلصين ^(١) ف ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ لا تعني الا المعصومين بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من أمته ، أورثوا القرآن ليحملوه كما حمّله من اوحى اليه كميراث خاص.

(١) فآيات الاصطفاء بين نبي مصطفى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣ : ٣٣).

ام وملك مصطفى : ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (٢٢ : ٧٥). ومعصوم غير نبي ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ..﴾ (٣ : ٤٢) وملك عادل مصطفى ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (٢ : ٢٤٧) ام دين مصطفى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ﴾ (٣ : ١٣٢).

فأقل المصطفين في قرينة خاصة هم اعدل العدول!

ثم التقسيم الثلاثي ل «عبادنا» الى ظالم ومقتصد وسابق بالخيرات ، ... دليل قاصد قاطع لا مرد له ان ليسوا داخلين في ذلك الايراث ، إلا ان يسوّى بين «ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات» في انهم من ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(١) وتلك إذا تسوية ضيزى! فحتى ولو عمت «اصطفينا» غير المعصوم ، ليست لتعم المأثوم في تلك المقابلة الثلاثية الواضحة.

ثم من هذا الذي اصطفى عليه ﴿ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وليس للظالم صفاء حتى يفضل في صفائه على سائر الأصفياء وسواهم!.

هنا الله تعالى يقتسم عباده الى هؤلاء الثلاث ليوضح من هم ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وعلى من اصطفاهم؟

فالمسلمون بين ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات والظالم لغيره هو خارج من «عبادنا» والمصطفى بينهم . بطبيعة الحال . ليس إلا السابق بالخيرات ، فهم مفضلون على اصحاب اليمين المقتصدين ، فضلا عن الظالمين : ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (٨)

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٥١ . اخرج الطيالسي واحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الآية قال : هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة وفيه اخرج الطبراني والبيهقي في البعث عن اسامة بن زيد في الآية قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلهم من هذه الامة وكلهم في الجنة. أقول : صحيح ان كلهم من هذه الامة كما تلمحنه من الآيات ، وكلهم من اهل الجنة على شروط الاهلية ، ولكن كيف يكون هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة؟ تنزيلا للمصطفين الى منزلة الظالمين وترفعاً للظالمين الى منزلة المصطفين؟.

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (١١) (٥٦).

إذا فورثة القرآن بعد نبي القرآن هم المصطفون السابقون المقربون ، دون اصحاب اليمين المقتصدين ، فضلا عن الظالمين المسلمين وان لم يكونوا من اصحاب المشأمة والداخلين في الجحيم!

ذلك المثلث البارع الرائع من مواصفات ورثة القرآن لا نجده في سائر القرآن اللهم إلا لنبي القرآن ثم من أورثوا القرآن من بعده.

وهنا قيد «ظالم» ب «لنفسه» لإخراج الظالمين من المسلمين لغيرهم ، فالمعتدون منهم الطغاة على الإسلام والمسلمين ليسوا من اهل الجنة والسلام.

و ﴿مِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ لا ظالم لنفسه» كأصل في حياته ، ولا سابق بالخيرات ، بل هم عوان بين ذلك ، فهم المعتدلون من امة الإسلام عدولا وسواهم ف ﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ هم غير العدول الذين قد تنالهم الشفاعة وهم مصيرهم الى الجنة ، من اصحاب الكبائر الصالحة للشفاعة ، فاما أمثال يزيد ومعاوية الطاغية واضرابهم من طغاة هذه الامة ، فخارجون عن هذا التقسيم ، داخلون مع الذين كفروا في الجحيم ، ف «الظالم يحوم حوم نفسه ، والمقتصد يحوم حوم قلبه ، والسابق بالخيرات يحوم حوم ربه» (١).

(١) في معاني الاخبار مسندا عن الصادق (عليه السلام) قال : .. وفي الدر المنثور ٥ : ٢٥١ . اخرج جماعة عن أبي الدرداء سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ..﴾ فاما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا أنفسهم .

فورثة القرآن العظيم علما وعملا وتطبيقا هم المصطفون السابقون المقربون ، فوق المقتصدين العدول فضلا عن الظالمين! ومن ذا الذي يدعي ذلك الاصطفاء العاصم ، المعصوم اهله من كل رين وشين! أهم الخلفاء الثلاث ، المعترف بكثير اخطاءهم وخلافاتهم وتخلفاتهم بين اتباعهم؟

ام هم الأئمة الاربعة ومن يحذو محذاهم ، المختلفين . في اقل تقدير . في تفهم الكتاب والسنة ، والمتخلفين أحيانا عن نص الكتاب والسنة.

ام هم الأئمة الإثني عشر الذين لم يختلفوا فيما بينهم ، ولم يتخلفوا قيد شعرة عن الكتاب والسنة ، وهم الثقل الأصغر بعد الكتاب . الأكبر؟! وهنا نجد تجاوبا فيهم بين الكتاب والسنة القدسية المحمدية (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١).

. فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين تلقاهم الله برحمته فهم الذين يقولون : الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ...

أقول وقد تظافر مثله في نفس المصدر عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو المستفاد من الآية كما بيناه.

وفيه عن ابن مردويه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ قال : الكافر وهو خلاف ظاهر الآية كما بيناه.

(١) في تفسير البرهان ٣ : ٣٦٣ عن ابن بابويه القمي بسند عن الريان بن الصلت قال : حضر الرضا (عليه السلام) مجلس المأمون بمرور وقد اجتمع اليه في مجلسه جماعة من اهل العراق وخراسان فقال المأمون اخبرني عن معنى هذه الآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ...﴾؟ فقال العلماء أراد الله عز وجل الامة ، فقال المأمون : ما تقول يا أبا .

وهنا ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يخص ﴿سَابِقُ الْخَيْرَاتِ﴾ إذا تكوينيا وشرعيا لسبقهم سائر الخيرين في الخيرات وهو العصمة القمة المتعالية ، دون ﴿ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ حيث الظلم غير مأذون في تشريع ولا تكوين ، وكذلك «مقتصد» فان الله لا يقتصر من عباده بالاعتقاد في معرفته وطاعته!

فإذنه تعالى للسابق بالخيرات هو ارادة التطهير وكما في آية التطهير : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣ : ٣٣).

هنا «بإذنه» وكما في الدعوة الرسالية : ﴿وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٣٣ : ٤٦) ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ (٤٢ : ٥١) كما و ﴿مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (١٠ : ٣) ﴿وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (٢٢ : ٦٥).

فهنا لك للمصطفين السابقين إذن يخصهم ، تكوينيا في عصمة وتشريعا

الحسن (عليه السلام) فقال الرضا (عليه السلام) لا أقول كما قالوا ولكن أقول : أراد العترة الطاهرة ، فقال المأمون : وكيف أراد العترة الطاهرة؟ فقال له الرضا (عليه السلام) لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة لقول الله تبارك وتعالى ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقُ الْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ..﴾ فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم ، فقال المأمون ، من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا (عليه السلام) : الذين وصفهم في كتابه فقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وهم الذين قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض انظروا كيف تخلفوني فيهما ، ايها الناس لا تعلموهم فإنهم اعلم منكم.

في ولاية شرعية ، لا يعم سواهم فكما ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ كذلك ورثة الكتاب طاعتهم مفروضة على من سواهم : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٤ : ٥٩) الذين ولّوا وراثته الكتاب بعد وحيه الى الرسول ، فولوا ازمة امور المسلمين كما ولي!

ولان «سابق» مطلق غير محدد ، فسبقهم . إذا . مطلق غير محدد ، فهم السابقون على كافة المصطفين على مر الزمن في الاصطفاءات ، اللهم إلا من اوحى اليه القرآن!. ولأن «الخيرات» جمعا محلي باللام تعم كافة الخيرات عدّة وعدّة ، فهي الخيرات المعرفية والعقائدية والعملية. أما هي ، المعنية من ﴿وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيرًا﴾ المسبوق ب «انما» الحاصرة فيهم قمة العصمة الإلهية.

وليس سبق هنا زمنيا . إذ ليس له فضل على اللاحق الأفضل ، بل هو سبق في الرتبة ، كما الرسول في كونه ﴿أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ مهما سبق في علم الله وتقديره سبقهم هذا!. فهؤلاء الأكارم الذين أورثوا الكتاب بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سبقوا بعده كافة السابقين في ميادين الخيرات ومسارحها ، فلذلك يفضّلون على سائر النبيين في سابق الخيرات طول الزمان وعرض المكان!.

ترى ولماذا يتقدم في هذا العرض العريض ظالم لنفسه على مقتصد وهما على سابق بالخيرات ، والأخير متقدم في ناصية الآية ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ..﴾؟

انه بيان لطرف الاصطفاء ، تقديمًا للاكثر افرادا ﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ حيث تربو سيئاته لنفسه على حسناته ثم «مقتصد» قد تتعادل سيئاته وحسناته ، ثم ﴿سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ المصطفين من بينهم إذ ليست لهم سيئات!

و «ذلك» الوحي للرسول ، ثم «ذلك» الايراث لأهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ إذ لا يساوى ولا يسامى في تاريخ الوحي والرسالات والوراثات.

فحصالة البحث عن آية الوراثة ان «عبادنا» هنا هم اصحاب الجنة من المسلمين في درجاتهم الثلاث أدناها ﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ دون من يظلم دين الله ويظلم عباد الله ، فهم هنا غير موعودين بالجنة ، مهما دخلوها بعد حسابات وعقابات ام لم يدخلوها ، كما ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ يلمح بمدى ظلم الظالم لنفسه ، وخروج الظالم لغيره ، حيث العفو عنه ظلم بغيره.!

فليس «عبادنا» هنا كافة المكلفين ، ولا كل المسلمين ، وانما المسلمون الذين مصيرهم الى الجنة.

والمقتصد هو المعتدل المتعادل في حياته ، لا ظالم لنفسه حيث يتبنى حياة العدل مهما ابتلى بلمم ، والسابق بالخيرات هم الرعيل الأعلى من المقربين المعصومين من امة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم الأئمة الاثنى عشر سلام الله عليهم أجمعين.

فهم ورثة الكتاب روحيا في ولاية مطلقة شرعية ، وآخرهم القائم منهم يرث الكتاب زمنيا وروحيا : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ. إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢١ : ١٠٦)!

﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (٣٥).

علّ حق الفاعل في ﴿يَدْخُلُونَهَا يُجَلَّوْنَ﴾ هم الوارثون للكتاب المصطفون ، فإنهم سابق الكلام ومحوره وانهم ﴿سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ !

ثم المقتصد الحزين بما قصر او قصر : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ ثم «ظالم لنفسه : ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ .

ف ﴿قَالُوا﴾ . الى . ﴿شَكُورٌ﴾ لا تناسب ساحة السابقين بالخيرات فلا ذنب لهم حتى يغفر ، ولا حزن حتى يذهب فإنهم من أفضل من «لا ﴿خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ! ثم ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا ..﴾ يناسب الطوائف الثلاث اجمع ، حيث الجنة . فقط . هي من فضل الله كما النار هي من عدل الله .

ويجَلَّوْنَ من التحلية : التزيين ، «من أساور» اعجمية من دستواره وهي زينة الايدي ، واللؤلؤ معروف كما الحرير و ﴿دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ هي دار الخلود التي لا حول عنها ولا خروج ، والنصب : التعب في جوها ، واللغوب هي التعب في طلب الحاجة فيها ، خلاف الحياة الدنيا التي هي تعب على تعب ، ولغب على نصب .

ويا له من مشهد حنون ، فالجو كله يسر وراحة ، حتى الجو الموسيقي لجرس الألفاظ كله هادئ ناعم رتيب حتى الحزن بدل الحزن ، فضلا عن ﴿دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ .. الى صفحة اخرى من مسرح الحساب :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (٣٧) .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا هم الخالدون المؤبدون في النار إذ ﴿لَا يُخَفَّفُ

عَنْهُمْ﴾ والخروج عن النار من التخفيف فأين الظالمون لغيرهم مسلمين ام كفارا غير مؤبدين؟
لا نجد لهم هنا ذكرا ولا هناك قضية التفصيل في مواده وهنا موقع الإجمال!

﴿لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمُ﴾ تحصر حظهم فيها ، فلا خروج لهم عنها ، إذا فهم اصول الكفر متبوعين واتباعا كما يلح له «كل كفور» : غليظ الكفر وحضيضه ، دون المزيج الكفر بآيمان ، فان له نصيبا من الرحمة.

﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ في النار ، دون اصل الموت ولو مع النار ، فان قضية العدل نهاية العذاب كنهاية الاستحقاق ، وأخى النهاية للعذاب ان يموت المؤبدون مع النار ، فلا نار . إذا . ولا اهل نار ! : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَثُورٌ﴾ (٤٣) : (٧٧) في النار . وطبعا . ما دامت النار .

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ تخفيفا في زمن العذاب ان يموتوا قبل تمامة ام يخرجوا ، ام تخفيفا في قدره وهم في النار ، ان يتعودوا العذاب ، فانه أشكال متلاحقة فلا تعود فيه يخفف به ، و ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ بالغ في الكفر نهايته ، فهو بالغ في العذاب نهايته جزاء وفاقا .

﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا﴾ بصوت غليظ مختلط الأصداء ، متناوح من شتى الدركات ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ وترى ان «صالحا» لا يصلح تصريحاً لـ ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾؟ اجل ! فلكي يزيحوا كل شبهة عن أمرهم يفسرون «صالحا» بـ ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ لكي لا يفسر صالحهم هذا بما كانوا يرونه صالحا ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾!

لا ! وانما صالحا في الحق ، يختلف عن كل صالح في زعمنا وكل طالح في واقعنا فنصبح من الصالحين حقاً!

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٢٣ : ١٠٠) وهنا الجواب الحاسم يحمل تنديدا صارما صارخا بالمصطرخين في الجحيم ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ...؟﴾

وهنا الواو تقتضي معطوفا عليه محذوفا مثل «ا لم نذكركم بكل حجة صارحة وبينه صارخة» ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ...؟﴾ فقاطع العذر ليس إلا أمران اثنان : ﴿نُعَمِّرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ . وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ فان جاء النذير ولم يفسح مجال للتفكير كمن عاش حين النذارة ساعات او أياما لا تكفي للتذكير ، فقد اعذر .
ام عاش حياة الذكر ولم يأتته نذير فقد اعذر فضلا عمن فقد النذير وفسحة التذكير فهو اعذر واعذر!.

وعلى هذا الأساس فكلما كانت النذارة أقوى وفرصة التذكر أكثر واندى ، فالعذاب أوفر واشجى ، وكلما كان قاطع العذر أضعف فالعذاب أخف ام يعفى عنه كما في ﴿الْمُسْتَضْعِفِينَ .. لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾.

فمن عاش جو الغفلة والتغافل ، بمظاهر الشهوات وجواذب النزوات يخفف عنه حسب خفة الحجة ، ومن عاش جو الذكرى بمديد العمر ولم يتذكر فلا يخفف عنه العذاب.
﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ﴾ المكلف العاقل ك «من تذكر» من المؤمنين ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ زيادة للتذكير «فذوقوا» عذاب السعير «فما للظالمين بحق الله وخلقه «من نصير»
(١).

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٦٦ . ابن بابويه عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن احمد بن أبي عبد الله البرقي باسناده رفعه الى أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل «او لم .

هناك «عبادنا» في اقسامهم الثلاثة ، وهنا ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بنا وعبادتنا لحد «الكفور» وبينهما عوان لم يذكروا ، وانهما صورتان متقابلتان ، فهناك مسرح لكل عناية وتبجيل ، وهنا كل نكاية وتخجيل ، وكل ذلك بعلم الملك الجليل :

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٣٨).

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ علم شامل دقيق لطيف ، يحيط بكتابي التكوين والتدوين وما في الصدور وتحتاجه الصدور ، وبذلك العلم الشامل يجري كل الأمور.

. نعمركم ..» توبخ لابن ثمانى عشر سنة أقول وعله أول توبخ قارع حيث مضت عليه سنون ثلاث ، وليس هذا القدر كضابطة ، فقد لا يوجد ظرف الذكرى في ثلاثين وقد يوجد في يوم واحد ، وهذا الحديث ناظر الى الحالة الاكثرية في جو الذكرى. وفيه بسند له عن أبي بصير قال قال الصادق (عليه السلام) ان العبد لفي فسحة من امره ما بينه وبين أربعين سنة وإذا بلغ أربعين سنة اوحى الله الى ملكية اني قد عمرت عبدي عمرا فغلظا وشددا وتحفظا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره وكبيره».

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَرِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَرِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرْوِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ أَتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ
عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠) إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١)
وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ
مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا

فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤) وَلَوْ يُوَاقِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥)

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٣٩).

هذه اشمل آية في خلافة الأرض للإنسان ، تعم خلافة هذا النسل بأجمعه عمن سلفه وانقرض ، حيث تعني «كم» هذا النسل كله ، خطابا على وجه القضية الحقيقية ، دون الخارجية الخاصة بالموجودين زمن

الخطاب ، وكما تلمحنه من آية الخلافة الاولى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٢ : ٣٠).

كما وتعني . فما تعنيه . خلافة كل قرن من هذا النسل قرونا مضت ، وهنا تخصص الخطاب ما سوى القرن الأول البادي لهذا النسل . وهو داخل في الخطاب الاول . وكما للخلافة الاولى دلالة من آية البقرة كنص ، واخرى من هذه كمطلق ظاهر وفي الانعام ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ (١٦٥) كذلك للثانية آيات عدة ^(١).

ثم وهامة هذه الخلافات هي الاخيرة ، الحلقة على كافة بني الإنسان طول الزمان وعرض المكان ، زمن القائم المهدي من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ (٢٧ : ٦٢)!

وانها خلافة عامة اسلامية سليمة تختلف عن كافة الخلافات ، حيث تطبق شرعة الله على ارض الله ، اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه واجعلنا من أنصاره وأعوانه . وان في تتابع الأجيال تلو بعض ، بانتهاء جيل وابتداء آخر ، وانتهاء دولة وقيام اخرى ، بانطفاء شعلة واتقاد اخرى ، ان في ذلك لآية لمن

(١) «ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» (١٠ : ١٤) «وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا» (١٠ : ٧٣) «وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ» (٧ : ٦٩) «وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَنُوحًا فِي الْأَرْضِ» (١٧ : ٧٤).

لقى السمع وهو شهيد ، ان لكل بداية نهاية ، فليستعد عاقل لكي يخلد نفسه بعد النهاية ،
﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾!

ومن شأن السائح في هذه الرحلة المتعاقبة المتخالفة ان يحسن ثوائه القليل ويترك وراءه
الذكر الجميل . وان عجلة القرون المتتابعة سارعة متصارعة ، دون ان يحمل أهلوها إلا التبعية
الفردية ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ في أولاه وعقباه ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا
مَقْتًا﴾ مهما يزيدهم عند أنفسهم في الشهوات خطا.

﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ عن ذلك المقت الناتج عن ذلك الكفر!
ان مقت ربهم في نفسه خسارة عليهم ، فلاهم ليسوا . هنا . ليشعروا مدى خساره ،
فليشرب بصراح الخسار .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ
شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا إِلَّا
غُرُورًا﴾ (٤٠).

﴿.. أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ فضلا عن شرك في السماء ، فكيف . إذا . هم
آلهة وليس لهم شرك في خلق لا في الأرض ولا في السماء ، فإنهم ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ
اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾!
الهم شرك؟ فاروني ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ﴾ أولاء المشركين «كتابا» فيه سماح للاشراك ﴿فَهُمْ
عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾ فاروني؟ كلا! فلا واقع للشرك لا ملموسا برؤية ، ولا واردا برواية من كتاب
وحي ﴿بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ

بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿٤١﴾ فيما يشركون «إلا غرورا» إذ لا يملكون حجة فيما يعدون «إلا غرورا»!
وإذ ليس هنالك كتاب من الله يسمح بذلك الإشراف ، ولا كتاب من الشركاء لرسولهم ، فيه دعوة إليهم ، فهذه الوهة فاضحة فاضية ، وليست الا غرورا!

كلّا! ليس هنا او هناك شرك ولا من قطمير في سماء ام في ارض ، بل :
﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤١).

هذه! ولا ثانية لها إلا في الحج : **﴿.. وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾** (٦٥).

وإمسك السماوات والأرض ان تزولا ، يعم زوال الفناء ، وزوال السماوات وقوعا على الأرض ، وزوال الأرض سقوطا الى عمق السماء ، وزوال كل وقوعا لاكنافها بعضا الى بعض أما ذا من زوال؟

«ان الله» لا سواه **﴿يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾** عن كل زوال عن حالتها العامة **﴿وَلَئِنْ زَالَتَا﴾** ألا يمسكهما الله وكفى **﴿إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾** مسكة بعد الوقوع ام اشرافه ، فهو الممسك لهما وهو المزيل ، كما هو الخالق لهما دون اي بديل.

وصحيح ان ذلك الإمساك في كافة جنباته ليس إلا بقدرته الخلاقة ، ولكنه عالم الأسباب ، يتطلب منه سببا في ذلك الإمساك ، وعله عمد لا ترونها : **﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾** (١٣ : ٢)

إذا فتمّ عمد ولكن لا ترونها ، من عمد القوة الجاذبية أمأهيه؟

إنه ليست السماوات والأرض . وهما الكون كله . كبناء يبنى فيبقى متماسكا ما له مسكة في أجزائه ، إذ لا مسكة ذاتيا في أجزاء الكون ، لا في كونه ولا كيانه ، إذ ليس إلّا فقرا إلى الله ، فبمجرد تركه تعالى إمساكا لكائن في أية جهة ، فهو زائل من تلك الجهة دونما حاجة إلى إزالة .

فكما لا يملك أي كائن قبل تكونه شيئا من كونه وكيانه ، فهو الآن . بعد خلقه . كما كان ، دون أية غنى واستقلالية عن خالقه ولا قيد شعرة في آن من الأوان! سبحان الملك المنان! .

فالإمساك عن الزوال هو عبارة أخرى عن الإيجاد بعد الإيجاد ، استمرارية للكائن بعد تكوينه الأول ، كونا أو كيانا ، فما كان إمساكه للكون فالكون كائن ، فإذا زال زال ، زوالا على قدر زوال! .

فنظرة ناظرة إلى ناضرة السماوات والأرض ، أنهما لا تقومان . في ظاهر الحال . بعمد ، ولا تشدان بأمراس ، جديرة بأن تفتح البصيرة على اليد الخفية الحفية ، القاهرة القادرة ، التي تمسكها عن أي زوال!

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (٤٢) .

يروى أنه يبلغ قريشا قبل جيئة هذا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا : لعن الله اليهود والنصارى أتتهم رسلهم فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى

من إحدى الأمم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾!

وهذا الوجه قد يقرب لسابق ذكر المشركين ، وقد يبعد لأن قريشا كانوا قوما ليست لهم سابقة الإنذار حتى يستقبلوا منذرا برحابة صدر ، وقسما بالله وهم مشركون! إذا فهم أهل الكتاب : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢ : ٨٨) وبطبيعة الحال كفر الكتابي . ولا سيما في زيادة النفور . إنه أضل وأنكى .

﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ هو مدى الطاقة والمشقة منها أن بالغوا وغلظوا في مختلف أيمانهم ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ من النذر وقد ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ فهم له منتظرون ﴿لِيَكُونَنَّ أَهْدَى﴾ لسابق الأنس بوحى الكتاب ، وسابغ البشارات بهذا النذير ﴿.. أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ ولماذا إحداهم؟ لا «كل الأمم» لأنهم أنفسهم الأمم الكتابية ، والمشركون هم إحدى الأمم ، إذا فهم المشركون ، دون اليهود والنصارى ، إذ ليسوا هم بإحدى الأمم . ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ وتباعدا وهروبا ، ولماذا ذلك النفور بعد جهد الأيمان وذلك الاستفتاح؟ .

وقد تعني ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ كليهما ، مهما كان أهل الكتاب أصلاء في ذلك المكر السيء والمشركون فروعهم! .

﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا

بَأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾.

وإنه لقبيح ما أقبحه ، ومكر سيئ ما أمكره ، أنهم بعد ما استفتحوا على المشركين وأقسموا بالله جهد أيمانهم : **﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾** فإنه مادة أصيلة لضلال المشركين ، أن لو كان خيرا لسبقونا إليه لسابق الوحي الكتابي لهم ، وسابغ إيمانهم!

ولم يكن ذلك النفور الزائد إلا **﴿اِسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾** كيف يأتيهم نبي إسماعيلي ويهدم صرح النبوة الإسرائيلية ، **﴿مَكْرَ السَّيِّئِ﴾** فالسيئ قد يسيء دون مكر فيجتنبه المتحري عن الحق ، ولكنه إذا مكر فوا ويلاه للبعيد عن الحق ، حيث يتخذون ذلك المكر حجة على الحق ، فهو . إذا . المكر السيئ من مكر سيئ ، وهل يحيق المكر السيئ بغير أهله ، من الله أو الرسول أو المؤمنين اليقظين؟ كلا!

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ : ماكرا وممكورا ، فمن لا يمكر ولا يمحرك لا يحيق به المكر السيئ ، فإن المؤمن هو الكيس الفطن ، لا يحار ولا يغار مهما كان المكر محيرا مغيرا! ^(١).

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ انتظارا ، بعد ذلك المكر السيئ **﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾** من مكذبي النبيين ، سنة الله في إهلاكهم واستئصالهم؟ **﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾** أن يجريها في الغابرين ، ويستثنى عنها الحاضرين ، فلا قرابة ولا نسبة لهم إلى ربهم يفقدها الأولون!

(١) الدر المنثور عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : إياكم والمكر السيئ فإنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ولهم من الله طالب.

فالنواميس الإلهية والسنن الربانية مطردة ماضية ، مستقبلة وحاضرة وماضية ، دون
تبديل بغيرها ، ولا تحويل لها إلى غير أهلها ف ﴿لَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾! ﴿سُنَّتِ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٠ : ٨٥).

لقد سن الله سنة تكوينية لكل من الحسن والسوء ، والحسن والسيء في النشاطين ،
كضابطة سارية المفعول ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ إلى غيرها ، ثوبا إلى عقاب أم عقابا
إلى ثواب ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ من أهلها إلى غير أهلها ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا
سَعَى﴾!.

إن القرآن يقرر هذه الحقيقة حقها جهارا وتكرارا لكي لا ينظروا إلى الأحداث فرادى
ام هي فوضى ، عائشين الصدف والفوضويات ، وإنما هناك سنن ثابتة مطردة و ﴿ذَلِكَ
تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾!

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ
قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (٤٤).

وإذا لم يذكروا بما جاءهم من نذير فكذبوهم بكل نفير ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ في
تاريخها الجغرافي وجغرافيا التاريخي «فينظروا» بصرا وبصيرة أحوال الماضين ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ في تكذيبهم رسلهم «و» قد ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ في أموال وأولاد
ومادية الأحوال ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ حتى ولو كانوا . هم . أقوى من الذين من
قبلهم وهم أضعف منهم .. ﴿مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ كيف
يعاملهم «قديرا» بما ينتقم منهم.

فالأرض بأكنافها الواقعية والتاريخية كتاب مفتوح ... لكل سائر فيها ، وهي من الآيات الأفاقية القريبة إلينا فلما ذا التغافل عنها؟ ثم وأرض القرآن أصدق عرض لتأريخ الغابرين ^(١) تجاوبا رائعا بين أرضي التدوين والتكوين في ذلك العرض المتين!

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (٤٥).

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (١٦ : ٦١).

«ولو» عرض لواقع استحقاق عذاب الظالمين ومدهاء ، ﴿يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ . بظلمهم» مؤاخذ العقاب ، لا . فقط . العقاب ، فانه ملئ الكتاب ، فلو جعل الله دار العمل هي دار الجزاء ﴿مَا تَرَكَ ..﴾ .

وترى هؤلاء الظالمون يؤاخذون فما بال غير الظالمين من الناس وما بال سائر الدواب على ظهر الأرض؟!

إنه بالنسبة لغير الظالمين فتنة غير عذاب ، ولهم عذاب فوق

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٦٧ . القمي عن الكليني بسند عن أبي الريح الشامي قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿قُلْ سِيرُوا ..﴾ فقال : عنى بذلك انظروا في القرآن فاعلموا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم وما أخبركم .

عذاب : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (٨ : ٢٥).

ثم هو بالنسبة للدواب على ظهرها لا فتنة لها ولا عذاب ، وإنما عذاب للظالمين حيث يفقدون منافع لهم منها كما يفقدون أنفسهم ، حيث الأرض بما فيها مخلوق لهم : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (٢ : ٢٩)

ففي آيتي الفاطر والبقرة تجاوب لطيف حفيف ، عرضا للأرض بما فيها لاستثمار إنسان الأرض كما يرضاه الله ويصلح حيوية إنسانية تضم سائر مصالح الإنسان دنيوية وأخروية.

ثم وآية الفاطر والنحل تتجاوبان في ضخامة الظلم والطغيان للإنسان ، أن لو يؤاخذهم الله بظلمهم وما كسبوا لما ترك على ظهرها من دابة ، فإنه عذاب شديد يعم الأرض ويطمّنها ، ويقلبها ظهر بطن ، وذلك هو طبيعة العذاب والدار واحدة ، ولكن أرض الجنة والنار متباعدتان!

ولكنه ﴿يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ حيث الدنيا دار عمل ولا جزاء ، وأنّ في استئصال غير الظالمين وسائر الدواب ظلما وما الله يريد ظلما للعباد!

لذلك تراه يبدأ بـ «ولو» تأشيراً بشيراً بالامتناع ، ثم نذيراً بمستقبل العذاب ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو القيامة الكبرى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ الظالم منهم والمظلوم ، ثم يجزون بما كانوا يعملون!

وهذا هو الإيقاع الأخير ، البشير النذير ، في هذه السورة بنهاية

الحياة والحياة النهاية ، وكما بدء ب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ
رُسُلًا...﴾ حيث يحملون رسالات السماء تذكيرا لسكنة الأرض ، وبين المبدء والختم تلك
المسارح المصارع من حوار وحجاج ، وسير في الآفاق والأنفس ولكي يعرفوا المبدء والختم.

- سورة الاحزاب : احزاب صالحة وطالحة . تقوى النبي ١٩٠ - ١٠
- قلبين في جوفه؟ جاهلية الأدعياء! ٣١ - ١٩
- الولاية الشرعة المطلقة للنبي ، لا تكوينية ولا تشريعية . الولايات العشر؟ ٤٢ - ٣١
- نطاق الأولوية في أولى الأرحام وأبعادها . ميثاق النبيين؟ ٥٤ - ٤٢
- حرب الأحزاب بحذافيرها . هنالك ابتلي المؤمنون ..! موقف المنافقين والذين في قلوبهم مرض .
- الرسول الأسوة؟ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ٩٠ - ٥٥
- تحلفه عارمة في نساء النبي . نصايح وتحذيرات لهن . مضاعفة العذاب والثواب ... ٩٠ - ١١٤
- آية التطهير في قول فصل . المعنيون من اهل البيت خمسة في التنزيل واربعة عشر في التأويل .
- قراءة ألف راو لنزولها فيهم في مائة كتاب ١٣٨ - ١١٤
- زواج الرسول بحليلة زيد في قول فصل . لقد كان واجبا رساليا حيث فرض الله له . خاتم
- النبيين؟ ١٦٠ - ١٤١
- من اختصاصات النبي في الزواج والأزواج ١٨٨ - ١٧٦
- الداخلون بيوت النبي؟ كيف نصلي عليه وما هو التسليم ٢٠٦ - ١٩١
- ... يدنين عليهن من جلابيهن ..؟ كأنها أولى آيات الحجاب! عرض الأمانة وخيانتها من
- الإنسان الظلوم الجهول؟ ٢٢٢ - ٢٠٩
- سورة سبأ : من آبات كرويه الأرض ونظرات حولها ٢٣٩ - ٢٣٥
- داود وسليمان بميزات رسولية ورسالية ٢٥٣ - ٢٤٠
- سبأ في مسرح الفرح والشرح ٢٥٩ - ٢٥٥
- إنما أعظمكم بواحدة؟ ليس اجر الرسالة إلا لهم! ٢٨٢ - ٢٧٧
- سورة فاطر : اجنحة الملائكة؟ ٢٩٥ - ٢٩٠
- كيف «اليه يصعد الكلم الطيب ..»؟ «والعمل الصالح يرفعه»! ٣١٢ - ٣٠٩
- ذاتية الفقر للناس وكل الكائنات ٣٢٤ - ٣٢٠
- من هم روثة القرآن المعصومون؟ ٣٤٣ - ٣٣٦
- فسخة زمن التكليف للمستولين يوم الدين . موت الخالدين في النار مع النار . الناس هم
- خلائف الأرض؟ ٣٥١ - ٣٤٤
- كيف «لو يواخذ الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة»؟ ٣٥٩ - ٣٥٧